

VOL, 4 NO, 1. 2018

Journal

of Islamic Studies & Thought for Specialized Researches

Head of the journal

Professor Dr Engku Ahmad Zaki Engku Alwi,

Editor-In-Chief

Dr. Mohamed Fathy Mohamed Abdelgelil

e-ISSN: 2289-9065

Contact:

jistsr.siats.co.uk \ Email: jistsr@siats.co.uk

Contact us

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Research (JISTSR)

Mohamed Fathy Mohamed Abdelgelil Editor-in-Chief: mailto:jistsr@siats.co.uk

http:// jistsr.siats.co.uk



SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches (JISTSR)

jistsr.siats.co.uk \ Email: jistsr@siats.co.uk

WhatsApp: 0060178330229



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد 4 ، العدد 1 ، 2018م.

e-ISSN: 2289-9065

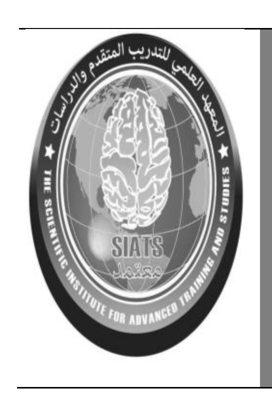
2018م

مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للأبحاث التخصصية

مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للأبحاث التخصصية، مجلة تعمل في ميدان الإصلاح الفكري والمعرفي، بوصفه واحداً من مرتكزات المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر.

تسعى المجلة لأن تكون مرفأً للعلماء والمفكرين والباحثين وجمهور المثقفين للعمل الجّاد على إصلاح الفكر والمنهجية الإسلامية على مستوى الأمة، متجاوزة حدود اللغة والإقليم، خدمة للإنسانية أجمع، سعياً لتحقيق هدف أكبر يتمثل في ترقية مستويات الفكر الإنساني على الصعيد العالمي.

تستهدف مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للأبحاث التخصصية، الأبحاث العلمية ذات الجودة العالية بغية تقديم مادّة علمية متقنة؛ مفيدة للباحثين والمثقفين والمتخصصين، لتشكّل مرجعية علمية يُعتد بها في مسيرة تحقيق رؤيتنا المذكورة، وتتعهد إدارة المجلة بالتواصل مع الباحثين والكتّاب من مختلف المشارب والتيارات لترقية أبحاثهم ومقالاتهم دعماً منها للحركة العلمية والجهود الفكرية في مجال إصلاح وترقية منظومة الفكر الإنساني.



SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد4 ، العدد1، كانون الثاني، يناير 2018م.

e-ISSN: 2289-9065

ALJHAD WATAZKIAT ALNAFS FI AL'ISLAM DIRASAT BAYN ALMAFAHIM WALATHAR

الجهاد وتزكية النفس في الإسلام دراسة بين المفاهيم والآثار

سهير محمد ضيف الله بطاينة

الدكتور أحمد فيصل بن عبد الحميد

جامعة ملايا

batasusu@yahoo.com

1439هـ – 2018م



ARTICLE INFO
Article history:
Received 22/8/2017
Received in revised form7 /9 /2017
Accepted 5/8/2017
Available online 15/1/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

Jihad 'fighting' is a term mentioned repeatedly in the holy Quran with a wide spectrum of meanings. Jihad is also one of the classical renewed topics in the daily life of Muslims. For, Islam is the religion of Jihad, peace and security and not a religion of submission and surrender; the life of a Muslim is all Jihad whether it is Jihad against the enemies by providing the necessary funds or Jihad by lives in compliance with the verse no.41 of Surah Al-Tawbah, which is interpreted in English as, "Mobilize, light or heavy and strive with your possessions and your lives in the cause of God. That is better for you if you only knew." The importance of this study is clear in the fact that it touches upon the daily life of all Muslims. Jihad with all its meanings contributes to achieving progress and development of Muslims. It preserves their dignity and reinforces their belief in God. It also refines their values. The problem of the study lies in the observed inclination of scholars of approaching Jihad as fighting per se. Many of the enemies of Islam claim that Jihad is fighting other faiths in order to oppress them or coerce them to enter Islam. Furthermore, many scholars have approached the concept of Jihad and its rules, but few have approached its role in the daily life of Muslims. This study is divided into three sections whereby the first approaches the concept of Jihad and its role in Muslims' progress and development. The second approaches the types of Jihad in Islam and the third approaches the significance of Jihad and its impact on the Muslim's values. This is followed by conclusions and recommendations

Keywords: Jihad, Islam, impact, values



الملخص

الجهاد من الألفاظ التي ذكرت في القرآن الكريم، وله معنى واسع، ويعدّ الجهاد من المواضيع التليدة والحديثة والمتجددة لملازمته حياة المسلم؛ فالإسلام دين جهاد وسلام وأمان لا دين خضوع وركون واستسلام، وحياة المسلم كلها جهاد سواء أكان جهاد نفس أو جهاد مال أو جهاد عدو لقوله تعالى جلَّ شأنه: انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سورة التوبة، الآية(41). وتبرز أهمية هذه الدراسة في كونها تمس الحياة اليومية للشخصية المسلمة؛ ذلك أن الجهاد بكل معانية يحقق بناء ورقي الإنسان المسلم؛ فيحفظ كرامته ويعزز إيمانه بخالقه. وبناءاً على هذه الأهمية تَحَدَّدَ الهدف من هذا الموضوع والذي تمثل في إبراز دور الجهاد في تزكية النفس المسلمة. وتتلخص إشكالية هذا الموضوع في توجيه مفهوم الجهاد نحو القتال المطلق بسبب افتراء أعداء الإسلام على مفهوم الجهاد. مؤكدين أقوالهم أن الجهاد هو قتال المسلمين لغيرهم من ذوي الديانات الأخرى لقهرهم وإكراههم على دخول الإسلام؛ فكثرت المؤلفات التي تبين مفهوم الجهاد وقواعده وضوابطه بينما قلّت الدراسات التي تبين دور الجهاد وأهميته في حياة المسلم اليومية. لقد تطلبت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مبحثين؛ وضح المبحث الأول مفهوم الجهاد وأنواعه وتزكية النفس، وحلَّل المبحث الثاني فضل الجهاد وأثره في تزكية النفس في الإسلام ،مختوماً بنتائج وتوصيات.

كلمات مفتاحية: الجهاد– الإسلام – النفس– التأثير.



المقدمة

فرض الله تعالى الجهاد على المسلمين لإعلاء كلمة الحق ونشر الدين الإسلامي وقد جعل الله الجهاد ذروة سنام الإسلام لأهميته في حماية الدين والمسلمين، والجهاد من الألفاظ التي ذكرت في القرآن الكريم، فالإسلام دين جهاد وسلام وأمان لا دين خضوع وركون واستسلام، وحياة المسلم كلها جهاد سواء أكان جهاد نفس أو جهاد مال أو جهاد عدو لقوله تعالى جلَّ شأنه: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾سورة التوبة، الآية(41).

وتبرز أهمية هذه الدراسة في كونها تمس الحياة اليومية للشخصية المسلمة, فالجهاد بكل معانيه يحقق بناء ورقي الإنسان المسلم، فيحفظ كرامته ويعزز إيمانه بخالقه. وبناءاً على هذه الأهمية تَحَدَّدَ الهدف من هذا الموضوع والذي تمثل في إبراز دور الجهاد في تزكية النفس المسلمة.

وتتلخص إشكالية هذا الموضوع في توجيه مفهوم الجهاد نحو القتال المطلق بسبب افتراء أعداء الإسلام على مفهوم الجهاد. مؤكدين أقوالهم أن الجهاد هو قتال المسلمين لغيرهم من ذوي الديانات الأخرى لقهرهم وإكراههم على دخول الإسلام؛ فكثرت المؤلفات التي تبين مفهوم الجهاد وقواعده وضوابطه بينما قلّت الدراسات التي تبين دور الجهاد وأهميته في حياة المسلم اليومية.

لقد تطلبت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مبحثين؛ وضح المبحث الأول مفهوم الجهاد وأنواعة وتزكية النفس، وحلَّل المبحث الثاني فضل الجهاد وأثره في تزكية النفس في الإسلام ، مختوماً بنتائج وتوصيات. وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم وأنواع الجهاد والتزكية في الإسلام

المطلب الأول: مفهوم وأنواع الجهاد في الإسلام

المطلب الثاني: مفهوم التزكية في الإسلام

المبحث الثاني: فضل الجهاد وأثره في تزكية النفس في الإسلام.

المطلب الأول: فضل جهاد في الإسلام



المطلب الثاني: آثار الجهاد في مجال تزكية النفس

كلمات مفتاحية: الجهاد- الإسلام – النفس- التأثير.

المبحث الأول: مفهوم وأنواع الجهاد والتزكية في الإسلام

المطلب الأول: مفهوم وأنواع الجهاد في الإسلام.

أولا مفهوم الجهاد:

الجهاد من الجَهْدَ بالفتح: هو المشَقَّةُ، وقيل: المبالغة والغاية, وبالضم، الوُسْعُ والطَّاقة.[1]والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو[2].

من العلماء من أطلق لفظ الجهاد على قتال الكفار، ولكن كلمة الجهاد قد تطلق في الشريعة الإسلامية على غير قتال الكفار,[3] كما جاء في قوله – صلى الله عليه وسلم-: ((**المجاهد من جاهد نفسه**)) [4]

وعرفه الإمام ابن تيمية[5]- رحمه الله-: "الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبهُ الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضُهُ الله من الكفر والفسوقُ والعصيان. (6)

---

[1]- ابن منظور, محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى, لسان العرب, بيروت, دار صادر, ط3, 1414هـ, مج3ص113.

[2]- ينظر: الأصفهاني، أبو القاسم الحسيني بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، بيروت الدار الشامية، ط1، 1412هـ، ص 208.

[3]- ينظر: العقلا، عبد الله بن فريع، معوقات الجهاد في العصر الحاضر, تقديم: محمد بن عبد الله عرفة، المملكة العربية السعودية، الرياض, مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ، 2002م، مج1، ص29, 30.

[4]- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب فضائل الجهاد، باب ماجاء في فضل من مات مرابطاً، رقم الحديث 1621، مج4، ص 165، وقال: حسن صحيح.

[5]- ابن تيمية: هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن القاسم الخضر النمري الحرابي الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل الفتوى أفتى بها، واعتقل وسجن بالإسكندرية، وبعد الإفراج عنه ذهب إلى دمشق واعتقل هناك، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية لاصلاح الدين، فصيحُ اللسان، برع في العلم والتفسير، له مؤلفات كثيرة منها: مجموع الفتاوى، ومنها في السنة، ورفع الملام عن أئمة الأعلام، توفي سنة 178هـ. ينظر: الزركلي، خير الدبن، الأعلام, قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين, لبنان, بيروت, دار العلم للملايين, ط15، ج1, ص144.

[6]- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي، العبودية. تح: علي حسن عبد الحميد، مصر, الأسماعيلية، دار الأصالة، ط3، 1419هـ، 1999م، ص 79.



وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (7) فتوعد الله من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله الوعيد". (8)

وقيل أنه: " هو بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك أو المبالغة في ذلك". (9)

وعرّف الجهاد أيضاً بأنه: "بذل الجهد في قتال الكفار ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفُسَّاق, ومجاهدة الكفار، تقع باليد والمال واللسان والقلب". (10)

من خلال عرض آراء العلماء لمفهوم الجهاد نجد أن تعريف الإمام ابن تيمية- رحمه الله- لمفهوم الجهاد هو أشمل وأعم, حيث أنه يتضمن الجهاد اجتهاد المسلم في طاعة الله والحرص على عدم عصيانه, وكذلك اجتهاده في دعوة غيره من المسلمين لطاعة الخالق وامتثال آوامره واجتناب معاصيه, وكذلك اجتهاده في قتال المشركين والمنافقين لإعلاء كلمة الله وغير ذلك.

ثانياً أنواع الجهاد في الإسلام: الجهاد في الإسلام له أنواع كثيرة منها:

أولاً: جهاد النفس:

قسّم ابن القيم جهاد النفس إلى اربع مراتب هي:

الأولى: "جهاد النفس ولها أربع مراتب أحدها:- أن يجاهدها على تعلم الهُدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها ولاسعادة في معاشها ومعادها إلاَّ به, ومتى فاتها عِلمُه؛ شقيت في الدارين.

6- سورة التوبة، الآية [24].

7- ابن تيمية، ، العبودية. مرجع سابق، ص79.

9- الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، بيروت، دار الكتاب العربي، 1982. مج7، ص97.

10- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي, فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة, 1379, مج6، ص3.



الثانية: أن يجاهدها على العمل بعد علمه، وإلاَّ فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضُرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لايعلمه وإلاَّ كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدي والبينات، ولا ينفعهُ علمُهُ ولا يُنجيه من عذاب الله.

أما الرابعة: فهي أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة الى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله."(11)

لقد أشار القرآن الكريم إلى جهاد النفس كنوع من أنواع الجهاد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ سورة النازعات, الآية (40) أي: زجرها وكفها عن الهوى المردي, وهو الميل إلى الشهوات وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخيرات, ولم يعتد بمتاع الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علماً بوخامة عاقبتها.(12)

وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾سورة الكنعبوت, الآية(69). بيّن القرطبي(13) في تفسيره مفهوم الجهاد في هذه الآية فقال:" ليس الجهاد في هذه الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين, والرد على المبطلين, وقمع الظالمين, وَعِظَمُه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر."(14)

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ)).** (15)

11– ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية, زاد المعاد في هدى خير العباد، الكويت, مكتبة المنار الإسلامية، بيروت, مؤسسة الرسالة، ط27, 1415هـ, 1994م,ج3، ص9.

12– الألوسي, شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي, روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, تح: علي عبد الباري عطية, بيروت, دار الكتب العلمية, ط1, 1415هـ, مج15, ص238.

13– القرطبي: هو الإمام أبو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي,كان رحمه الله من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الزاهدين في الدنيا,كانت أوقاته كلها معمورة بالتوجه إلى الله بالعبادة تارةً, وبالتصنيف ثارة أخرى, من مصنفاته: الجامع لأحكام القرآن, وشرح أسماء آيات الله الحسنى, وكتاب التذكار في أفضل الأذكار. سمع من الشيخ أبي العباس بن عمر القرطبي وغيره, وكان مستقراً بمنية بن خطيب, توفي ودفن بها في شوال سنة 617هـ. ينظر: الذهبي, محمد حسين, التفسير والمفسرون, الكويت, وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد, 1431هـ, 2010م, مج2, ص457.

14– القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, مرجع سابق, مج13, ص365.

15– أحمد, أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني, مسند أحمد بن حنبل, تح: السيد أبو المعاطي النوري, بيروت, عالم الكتب, ط1, 1419هـ, 1998م, رقم الحديث: 24458, مج6, ص21، وقال شعيب: إسناده صحيح.



كان جهاد النفس مقدّماً على جهاد العدو في الخارج, وأصلاً له, فإنه ما لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أُمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج, فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهد ولم يحاربه في الله بل لا يمكنه الخروج إلى عدوّه حتى يجاهد نفسه على الخروج.[16]

ثانياً: جهاد الشيطان.

ومن أنواع الجهاد مجاهدة الشيطان. وقد أمر الله تعالى باتخاذه عدواً تنبيهاً للمؤمنين على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته؛ لأنه عدو لا يفتر ولا يقصر في محاربة العبد. وأن مجاهدته أشق من مجاهدة الكفار؛ لأن المجاهد يستطيع أن يرى العدو الظاهر ولا يستطيع أن يرى الشيطان[17] كما جاء في قوله تعالى: ﴿...إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ... ﴾سورة الأعراف, ألآية (27) . وقد بيّن الإمام ابن القيم[18] مراتب جهاد الشيطان في قوله:"

"وأما جهاد الشيطان، فمرتبتان.

أحدهما: جهاده على دفع ما يلقى الى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

والثانية: جهادهُ على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر.[19] قال تعالىٰ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ سورة السجدة,

---

[16]– ابن القيم الجوزية, زاد المعاد في هدى خير العباد, مرجع سابق, مج3, ص6.

[17] – الدقس, كامل سلامة, الجهاد في سبيل الله, المملكة العربية السعودية, جدة, دار القبلة للثقافة الإسلامية, ط2, 1409هـ, 1988م, ص42.

[18]– ابن قيّم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد الزُّرعي الدمشقي أبو عبد الله، شمس الدين، من أركان الإصلاح في الإسلام، وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق، تتلمذ على شيخ الإسلام بن تيمية حتى كان لا يخرج على شيء من كلامه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأطلق سراحه بعد موت ابن تيمية، كان حسن الخلق محبوبا عند الناس، ألّف تصانيف عديدة منها: اعلام الموقعين، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء، وإغاثة اللهفان وغيرها. ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام, قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين, لبنان, بيروت, دار العلم للملايين, ط15، مج6، ص56.

[19]– ابن القيم، زاد المعاد في هدى خير العباد، مرجع سابق, ج4، ص15.



الآية (24). فأخبر أن إمامة الدِّين، إنما تنال بالصبر واليقين, فالصبر يدفع الشهوات والإدارات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات "[20]

ثالثاً: جهاد الكفار والمنافقين

خاطب الله سبحانه وتعالى رسولَه – صلى الله عليه وسلم– بأن يجاهد الكفار والمنافقين في عدة آيات فقال في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سورة التوبة, الآية (73). اختلف المفسرون في تفسير جهاد المنافقين، فمنهم من يرى أن الجهاد يكون بالسيف, ويرى البعض يكون بالمعاملة والمواجهة وكشف خبيئاتهم للأنظار؛ لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم –لم يقتل المنافقين. [21]

ومنهم من فرَّق بين جهاد الكفار وجهاد المنافقين فقيل: أن أمر الجهاد مع الكفار بالسيف ومع المنافقين باللسان وشدة الزجر والتغليظ. [22]ويرى البعض أن جهاد المنافقين يكون بالحجة وإقامة الحدود. [23]

رابعاً: الجهاد بالمال:

إن حب المال غريزة فطرية في الإنسان كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ سورة الفجر, الآية(20)" أي كثيراً حلاله وحرامه. والجمُّ الكثير".[24] فشهوة حب المال تضعف الإيمان في النفس وتقوى حب الدنيا, والتعلق بها والحرص على شهواتها وأهوائها؛ حتى تنغمس في المعاصي وتترك الطاعات. ولهذا ركز الإسلام على الجهاد به, فقال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة التوبة, الآية (41) وفسّرت الآية بـ: "وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله فيه الأمر بالجهاد

---

[20]– ابن القيم، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج4، ص9.

[21]– قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي, في ظلال القرآن، القاهرة, ط27, 1412هـ, مج3، ص1677.

[22]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، مج8، ص 204.

[23]– القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, مرجع سابق, مج8, ص204.

[24]– القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, مرجع سابق, مج20, ص54.



بالأنفس والأموال وإيجابه على العباد، فالفقراء يجاهدون بأنفسهم، والأغنياء بأموالهم وأنفسهم. والجهاد من آكد الفرائض وأعظمها..." (25)

وأن الجهاد بالمال أشد ضرورة وأكثر حاجة من الجهاد بالنفس؛ للحاجة الكبيرة إليه في إعداد القوة وتجهيز المقاتلين والإنفاق على المجاهدين وقت الحرب. (26)

خامساً: الجهاد بالدعوة وغيرها.

من أعظم وأجلّ الجهاد في سبيل الله الدعوة إلى الدين الإسلامي بشرح محاسنه وإظهار جماله في عقائده وأخلاقه, وآدابه وتعاليمه العالية والراقية؛ فإن ذلك يزيد القوة المعنوية للمسلمين, فكلما عرفوا دينهم وما يتسم به من ميزات حسنة؛ ازداد إيمانهم وقوي يقينهم بردع اعداء الاسلام والمشككين بالحجج الدامغة التي تضعف المعاندين والمتكبرين (27) **ومن أنواع الجهاد في الإسلام الحج المبرور** لقوله ــصلى الله عليه وسلمــ لعائشة رضي الله عنها عندما سألته: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ قال: ((**لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور**)) (28)

وبين رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم- نوع آخر من أنواع الجهاد فقال: ((**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل والصائم النهار**)) (29)

المطلب الثاني: مفهوم التزكية في الإسلام

التزكية في اللغة مأخودة من زَكَا يَزْكو زَكَاءً وزَكَّاه الله، يقال: وزَكَّى نفسَه تَزْكِيةً: مدَحها, وزَكَّى الرَّجل نفسَه إذا وصفها وأثنى عليها. والتزكية هي: والنَّماء والبركة والمدح والطهارة.(30)

---

[25]– الشوكاني, محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني, فتح القدير, دمشق، دار ابن كثير، بيروت, دار الكلم الطيب, ط1, 1414هـ, مج2, ص414.

– الدقس, الجهاد في سبيل الله, مرجع سابق, ص57. [26]

[27]– السعدي, عبد الرحمن الناصر, الجهاد في سبيل الله, القصيم, ط2, 1412هـ, ص29.

[28]– أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الحج, باب فضل الحج المبرور, رقم الحديث1448, مج2, ص553.

[29] – أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب النفقات, باب فضل النفقة على الأهل, رقم الحديث5038, مج5, ص2048.

[30]– ابن منظور, لسان العرب, مرجع سابق, مج14, ص358.



ومنها الزَّكاةُ: وهي ما يخرجه الإنسان من حقّ الله تعالى إلى الفقراء، وسميت بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النّفس وتطهيرها من الشح والبخل.(31)

وتزكية النفس هي: تطهيرها من أوضار الشرك والكفر ودنس الجاهلية ومهاوي الضلال وحمية النفس والغضب لها, وهي الإيمان والتوحيد لله رب العالمين وإفراده بالعبادة والانقياد له والتسليم بشرعه وتمام الذل له مع تمام الحب, والاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم. (32)

وعرفها الإمام ابن تيمية- رحمه الله-:"وَالتَّزْكِيَةُ جَعْلُ الشَّيْءِ زَكِيًّا: إمَّا فِي ذَاتِهِ وَإِمَّا فِي الِاعْتِقَادِ وَالْخَبَرِ؛ كَمَا يُقَالُ عَدَّلْته إذَا جَعَلْته عَدْلًا فِي نَفْسِهِ أَوْ فِي اعْتِقَادِ النَّاسِ".(33)

جاءت هذه الكلمة في القرآ ن الكريم بعدة معان منها قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾**سورة النساء, الآية(49)أي: يمدحونها ويصفونها بالطاعة والتقوى. (34)

وفي قوله تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ**...﴾ سورة التوبة, الآية(103).

قال أهل التفسير:" لما تاب الله على أُولئك القوم جاءوا بأَموالهم إلى النبِي وقالوا: خذها صدقة لله، فأبى أَن يأْخذها، فأنزل الله تعالى هذه الآية:{خُذ من أَمْوَالهم} . وقوله: {تطهرهُمْ} أي: من الذُّنُوب. وقوله: {وتزكيهم بهَا}أي: وترفعهم بها من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين {وصل عَلَيْهِم} وادع لهم {إِن صَلَاتك سكن لَهُم} أي: دعاؤك سكن لهم وطمأنينة وتثبيت".(35)

[31]- ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن, مرجع سابق, مج1, ص381.

[32]- بن تيمية, تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, تزكية النفس, تح: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني, السعودية, الرياض, دار المسلم, ط1, 1415هـ, 1994م,ص16, 17.

[33]- بن تيمية, تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, مجموع الفتاوى, تح: أنور الباز, وعامر الجزار, دار الوفاء, ط3, 1426هـ, 2005 م, مج10, ص97,98.

[34] – بن الخطيب, محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب, أوضح التفاسير, المطبعة المصرية ومكتبتها, ط6, 1383هـ, 1964 م, ص101.

[35] – السمعاني, أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي, تفسير القرآن, تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم, السعودية, الرياض, دار الوطن, ط1، 1418هـ, 1997م, ج2, ص345.



وقوله تعالى: ﴿... ولَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة النور, الآية(21) أي ما صلح، وأن تزكيته لكم وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمالكم. [36]

المبحث الثاني: فضل الجهاد وأثره في تزكية النفس في الإسلام.

المطلب الأول: فضل جهاد في الإسلام

الجهاد بكل أنواعه ومراتبه شرف عظيم ومنزلة رفيعة لايبلغها إلاّ من منَّ الله عليه بالإيمان العميق واليقين الصادق، ولقد أكثر القرآن الكريم والسنة النبوية الثناء على المجاهدين لما للجهاد من مكانة وفضائل فمن الفضائل التي ذكرت في شأن الجهاد قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء, الآية (95).

وأكدت السنة النبوية المطهرة فضل الجهاد وكذلك في قوله– صلى الله عليه–: ((**رأس الأمر الإسلام وعمودهُ الصلاة وذروة سنامه الجهاد**)) [37]وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: ((**جاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة يُنَجي اللهُ به من الهمِّ والغمِّ**)) [38]وروي عنه– صلى الله عليه وسلم– أنه قال: ((**حرّمت النار على عين دمعت أوبكت من خشية الله وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله**)) [39]وقال عليه الصلاة والسلام مبيناً فضل الجهاد: ((**من غبرت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار**)) [40] معنى (أغبرتْ): أصابها الغبار. (سبيل الله) طاعة الله ومنها حضور صلاة الجمعة. [41]

---

[36] – ينظر: القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, القاهرة, دار الكتب المصرية, ط2, 1384هـ, 1964م, مج12, ص203.

[37]– أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم الحديث 2616، مج5، ص11، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[38]– أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث 23055، مج5، ص314، قال شعيب: حسن بمجموع طرقه.

[39]– أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث 17344، مج4، ص134، وقال شعيب: حسن لغيره.

[40]– أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجمعة، باب المشي الى الجمعة، رقم الحديث 865، مج1، ص308.

[41]– البخاري، الجامع الصحيح المختصر " صحيح البخاري"، مرجع سابق، مج1، ص 608.



المطلب الثاني: آثار الجهاد في مجال تزكية النفس

عندما يجاهد المؤمن بجوارحه وبماله ونفسه في سبيل الله، ويعمل ما بوسعه لإعلاء كلمة الحق ويطرق كل المجالات الممكنة لتحقيق ذلك. بما فيها الدعوة والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن لهذا الجهاد آثاراً عظيمة على النفس منها:-

* **يحرر النفس من حب الدنيا والتعلق بها:-** "إن الإسلام يسعى دائماً إلى تهذيب الفطرة والاستعلاء بها إلى ما من شأنه صلاحها وفلاحها؛ ولذلك لايكبث فطرة حب الدنيا بل يسمو بها عن عمر الدنيا القصير وزخارفها الزائلة إلى حيث النعيم المقيم والخلود في الجنة. ولا تذهب بالإنسان الظنون إلى أن من قتل في سبيل الله تعالى قد مات وانتهى بل انتقل من حيز الأرض الضيق ليبدأ حياة أبدية في جنات الخلد [42] كما قال تعالى في كتابه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [43]

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية شُرع الجهاد ليقاوم هواجس النفس البشرية حول الموت والتخوف من شبحه والاستكانة للمخاوف المنبعثة من الضعف والهلع وحب الدنيا والتعلق بها والحرص عليها. إذ ربّى في النفس الإيمان العميق بأن حقيقة الموت مما استأثر الله بعلمه وليس لمخلوق على الإطلاق سلطان عليها. [44] كما قال سبحانه في كتابه العزيز: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ [45] وقال جلَّ شأنه في آية أخرى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [46]

* **الجهاد يقوي الإرادة والإيمان في النفس:** "حينما فُرض الجهاد ورُغب فيه، ووعد بالثواب للشهداء بالخلود في جنات النعيم، فإن ذلك كله لم يكن لكي يتخذ المسلمون في الجهاد وسيلة للعدوان، ورغبة في تحقيق المآرب الشخصية,

---

[42]- ابن كثير، أبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير، الاجتهاد في طلب الجهاد، تح: عبد الله عبد الرحيم عسيلان، لبنان, بيروت مؤسسة الرسالة، ط1، 1401هـ، 1981م، ص 10.تم اقتباس النص بتصرف بيسط.

[43]- سورة آل عمران, الآية 169.

[44]- ينظر: ابن كثير، الاجتهاد في طلب الجهاد، مرجع سابق، ص 10.

[45]- سورة آل عمران, الاية [145].

[46]- سورة النحل الاية [61].



وإنما كان ذلك استنهاضاً لهمم المسلمين وتقوية إرادتهم وعزيمتهم لحماية الدعوة الإسلامية من أعداء الله والعمل على نشر رسالة الإسلام رسالة الهداية والحق والعدل..." (47)

* **يدخل الجهاد الفرحة ولذة السرور على النفس:** فالجهاد يُوصل بالمسلم إلى أعلى الدرجات لما فتح الله عليه من معرفته والجهاد في سبيله؛ فينالوا من اللذة والسرور والنعم ما تقرّ به أعينهم. (48) كما قال تعالى في كتابه: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (49) وإن الجهاد يُزيل الهم والغم والضيق واليأس عن النفس؛ مما يجعلها في إرتياح وأمان، كما جاء في حديثه- صلى الله عليه وسلم-: ((**فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ينجي الله به من الهم والغم**)). (50)

* **الجهاد تدريب النفس على الصبر والصعاب:** فإن الجهاد فيه من الصعاب والمشقة وبذل الجهد ما يدعو الى النفور منه كما أشار القرآن الكريم إليه في الآية الكريمة: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُون)(51) وجعل الله فيه من الفضائل والأجر والثواب مما يعوّد النفس على تحمل المشاق وتذلل الصعاب والصمود في وجه الشدائد والأهوال، طمعاً في جني ثمراته والفوز بالجنة التي لا يمكن الحصول عليها إلاَّ بالصبر فهي محفوفة بالمكاره كما أخبر رسولنا الكريم-صلى الله عليه وسلم- فقال: ((**حُفَّت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**)). (52)

وفي الشدائد والمحن تُكشفُ خبايا النفوس وتَظهر درجة ثباتها كما أشار القرآن في عديد الآيات إلى أن الجهاد المقياس الحقيقي الذي يعرف به قوة إيمان النفس وضعفها، فقال سبحانه وتعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ

47- ابن كثير، الاجتهاد في طلب الجهاد، مرجع سابق، ،ص 15.تم اقتباس النص بتصرف بيسط.

48- ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني. مجموع الفتاوى، تح: أنور الباز, عامر الجزار ، دار الوفاء ، ط3، 1426هـ، 2005م، مج28، ص 41.

49 - سورة آل عمران, الآية [139].

50- أخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث 23075، مج5، 316.

51- سورة البقرة، الآية [216].

52- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، رقم الحديث 9559، مج4، ص693، وقال: حسن غريب من هذا الوجه صحيح. وصححه الألباني.



كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا) [53] فتزكية نفس المؤمن ليست محصورة على ترك المعاصي والإقبال على الطاعات بل التزكية الحقيقية تطهر في مواطن الشدة والجهاد هو المحك الذي يكشف عن معدن النفس ليسارع صاحبها الى تدارك ما فيها من نقص.

* **الجهاد عزة النفس قوة لها:**

الجهاد أعظم وسيلة لتنمية العزة وتقوية كيانها وتطهير من الذل والانطوائية والكسل والعجز والخمول وغيرها من الصفات المهلكة للفرد والمجتمع. [54]

فتخلي المسلم عن الجهاد بكل أنواعه ومراتبه يُضعف نفسه ويعوّدها على الخنوع والذل والاستكانة، كما قال رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم–: ((**إذا تبايعتم بالعينة[55] وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلَّطَ الله عليكم ذُلاً لاينزعها حتى ترجعوا إلى دينكم**)) [56]وفي الحديث إشارة إلى أن التعلق بالتجارة من بيع وحرث وريّ سبب في خنوع النفس وذُلها، وأن عزة النفس لاتكون إلاَّ إذا تخلت عن أسباب الذل والخضوع، فالمؤمن يبيع نفسه لله مقابل ابتغاء مرضاته، ولايبع عزة نفسه مقابل حياة الدنيا الزائلة، وإن الله سبحانه وتعالى واهب الأنفس والأموال وكل ماطاب في حياة الدنيا ويكرم عباده المجاهدين بأن يشتري منهم ما وهبهم إذا ما بذلوها في سبيل الله فقال سبحانه في كتابه العزيز: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

---

[53]– سورة النساء, الآية [77].

[54]– كرزون, أنس احمد, منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله, بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة, إشراف: دأحمد أبو السعادات, المملكة العربية السعودية, جامعة أم القرى, كلية الدعوة وأصول الدين, قسم العقيدة, 1415هـ, 1995م, ص192.

[55]– العينة: يُقال عيّن التاجر يُعين وعينه قبيحة، وذلك إذا باع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل معلوم، ثم اشترها منه بأجل من الثمن الذي باعها. يسمى ذلك عينة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، فصل العين، مج13، ص 306.

[56]– أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب البيوع، باب في النهي عن العينة، رقم الحديث 3462، مج5، ص332، وقال الألباني: صحيح.



الْعَظِيمُ (111) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (57) "يُخبر الله تعالى بأنه فاوض عباده المؤمنين على أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكَرَمِه وإحسانه، فإنه قبِلَ العوضَ عما يملكه بما تفضَّل به على عباده المطعين له". (58)

وفسرت الأية بـ:"وهذا ترغيب للمؤمنين في الجهاد على أبلغ وجه، وأحسن صورة فقد مثل الله سبحانه وتعالى إثابة المؤمنين على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله، بتمليكهم الجنة التي هي دار النعيم والرضوان الدائم السرمدي، تفضلًا منه تعالى، وكرمًا بصورة من باع شيئًا هو له لآخر، وعاقد عقد البيع هو رب العزة، والمبيع هو بذل الأنفس والأموال، والثمن هو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وجعل هذا العقد مسجلًا في الكتب السماوية". (59)ووصف المجاهدين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بصفات جليلة. وصفهم بالتائبين": وهم الراجعون إلى ربهم بتركهم كل ما يُبعد عن مرضاته. "والعابدون" لله المخلصون في جميع عباداتهم, "الحامدون" لله في السراء والضراء، "السائحون" في الأرض والمتنقلون فيها من بلد الى بلد آخر لغرض صحيح، " الراكعون الساجدون" في صلواتهم المفروضة. (60) "الآمرون بالمعروف": القائمون بأمر الناس بما هو معروف في الشريعة و"الناهون عن المنكر" القائمون بالإنكار على من فعل منكرا، أي شيئا ينكره الشرع , "والحافظون لحدود الله": القائمون بحفظ شرائعه التي أنزلها في كتبه وعلى لسان رسله. (61)

57- سورة التوبة الآيتان [111 و 112].

58- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط1، 1420هـ,1999م, مج4، ص 218.

59- العلوي، محمد الأمين عبد الله الأرمي العلوى الهررى الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، بيروت، لبنان، دار طوق النجاة، ط1، 1421هـ ،2001, مج12، ص61.

60- ينظر: العلوي، تفسير حدائق الروح والريحان في دوابي علوم القرآن، مرجع سابق، مج12، ص63، 64. ينظر: الطبري, أبي جعفر الطبري محمد بن جرير الطبري, تفسير الطبري"جامع البيان عن تأويل آى القرآن", تح: عبد الله بن عبد الله التركي بالتعاون مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية, مصر, القاهرة, دار هجر, ط1, 1322هـ, 2001م, ج12, ص7.

61- الشوكاني, محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني, فتح القدير, دمشق، بيروت, دار ابن كثير، دار الكلم الطيب, ط1, 1414هـ,ج2, ص465.



فالشروع في الجهاد من تمام محبة **الله** فقال عليه الصلاة والسلام: ((**لايؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ اليه من ولده ووالده والناس أجمعين**)) (62)

ويُبين ابن تيمية– رحمه الله– حقيقة محبة الله ورسوله– صلى الله عليه وسلم–فيقول" حقيقة المحبة لاتتم إلاَّ بموالاة المحبوب، وهو موافقته في حبّ ما يُحب وبُغضِ ما يُبغِض، والله يحب الإيمان والتقوى، ويُبغِضُ الكفر والفسوق والعصيان)) (63) ويضيف قائلاً: " ومعلوم أن الحب يُحرِّكُ إرادة القلب، فكلما قَوِيَتِ المحبة في القلب طلب القلب فعل المحبوبات، فإذا كانت المحبة تامة استلزمت إرادة جازمةً في حصول المحبوبات فإذا كان العبد قادراً عليها حصّلها، وإن كان عاجزاً عنها ففعل ما يقدر عليه من ذلك، كان له كأجر الفاعل كما قال – صلى الله عليه وسلم: ((**من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تَبِعَهُ، لا ينقص ذلك من أجورهم ومن دعا الى ضلاله عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ذلك لاينقصُ من آثامهم شيئاً**)) (64) ويتوصل ابن تيمية– رحمه الله– بأن فعل الجهاد العلامة الدالة على قوة محبة الله فيقول: " والجهاد هو بذل الوسع في حصول محبوب الحقّ، ودفع ما يكره الحق، فإذا ترك العبد على ما يقدر عليه من الجهاد، كان دليلاً على ضعف محبة الله ورسوله في قلبه". (65)

ولكي يكون الجهاد مؤثراً على النفس فلابد أن يكون خالصاً لوجه الله فإذا شَابهُ شيئاً من الرياء والسمعة أوغَرَضٌ من أغراض الدنيا، فلا يحقق الجهاد ثماره في تزكية النفس، بل يؤدي إلى عقوبة الله وغضبه كما قال رسولنا الكريم– صلى الله عليه وسلم–: ((**إن أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأنْ يُقال جرئ فقد قيل. ثم أمر به فسُحِب على وجهه حتى ألقي في النار**...)) (66) وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

62– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد، رقم الحديث 44، مج1، ص67.

63– ابن تيمية، ، العبودية. مرجع سابق، ص80.

64– أخرجه أبوداود في سننه، أول كتاب شرح السنة، باب لزوم السنة، رقم الحديث 4609، مج7، ص 19، وقال الألباني: صحيح.

65– ابن تيمية، ، العبودية. مرجع سابق، ص 81.

66– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل للريا والسمعة استحق النار، رقم الحديث 1905، مج3، ص 1513.



وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ سورة العنكبوت, الآية (69).أي" في شانِنَا ولِوجهنا خالصاً. (لنهدينهم سبلنا) سُبل السير إلينا والوصول على جنابِنا أو لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقها لسلوكها".[67]

إن جهاد الدعوة إلى الله ينطلق من جهاد الداعي نفسه، فالواجب على الداعي أو الواعظ أن يجعل الدعوة إلى الله ميدان جهاده ، بأن يدعو نفسه ويجاهدها وأن يخوض معركة معها؛ لكي يثمر جهادهُ بالنفع للآخرين والتأثير فيهم فإن النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لايُؤدي دورهُ في تزكية نفس الواعظ والمدعوين إلاّ إذا كان ملتزماً بما يدعو اليه ومتحققاً لما يرشد الناس إليه. [68]

الخاتمة

هذا ما يسَّره الله تبارك وتعالى لي في جمع المعلومات الخاصة بهذا الموضوع، والهامة لكل مسلم يسعى للوصول حياة تسودها الاستقرار والاطمئنان, ولا أزعم أن ما كتبته صواباً كله، بل إنما أنا بشرٌ أخطئ وأصيب, ودوّنتُ كل ما اطمأن إليه قلبي وأوصلتني إليه وسائلي وإمكانياتي وقدراتي، **فتوصلت بذلك إلى عدّة نتائج يمكن إجمالها فيما يلي:**

* إن مفهوم الجهاد ليس مقتصراً على معنى القتال بل له عدة أنواع؛ منها: مجاهدة الكفار، وجهاد القتال، وجهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد المنافقين, وجهاد المال والدعوة. وأن حقيقته هي الاجتهاد في حصول ما يحبهُ الله من الإيمان والعمل الصالح، ودفع ما يبغضُهُ الله من الآثام والمعاصي.

* إن الجهاد له دور في تزكية النفس فيه تحرر النفس من حب الدنيا والتعلق بها، وهو ميدان المعرفة مواطن الضعف والقوة في النفس، وكذلك أنه رمزٌ لعزة النفس وقوتها، فتخلي المسلم عن الجهاد بكل أنواعه ومراتبه يُضعف نفسه ويعوّدها على الخنوع والذل والاستكانة, فالجهاد يبعثُ في النفس السعادة والسرور لما له من مكانة إسلامية عالية، وهوسبب في إفاضة الخير والرزق والفلاح في الدنيا والآخرة.

---

[67]– أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لبنان, بيروت, دار إحياء التراث العربي, ، مج7، ص 48. وينظر: الشوكاني, فتح القدير, مرجع سابق,ج4, ص245.

[68] – كرزون, منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة الى الله, مرجع سابق, ص187.



* ومن رحمته جعل الله للجهاد مراتب ومجالات كثيرة منها المجاهدة باللسان والبيان عن طريق بذل الحجة والنصح والدعوة وغير ذلك والمجاهدة بالقلب؛ ليكون سليماً لا يعمل حقداً وحسداً وبغضاً لأحد من المسلمين، ولا يسخط لما فاته من الحظوظ الدنيوية, والجهاد بالقتال لإبراز مكانة الإسلام في نفوس معتنقيه بأن يعرضوا أنفسهم للخطر لسمو مكانة الإسلام في قلوبهم، وللإعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته, ونشر العدل والسلام وغيرها.

* الجهاد لا يكون مؤثراً على النفس إلاَّ إذا كان خالصاً لوجه الله فإذا شَابهُ شيئاً من الرياء والسمعة أوغَرَضٌ من أغراض الدنيا، فلا يحقق الجهاد ثماره في تزكية النفس، بل يؤدي إلى عقوبة الله وغضبه.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب التفسير.

1- الآلوسي, شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي, روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, تح: علي عبد الباري عطية, بيروت, دار الكتب العلمية, ط1, 1415هـ.

2- ابن الخطيب, محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب, أوضح التفاسير, المطبعة المصرية ومكتبتها, ط6, 1383هـ, 1964م.

3- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط1، 1420هـ,1999م.

4- أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لبنان, بيروت, دار إحياء التراث العربي.

5- السمعاني, أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي الشافعي, تفسير القرآن, تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم, السعودية, الرياض, دار الوطن, ط1، 1418هـ, 1997م.



6- الشوكاني, محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني, فتح القدير, دمشق، دار ابن كثير، بيروت, دار الكلم الطيب, ط1, 1414هـ.

7- القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, القاهرة, دار الكتب المصرية, ط2, 1384هـ, 1964م.

8- قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي, في ظلال القرآن، القاهرة, ط27, 1412هـ.

ثالثًا: كتب الأحاديث:

9- أبو عيسى الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تح: إبراهيم عطوة عوض، مصر, شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ, 1975م.

10- أحمد, أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني, مسند أحمد بن حنبل, تح: السيد أبو المعاطي النوري, بيروت, عالم الكتب, ط1, 1419هـ, 1998م.

11-البخاري, محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي, الجامع الصحيح المختصر"صحيح البخاري", تح: مصطفى ديب البغا, بيروت, اليمامة, دار ابن كثير, ط3, 1407هـ, 1987م.

12- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قروبللي، سوريا, دمشق، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ, 2009م.

13-العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي, فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة, 1379.

14- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، لبنان, بيروت: دار إحياء التراث العربي.



رابعاً: كتب التراجم.

15-الذهبي, محمد حسين, التفسير والمفسرون, الكويت, وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد, 1431هـ, 2010م.

16- الزركلي، خير الدبن، الأعلام, قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين, لبنان, بيروت, دار العلم للملايين.

خامساً: المعاجم اللغوية.

17- ابن منظور, محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي, لسان العرب, بيروت, دار صادر, ط3, 1414هـ.

18- الأصفهاني، أبو القاسم الحسيني بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، بيروت الدار الشامية، ط1، 1412هـ.

سادساً: الكتب الإسلامية.

19-ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية, زاد المعاد في هدى خير العباد، الكويت, مكتبة المنار الإسلامية، بيروت, مؤسسة الرسالة، ط27, 1415هـ, 1994م.

20- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي، العبودية. تح: علي حسن عبد الحميد، مصر, الأسماعيلية، دار الأصالة، ط3، 1419هـ، 1999م.

21- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني. مجموع الفتاوى، تح: أنور الباز- عامر الجزار ، دار الوفاء ، ط3، 1426هـ، 2005م.

22- ابن كثير، أبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير، الاجتهاد في طلب الجهاد، تح: عبد الله عبد الرحيم عسيلان، لبنان, بيروت مؤسسة الرسالة، ط1، 1401هـ، 1981م.



23- ابن تيمية, تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, تزكية النفس, تح: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني, السعودية, الرياض, دار المسلم, ط1, 1415هـ, 1994م

24- ابن تيمية, تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, مجموع الفتاوى, تح: أنور الباز, وعامر الجزار, دار الوفاء, ط3, 1426هـ, 2005 م.

25- الدقس, كامل سلامة, الجهاد في سبيل الله, المملكة العربية السعودية, جدة, دار القبلة للثقافة الإسلامية, ط2, 1409هـ, 1988م.

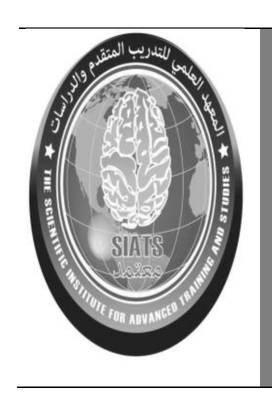
26- السعدي, عبد الرحمن الناصر, الجهاد في سبيل الله, القصيم, ط2, 1412هـ.

27- العقلا، عبد الله بن فريع، معوقات الجهاد في العصر الحاضر, تقديم: محمد بن عبد الله عرفة، المملكة العربية السعودية، الرياض, مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ، 2002م.

28- الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، بيروت، دار الكتاب العربي، 1982.

29-كرزون, أنس أحمد, منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله, بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة, إشراف: دأحمد أبو السعادات, المملكة العربية السعودية, جامعة أم القرى, كلية الدعوة وأصول الدين, قسم العقيدة, 1415هـ, 1995م





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد4 ، العدد1، كانون الثاني، يناير 2018م.

e-ISSN: 2289-9065

THE PRAYER OF WOMEN IN THE MOSQUE IS A SYMPTOM OF FEMININITY THAT PREVENTS WOMEN FROM PRAYING IN THE MOSQUE

صلاة المرأة في المسجد عوارض الأنوثة المانعة من نيل فضل الصلاة بالمسجد بين الحقيقة والوهم

د. شوقي الأزهر **Chauki Lazhar**

نائب مدير مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، كلية الدراسات الإسلامية

جامعة حمد بن خليفة، قطر.

clazhar@hbku.edu.qa

1439هـ – 2018م



ARTICLE INFO
Article history:
Received 29/8/2017
Received in revised form9 /9 /2017
Accepted 5/11/2017
Available online 15/1/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The prevailing absence of women from the mosque is contrasting with the commonplace of the Prophet's society, yet it is the result of an opinion deduced by the scholars from some prophetic narrations. Regardless of the authenticity of those narrations, this opinion dealt with the issue in a partial manner, as the focus was lying on the literal aspect of the narrations that made a distention between man and women in the reward of attending collective prayer in the Mosque. However, little attention was paid to the texts, principles and objectives (*Maqâsid*) related to this issue. However, the former opinion cannot be held without contradicting a number of religious texts and doctrinal principles. The purpose of this study is to reexamine this issue by recalling its various dimensions; starting from the Islamic ontological view of human being and its requirements, to the rational (*Illa*) behind the rulings related to this issue and their relative objectives, to the possible hindrances of gender equality with regard to those objectives, ending by considering the differences between men and women which could be a potential barrier to equality between them in achieving the purposes of the collective prayer in the mosque. This approach, as argued by this study, is useful to identify the rational on which distinction between women and men in this particular issue can be based, thereby solving the apparent contradiction between the texts. This study considers this approach to be useful in correcting some misconceptions about women in Islamic thought, reconsidering their social and cultural role, and freeing them from some patriarchal concepts that they have been victim of for a long time, such as the concept of sedition (*Fitna*) on which basis women have been isolated from the public arena in ancient and modern societies.

Key words: Woman’s prayer, Mosque, Gender Equality, Islam, Shari’a



الملخص

ما نشهده اليوم من غياب المرأة شبه التام عن المسجد مناهض لما كان عليه واقع المجتمع النبوي، إلا أن ذلك مما ترتب على رأي استنبطه العلماء من بعض الأخبار المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وبغض النظر عن ثبوت تلك الأخبار من جهة الصناعة الحديثية أو عدمه، فإن هذا الرأي تناول المسألة تناولا تجزيئيا، حيث أنه لم يول كثير الاهتمام للنصوص والمبادئ والمقاصد المتصلة بهذه المسألة، مكتفيا بظاهر الأخبار المميزة بين المرأة والرجل في فضل جماعة المسجد. غير أن هذه الأخيرة لا يمكن أن تحمل على إطلاقها دون أن تتعارض مع جملة من النصوص الشرعية والمبادئ العقدية والمقاصدية. غرض هذه الدراسة الإسهام في تحرير هذه المسألة باستحضار أبعادها المختلفة؛ من نظرة الإسلام إلى حقيقة الإنسان الوجودية وما تقتضيه من احتياجات، إلى علل الأحكام الشرعية العائدة إلى مسألتنا وما يتعلق بها من مقاصد جزئية وكلية، إلى النظر في موانع التسوية بين المرأة والرجل في هذه المقاصد، انتهاء إلى النظر في ما يميز المرأة عن الرجل مما عساه أن يصلح أن يكون من موانع التسوية بينهما في تحقيق مقاصد جماعة المسجد. ونحسب أن كل ذلك من شأنه أن يساعد في تنقيح علة التمييز بين المرأة والرجل في هذه الجزئية وأن يحرر محله بما يرفع التعارض بين النصوص. واعتبرت الدراسة أن هذا المسلك الاجتهادي من شأنه أن يساهم في تصحيح التصورات المغلوطة عن المرأة في الفكر الديني وفي إعادة النظر في دورها الاجتماعي والحضاري وتحريرها من بعض المفاهيم الذكورية التي طالما التصقت بها، كمفهوم الفتنة الذي عزلت به المرأة عن الساحة العامة في مجتمعات قديمة وحديثة.

الكلمات المفتاحية: صلاة المرأة، المسجد، المساواة بين المرأة والرجل، الشريعة



مقدمة

إن المسجد مؤسسة محورية من مؤسسات المجتمع في التصور الإسلامي. وتتجلى أهميتها على جميع الأصعدة؛ الروحانية، والتربوية والاجتماعية وغيرها. فالمساجد قلوب المدن وواحات روحية في صحراء الهموم الدنيوية. وإذا كان للمسجد تلك الأهمية الروحانية وذلك الأثر في المجتمع الإسلامي، فذلك يعني أن تلك منافع تعود على المرأة والرجل على قدر سواء، لتساويهما في الاحتياجات الروحانية والتربوية ولقيام النسيج الاجتماعي على كل منهما على حد سواء. إلا أن جماهير علماء المسلمين لم يسووا بين المرأة والرجل في الحث على ارتياد المساجد، واعتبروا أن صلاة المرأة في بيتها خير لها من صلاتها في المسجد على وجه الإطلاق، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك[1].

ومما ترتب على هذا الرأي اقصاء النساء من المساجد، فلا تكاد تجد مسجدا تشهد فيه المرأة الصلوات الخمس، بل بعض المساجد لا يوجد فيها مصلى للنساء أصلا. وإذا كان هذا الواقع مخالفا لما كان عليه واقع المجتمع النبوي؛ إلا أن العلماء قد استنبطوا ذلك الرأي من بعض الأخبار المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وبغض النظر عن ثبوت تلك الأخبار من جهة الصناعة الحديثية أو عدمه، فإن هذا الرأي تناول المسألة تناولا تجزيئيا، حيث أنه لم يول كثير الاهتمام للنصوص والمبادئ والمقاصد المتصلة بهذه المسألة، مكتفيا بظاهر الأخبار المميزة بين المرأة والرجل في فضل جماعة المسجد. غير أن هذه الأخيرة لا يمكن أن تحمل على إطلاقها دون أن تتعارض مع جملة من النصوص الشرعية والمبادئ العقدية والمقاصدية. وإذا نالت كثير من النصوص الشرعية المتعارضة في الظاهر حظها من النظر والتحرير، وبالأخص في سياق ما يعرف بمشكل الآثار وفن غريب الحديث، فإن غالب العلماء تناول مسألة صلاة المرأة في بيتها دون العناية بذلك التعارض وسبل فكه.

غرض هذه الدراسة الإسهام في تحرير هذه المسألة باستحضار أبعادها المختلفة؛ من نظرة الإسلام إلى حقيقة الإنسان الوجودية وما تقتضيه من احتياجات، إلى علل الأحكام الشرعية العائدة إلى مسألتنا وما يتعلق بها من مقاصد جزئية وكلية، إلى النظر في موانع التسوية بين المرأة والرجل في هذه المقاصد، انتهاء إلى النظر في ما يميز المرأة عن الرجل مما

[1] "قال يحيى بن يحيى: أجمع الناس على أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد إلا المتجالة [أي كبيرة السن] التي انقطعت حاجة الرجال منها فلا بأس أن تخرج". الحطاب الرعيني المالكي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الطرابلسي، **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، دمشق، دار الفكر، ط 3، 1412هـ/1992م، ج 2، ص 117.



عساه أن يصلح أن يكون من موانع التسوية بينهما في تحقيق مقاصد جماعة المسجد. نحسب أن كل ذلك من شأنه أن يساعد في تنقيح علة التمييز بين المرأة والرجل في هذه الجزئية وأن يحرر محله بما يرفع التعارض بين النصوص. وكثيرا ما سنعتمد في ذلك على ما تقرر من مناهج ومعطيات أصولية تراثية. فإن في المنهج الأصولي التراثي ما يغني في بعض هذا الغرض، ولم يكن المنهج الأصولي التراثي هو الإشكال في القراءات التراثية كما زعم بعض الحداثيين [2]، ولم نعثر فيما اطلعنا عليه من هذا الادعاء على مثال واحد صحيح ضربوه على قاعدة أو مبدأ أصولي متسبب في التأويلات المجحفة بالمرأة [3]. ولا نعتقد إمكان العثور على ذلك، بل ونحسب، على عكس ذلك، أن الإشكال عائد إلى عدم مراعاة المناهج الأصولية في بعض تلك القضايا، بالإضافة إلى انعدام النظر الشامل لها.

[2] المقصود بالحداثيين هم الذين يثورون على القوالب التقليدية المألوفة والمتوارثة ويؤمنون "بضرورة تحقيق قطعية معرفية مع الماضي كشرط لتحقيق الحداثة " مما أدى بهم إلى "احتقار التراث، ثم الوصول بالتبعية الثقافية للغرب إلى أبعد نقطة فيه ". حمودة، عبد العزيز، **المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية**، الكويت، مطابع الوطن، 1422هـ/2001م، ص 36-37.

[3] وعلى سبيل المثال، فإن أحد الحداثيين نصب فصلا كاملا من كتابه محاولا إثبات توظيف الفكر الأصولي لصالح القراءات الذكورية المجحفة بالمرأة، وجاء ذلك الفصل تحت عنوان "تبرير وضع المرأة في الفكر الأصولي". ذويب، حمادي، **جدل الأصول والواقع**، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط 1، 2009م، ص 565-587.

إلا أن المؤلف لم يأت بشيء من الفكر الأصولي أو القواعد الأصولية مما وظف لتبرير الإجحاف بالمرأة، وأغلب ما جاء به هي مسائل فقهية وردت في بعض كتب الأصول ولم يلتزم بما ضمنه العنوان، حيث لم يكد يأتي بشيء من الفكر الأصولي إلا مسألة واحدة، حاول أن يستشهد بها على "ذكورية الفكر الأصولي"، وهي مسألة "دخول النساء في خطاب الرجل"، مدعيا أن "على خلاف موقف أغلبية الأصوليين تبنى عدد قليل من الأصوليين فكرة دخول النساء في خطاب الرجال" فكانت هذه القاعدة من القواعد التي وظفت لصالح القراءة الذكورية في زعمه. إلا أن ذلك الادعاء لا يستقيم من جهات ثلاث على الأقل، الأولى أن القائلين بدخول المؤنث في جمع المذكر ليسوا عددا قليلا كما زعم، بل هو رأي المالكية والحنابلة والظاهرية وبعض الشافعية. قال السيناوني: "وعندنا معاشر المالكية أن الصحيح اندراج النساء في خطاب التذكير فيشمل الجميع فلذا قال العلامة ابن عاصم: "كذا الخطاب للرجال يشمل.... في حكمه النساء حيث ينقل" قال شارح السعود: قال في التنقيح والصحيح عندنا اندراج النساء في خطاب التذكير قاله القاضي عبد الوهاب وكذا الحنابلة وصححه بعض الشافعية". السيناوني، حسن بن عمر المالكي، **الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع**، تونس، مطبعة النهضة، ط 1، 1928م، ج 1، ص 133-134. ومن جهة ثانية فإنا ولو سلمنا بقول القائلين بعدم دخول الإناث في جمع الذكور، فإن النصوص لا ينظر فيها بهذه القاعدة فحسب، بل يحكم النظر فيها جملة من القواعد، فإن خرجت المرأة من الخطاب الوارد بصيغة التذكير دخلت فيه بغيره من القواعد كما سنبين في هذا البحث. ومن جهة ثالثة؛ فمع أن هذه القاعدة هي القضية الوحيدة المتصلة بموضوع الفصل، حيث كان سائره حشوا من الآراء الفقهية، لم يضرب مثالا واحدا على ما تولد عن هذه القاعدة من قراءة مجحفة بالمرأة، ولا نعتقد إمكان ذلك أصلا، فإن استثناء المرأة من بعض الأحكام كان مبنيا على أدلة أخرى غير هذه القاعدة، جاءت من جهة النص أو التأويل أو خلل في توظيف آليات الاجتهاد، لا من جهة ذات هذه القاعدة، إلا من باب الاستئناس، ولا غيرها من القواعد. ونحسب أن عجز الباحث وغيره ممن طعن في القواعد الأصولية، على الإتيان بمثال واحد صحيح يدل على أن الآراء الزائغة متولدة عن قواعد أصولية منحرفة، خير دليل على بطلان دواهم.



أولا: حكمة تفضيل أداء الصلاة في المسجد وفي الجماعات

إن الغاية التي من أجلها خلق الإنسان هي عبادة الله تعالى: **(وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون)** [الذاريات: 56]. وقد خلق الله تعالى هذا الكائن على طبيعة انفرد بها من بين سائر المخلوقات الأخرى، إذ جمعت بين المادة والروح العاقلة. فالإنسان من جهة كائن مادي عضوي متكون من عناصر الطبيعة خاضع لقانونها، ومن جهة أخرى كائن روحاني قادر على المعرفة والمحبة والإرادة والادراك والاستشعار بما في بنفسه من قوة وضعف. وإن جبل الإنسان على الخير بما خلقت عليه روحه من فطرة سليمة، فإن المحافظة على تلك الفطرة تتطلب الانضباط وتحتاج إلى عزم وجهد من جهته. ولذا جاءت التعاليم الدينية توضح له طريق تلك المحافظة وتضع له وسائلها. وأعظم وسائل التزكية الروحية، التي تحرر الإنسان مما يبعده عن فطرته، مما جاء بها الإسلام هي العبادات وعلى رأسها الصلاة، حتى جعلها الله تعالى أول شروط فلاح المؤمن ونجاحه في الدنيا والآخرة، كما جاء في قوله تعالى(**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون)** إلى أن قال: **(والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)** [المؤمنون: 1-11]. وهذا ما يجعل الصلاة عمود الدين حتى كانت من آخر ما وصى به النبي ρ.

فأكد الإسلام على العبادات عموما والصلاة خصوصا من حيث إنها تمثل الوسائل التي يواظب الإنسان من خلالها على العلاقة الروحانية التي تربطه بربه وتطهر فطرته مما لحق بها من مؤثرات الدنيا، لا من أجل أن ينعزل عن الدنيا، بل من أجل أن يعود إليها طاهرا صافي القلب حتى يعمل فيها بصدق وإحسان ويؤدي المهمة التي خلق من أجلها على أحسن الوجوه. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا"[4]. فليس المقصود من الصلاة مجرد أدائها، بل المقصود إقامتها بأن يخرج الإنسان من خلالها في كل يوم لحظات عن انشغالاته الدنيوية، لوصل الروح بمصدرها العلوي. ولذلك لم يعلق الله تعالى الفلاح بأداء الصلاة بل بالخشوع فيها كما سبق من قوله تعالى: **(الذين هم في صلاتهم خاشعون)** [المؤمنون: 2]. ولتحقيق هذا الغرض من خلال الصلاة لا بد أن تتوفر مجموعة من الشروط اللازمة لتحقيق الخشوع أو المعينة على ذلك.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، برقم 1077.



ومن أهم ما قد يعين على ذلك هو المكان الذي تؤدى فيه، لأن الفكر سرعان ما يسهو ويتعلق بمشاغله وهمومه الدنيوية. والمكان المخصص للقاء بالخالق يعين الإنسان على الخروج من هذه الانشغالات في حين أن المكان الذي يقضي فيه حوائجه الدنيوية قد لا يساعد في ذلك. وهكذا يكون ذلك المكان المخصص من العلمات التي تحيي لدى الإنسان شعورا نفسيا تلقائيا بمناسبة التوقف عن مشاغل الدنيا لحظات، متولدا عن العلاقة الجدلية بين ذلك المكان وتلك المناسبة. فيتعوّد الانسان على الخشوع فيه حيث كان مكانا لا يتعلق بمشاغل الدنيا ولا يذكّر بها، ولما كان عليه حال الموجودين فيه من انصراف عنها وتوجه إلى خالقهم، وهو مما يشير إليه قوله تعالى: **(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار)** [النور: 36-37]. فذكر الله وانصراف الجماعة إلى ذلك بالغدو والآصال وعدم الانشغال بالتجارة والبيع عنه وعن إقامة الصلاة وثيق الصلة بالبيوت التي أذن الله أن ترفع، وهي المساجد.

من هنا جاء الأمر بأداء الصلاة في المسجد مع الجماعة، وجاءت نصوص كثيرة تحث على ذلك وتؤكد على فضله، كقوله ρ "من غدا إلى المسجد وراح أعدّ الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح"[5]، وقوله ρ "صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا"[6].

وفضلا عن أهمية الصلاة في جماعة المسجد في خشوع القلب وسكينة البال لتوفير ما يحتاجه الإنسان للعودة إلى فطرته حتى يتمكن من أداء مهمته، فإنها تتضمن بعدا اجتماعيا مهما حيث يلتقي المصلون مرات عديدة في اليوم ليقفوا صفا واحدا، مما شأنه أن يقوي الروابط بينهم. ذلك بالإضافة إلى مركزية المسجد من بين المؤسسات الأخرى، كمؤسسة روحية واجتماعية وتعليمية. فلا تخفى أهمية المسجد في بناء الشخصية المتدينة المتوازنة المؤثرة في المجتمع تأثيرا بناء وفعالا. ولذلك كان من أول ما قام به النبي ρ عندما قدم المدينة هو بناء المسجد، والحث على التردد عليه. وقد جعل النبي

---

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، برقم 662.

[6] أخرجه مسلم في صحيحه، برقم 1040.



ρ بين المسجد والإيمان الحقيقي علاقة جدلية، فروي عنه ρ أنه قال: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله عز وجل **(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)**" [التوبة: 18][7]. وجعل النبي ρ

علاقة الإنسان الوطيدة بالمسجد من أسباب التمتع بظل عرش الرحمن يوم القيامة، فذكر بين السبعة الذين يظلهم الله "رجل قلبه معلق في المساجد"[8]. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على فضل المسجد وأهميته في المهمة التي خلق من أجلها الإنسان.

وهذه النصوص المؤكدة على أهمية الصلاة في المسجد وفي الجماعة قد جاءت أكثرها بصيغ العموم التي لا تفرق بين الرجل والمرأة كـــ"من" و"أحدكم" وغيرها. وحتى التي وردت بالألفاظ الخاصة بالذكور كلفظ "رجل" أو "رجال"، فإنها تخاطب النساء بنفس الدرجة. ولذلك "صرح علماء الأمة بأن خطاب القرآن بصيغة التذكير يشمل النساء"[9]. "ولا تحتاج العبارات من الكتاب والسنة في إجراء أحكام الشريعة على النساء إلى تغير الخطاب من تذكير إلى تأنيث ولا عكس ذلك"[10]، لأن القاعدة أن كلا الجنسين يتساويان إزاء جميع الحقوق والواجبات ما لم يوجد مانع للتساوي.

فجميع الناس متساوون أمام أصل الخطاب الديني لتساويهم في أصل البشرية، ما لم يمنع من ذلك عارض من عوارض المساواة، وهي الفوارق المؤثرة في التساوي بينهم في القضية المعينة. أما إذا كانت الصفات الفارقة غير مؤثرة في التساوي بحيث لا يكون لها مدخل في الحكم أو الخطاب الموجه – وهي الصفات الطردية – وجب الحكم بالتساوي. وهذا ما يسميه الأصوليون "إلحاق المسكوت بالمنطوق بنفي الفارق"، أو "القياس بنفي الفارق".

والقياس بنفي الفارق يكون بين أمرين مشتركين في كثير من الصفات الجامعة، فيبحث عن الفارق، فإذا لم يوجد فارق له مدخل في الحكم بأن يقال: لا فرق بين الفرع والأصل إلا كذا وكذا، وذلك لا مدخل له في الحكم، فيلزم اشتراكهما

[7] أخرجه أحمد في مسنده برقم 11725، والترمذي في سننه برقم 2617، والحديث ضعيف لكن معناه صحيح كما تشهد له الآية المذكورة.

[8] متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم 660، ومسلم في صحيحه برقم 91.

[9] ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ط 3، 1988م، ص 96.

[10] نفس المرجع والصفحة.



في الحكم لاشتراكهما في الموجب له[11]. وقد سمى بعض الأصوليين هذا النوع من القياس "القياس في معنى الأصل"[12] أو "قياس المعنى" وأبى بعضهم أن يسمي هذا قياسا بل اعتبره مندرجا في خطاب الأصل[13].

ومن أمثلته قول رسول الله ρ "من أعتق شركاً له في عبد فكان له مال يبلغ ثمن العبد قوّم عليه قيمة عَدل، فأعطى شركاءه حِصصهم، وعتق عليه العبد، وإلا فقد عتق منه ما عتق"[14]. قال الطوفي: العتق في العبد، والأمة مثله إذ لا تأثير للذكورة والأنوثة في هذا الحكم ونحوه في عُرف الشرع وتصرُّفه، وإن كان للذكورية والأنوثية تأثير في الفرق في بعض الأحكام كولاية النكاح والقضاء والشهادة [...] وكذلك قوله ρ: "أيما رجل وجد متاعه عند رجل قد أفلسَ، فصاحب المتاع أحق بمتاعه"[15]، فنقول: المرأة في معنى الرجل في ذلك، وقوله تعالى: **(فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب)** [النساء: 25]، فنقول: العبيد في معنى الإماء في تنصيف الحد"[16].

وقال الغزالي: "خصص الرجل في قوله: "أيما رجل مات أو أفلس" لأن الغالب أن البيع يصدر من الرجال، فيكون اللفظ خاصا والمراد به عاماً حتى يسبق إلى الفهم منه الإنسان دون الرجل خاصة"[17].

فالأصل دخول المرأة في الخطاب وإن جاء بالألفاظ الخاصة بالرجال، ما لم يؤثر وصف الأنوثة في ذلك. والتمييز بين الأوصاف الطردية والأوصاف المؤثرة يعرف بالأدلة الشرعية. فبقي النظر في مدى تأثير وصف الأنوثة في الصلاة في المسجد وفي الجماعة من عدمه.

---

11 راجع: العطار، حسن بن محمد، **حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع**، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، ج 2، ص 293، والسبكي، علي بن عبد الكافي، وابنه عبد الوهاب السبكي، **الإبهاج في شرح المنهاج**، بيروت دار الكتب العلمية، 1416هـ/1995م، ج 3، ص 87، والزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الوهاب، **البحر المحيط في أصول الفقه**، دار الكتبي، ط 1، 1414هـ/1994م، ج 5، ص 255، والشوكاني، محمد بن علي، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1419هـ/1999م، ص 222.

12 راجع مثلا: الآمدي، سيد الدين علي بن سالم الثعلبي، **الإحكام في أصول الأحكام**، بيروت، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ، ج 4، ص 4، والتلمساني، الشريف محمد بن أحمد، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1430هـ/2009م، ص 143.

13 راجع: الشوكاني، **ارشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول**، مرجع سابق، ج 1، ص435.

14 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم 2522، ومسلم في صحيحه برقم 1501.

15 أخرجه أبو داود برقم 3519، والترمذي برقم 1262، والنسائي برقم 4676، وابن ماجه برقم 2358. حكم الألباني: ضعيف.

16 الطوفي، نجم الدين، **شرح مختصر الروضة**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1407هـ/1987م، ج 3، ص 352.

17 الغزالي، محمد أبو حامد، **أساس القياس**، الرياض، مكتبة العبيكان، ط 1، 1415هـ/1995م، ص 62.



وإذا كانت للصلاة في المسجد وفي الجماعة ما ذكرنا من المصالح العائدة على الإنسان في بعده الروحي والاجتماعي وغيرهما، فلا يمكن ادعاء أن ذلك خاص بالرجل لاشتراك المرأة معه في أصل الإنسانية وما تقتضيه من مقومات واحتياجات، فلا ريب أن المرأة في معنى الرجل في هذه الاستفادة من هذه المصالح. وإذا قلنا بوجود الفارق المؤثر في الالحاق، فلا بد أن يكون ذلك الوصف مؤثرا بحيث تكون مفسدة الإلحاق أكبر من المصلحة العظيمة الكامنة في صلاة الجماعة في المسجد، أو تكون مصلحة عدم الإلحاق أكبر من مصلحة الإلحاق. ولا بد من تنقيح هذا الوصف المؤثر في عدم الإلحاق حتى لا يعلق به ما لا اعتبار له في الحكم وحتى لا يجرد من بعض ما يؤثر فيه.

وعلى هذا الأساس وجب تناول بعض الأخبار التي توحي بعدم إلحاق المرأة بالرجل في تفضيل الصلاة في الجماعة وفي المسجد، بل استحبابها لها في بيتها. كحديث "لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن"[18]. وحديث "صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها"[19]. وحديث "خير مساجد النساء قعر بيوتهن"[20]، إلى غير ذلك من الأخبار العديدة.

وإن كان كل نص من هذه النصوص لا يسلم من مقال من جهة الصناعة الحديثية[21]، إلا أن بعض المعاصرين رأوا أنها ترتقي إلى الصحة بمجموع طرقها[22]. وأكد بعضهم على أن أحاديث الباب كلها منكرة[23] وأن صلاة المرأة في المسجد خير من صلاتها في بيتها إعمالا لعموم الأخبار الدالة على فضل الصلاة في المسجد. قال الشيخ عبد الله الجديع: "الأحاديث في هذا الباب متفاوتة، تقوية بعضها ببعض على ضعف جميعها وبعضها منكر، لا يستقيم على القواعد.

---

18 أخرجه أحمد في مسنده برقم 5468، وأبو داود في سننه برقم 567، وابن خزيمة في صحيحه برقم 1684، وأخرجه الحاكم في مستدركه برقم 755.

19 أخرجه أبو داود في سننه برقم 570، وابن خزيمة في صحيحه برقم 1688.

20 أخرجه أحمد في مسنده برقم 26542، وابن خزيمة في صحيحه برقم 1683، والحاكم في مستدركه برقم 756.

21 بل يوحي كلام بعض المحدثين بالشك في سائر الأحاديث الواردة في هذا الباب، قال ابن خزيمة: "باب اختيار صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد، إن ثبت الخبر، فإني لا أعرف السائب مولى أم سلمة بعدالة ولا جرح، ولا أقف على سماع حبيب بن أبي ثابت هذا الخبر من ابن عمر، ولا هل سمع قتادة خبره من مورق، عن أبي الأحوص أم لا، بل كأني لا أشك أن قتادة لم يسمع من أبي الأحوص"، ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، **صحيح ابن خزيمة**، بيروت، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ، ج 3، ص 92.

22 راجع: العدوي، مصطفى، **جامع أحكام النساء**، القاهرة، دار ابن القيم، ط 1، 1429هـ/2008م، ج 1، ص 237.

23 راجع مثلا: الأمين، محمد، **فضل خروج المرأة من بيتها إلى المسجد**، بحث منشور على موقع الباحث: http://www.ibnamin.com/masjid.htm



زد عليه أنها خرجت عن الأصل في استواء الذكور والإناث في خطاب التكليف، وترك نساء الصحابة لما ورد في هذه الآحاديث الضعيفة من الفضل." [24] ومع ذلك فإن الفقهاء وسائر العلماء كادوا أن يتفقوا على مطلق التمييز بين المرأة والرجل في استحباب الصلاة في المسجد وفي الجماعة ما عدا ابن حزم الظاهري. واختلفوا في جواز جماعة النساء[25] . فذهاب جماهير العلماء إلى القول بأفضـــلية صـــلاة المرأة في بيتها يعني أنهم يأخذون بتلك الأحاديث، فرأينا في هذا الدراســـة أن نخوض في معالجة مضـــمونها مســـايرة لمن يرى ثبوتها للتنبيه على ضـــعف دلالتها على ما ذهبوا إليه من مذهب، على افتراض ثبوت الأحادث، وإن كنا نميل إلى ضـــعفها. وغياب المرأة عن المســـجد واقع تعم به البلوى في سائر أنحاء الأرض، فلا يغني الاكتفاء بتضعيف الأحاديث، بل وجب توجيهها لمن تمسك بصحتها.

فلا يمكن التغاضـــي عن النصـــوص المؤكدة على فضـــل صـــلاة المرأة في بيتها وإن كان ظاهرها متناقض مع غيرها من الأخبار الدالة على عموم فضل الصلاة في المسجد وفي الجماعة، ومع كون المرأة لا تختلف عن الرجل في الاحتياجات الروحية ومجمل الاحتياجات الاجتماعية، كما سنبين لاحقا.

وقبل الشروع في بيان هذا التناقض الظاهري والأخبار التي تدل على خلاف ما تدل عليه أحاديث تفضيل صلاة المرأة في بيتها، يجدر بنا أن نبحث في علة الحكم بتفضـيل صـلاة المرأة في بيتها – على افتراض صـحة الأحـاديث – عسـى أن تتحرر المسألة ويرتفع التناقض بظهور محل التفضيل.

[24] وردت هذه الستور في مراسلات بين الشيخ الجديع والباحث.

[25] جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: "أما بالنسبة للنساء: فعند الشافعية والحنابلة يسن لهن الجماعة منفردات عن الرجال، سواء أأمهن رجل أم امرأة، لفعل عائشة وأم سلمة - رضي الله تعالى عنهما - وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أم ورقة بأن تجعل لها مؤذنا يؤذن لها وأمرها أن تؤم أهل دارها. ولأنهن من أهل الفرض، فأشبهن الرجال، أما الحنفية: فإن الجماعة للنساء عندهم مكروهة، ولأن خروجهن إلى الجماعات قد يؤدي إلى فتنة، ومنع المالكية جماعة النساء، لأن من شروط الإمام أن يكون ذكرا، فلا تصح إمامة المرأة لرجال، ولا لنساء مثلها، وإنما يصح للمرأة حضور جماعة الرجال إذا لم تكن مخشية الفتنة". **الموسوعة الفقهية الكويتية**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، من 1404هـ إلى 1427 هـ، الأجزاء 1-23: ط 2، الكويت، دار السلاسل، الأجزاء 24-38: ط 1، مصر، مطابع دار الصفوة، الأجزاء 39-45: ط 2، طبع الوزارة، ج 27، ص 167.



ثانيا: المرأة والمسجد

أ. موقف النبي ρ من اعتياد النساء المساجد

1. جواز أداء المرأة صلاتها في المسجد

لقد كان النبي ρ ينهى الأزواج عن منع زوجاتهم من الذهاب إلى المساجد، ومن ذلك ما جاء في قوله ρ "لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنّكم إليها"[26]، وقوله ρ "إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها"[27]، وقوله ρ "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"[28]، وقوله "ائذنوا للنسَاء بالليل إلى المساجد"[29]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "أعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بالعشاء [أي أخرها حتى اشتدت عتمة الليل وهي ظلمته]، وذلك قبل أن يفشو الإسلام، فلم يخرج حتى قال عمر: نام النساء والصبيان [أي من ينتظر الصلاة منهم في المسجد]، فخرج فقال لأهل المسجد: «ما ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم»"[30]، ففي الحديث دلالة على وجود النساء في المسجد.

وكان النساء يحضرن صلاة الجماعة مع النبي ρ في مسجده منذ تأسيسه إلى وفاته ρ، وكنَّ يصلين كذلك في المساجد والمصليات المختلفة في المدينة وحولها[31]. وهكذا ظلت النساء يشهدن الجماعة معه ρ خلال عشر سنين، من الفجر إلى العشاء، ليلا ونهارا، فريضة ونافلة. وأمرهم ρ بحضور صلاة العيدين، حتى ذوات العواتق[32] والمحيض منهن. وأباح لهن حضور صلاة الجنازة والخسوف والكسوف والاعتكاف[33]. وروت عائشة رضي الله عنها "أن النبي ρ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده"[34]. كما أباح لهن حضور الحلقات التعليمية،

---

[26] أخرجه مسلم في صحيحه برقم 135.

[27] متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5238، ومسلم في صحيحه برقم 134.

[28] متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم 900، ومسلم في صحيحه برقم 136.

[29] متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم 899، ومسلم في صحيحه برقم 139.

[30] متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم 566، ومسلم في صحيحه برقم 218 ومعه هذا الشرح لمحمد فؤاد عبد الباقي.

[31] راجع: أبو شقة، عبد الحليم، **تحرير المرأة في عصر الرسالة**، القاهرة، دار القلم، القاهرة، ط 7، 1432هـ/2011م، ج 3، ص27.

[32] العواتق جمع عاتق، وهي الفتاة التي تجاوزت الحلم.

[33] راجع: أبو شقة، عبد الحليم، **تحرير المرأة في عصر الرسالة**، ج 3 ص28.

[34] متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم 2026، ومسلم في صحيحه برقم 1172.



وغير ذلك من الأنشطة والمناسبات[35]. فما كان النبي ρ يكتفي بالسماح للنساء بحضور الصلاة في المسجد فحسب، بل كان يحثهن على الخروج إليه في مناسبات، وكان يشركهن في حياة المسجد وما يقع فيه من نشاط.

وقد كان النبي ρ ييسر الظروف لحضور النساء الجماعة، فقد قدم ρ صلاة العشاء من أجلهن مع أنه ρ كان يأمر بتأخيرها، وتجوّز في صلاته من أجل بكاء طفل حتى لا يشق على أمه[36]. وحتى في الأوضاع التي قد توحي باقتضاء منعهن من حضور الجماعة بسبب الخوف على حياتهن أو أعراضهن أو بسبب الفتنة، قد سمح لهن النبي ρ فيها بالخروج إلى المسجد، ومن ذلك خروجهن بالليل، كما سبق من قوله ρ "ائذنوا للنسَاء بالليل إلى المساجد"[37]. ومن ذلك إمكان اطلاعهن على عورات الرجال، كما جاء في قوله ρ "خير صفوف الرجال المقدم، وشرها المؤخر، وشر صفوف النساء المقدم، وخيرها المؤخر. ثم قال: يا معشر النساء، إذا سجد الرجال فاغضضن أبصاركن، لا ترين عورات الرجال؛ من ضيق الأزر"[38].

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: "كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه، فأنزل الله تعالى **(ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين)**" [الحجر: 24][39]. فلم يعاتب القرآن المرأة عندما نزل في حق هؤلاء، ولم يمنعها النبي ρ من حضور الجماعة لما تسببه من افتتان للرجال.

وهكذا قدم النبي ρ المصلحة التي يشتمل عليها حضور النساء للجماعة في المسجد على ما قد يترتب عليها من مفاسد، مما يدل على أهمية ذلك الحضور ورجحان مصالحه على مفاسده.

---

35 راجع: أبو شقة، عبد الحليم، **تحرير المرأة في عصر الرسالة**، ج 3 ص28.

36 راجع كل ذلك في المرجع السابق، ج 3، ص 27.

37 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم 899، ومسلم في صحيحه برقم 139.

38 أخرجه أحمد في مسنده برقم 14123. حكم الأرنؤوط: حديث صحيح.

39 أخرجه أحمد في مسنده برقم 2783، والترمذي في سننه برقم 3122، والنسائي في سننه برقم 870، وابن ماجة في سننه برقم 1046، قال الشيخ الألباني: "رواه أصحاب "السنن" وغيرهم كالحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا". الألباني، جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة، ص 70.



2. نهي النساء عن المسجد لم يرد إلا في حالة التطيب

لم يرد في القرآن والسنة منع للنساء من حضور المساجد في أي حال من الأحوال إلا حالة واحدة هي التطبيب كما جاء في قول النبي ρ "أيُّما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة"[40] . وقال ρ: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرجن وهن تفلات"[41] .

إن الإسلام لم يتجاهل ما فطر عليه الإنسان من ميل إلى الجنس الآخر ولم يطالب الإنسان بطمسه، بل جاء بأحكام وتوجيهات تقصد إلى ضبط الغريزة الجنسية وتنظيمها، كالزواج وغض البصر وستر العورة، الخ. وبعض هذه الأحكام والتوجيهات جاءت خاصة بالمرأة، لأن إغراءها الجسدي للرجل أكبر بكثير من إغراء الرجل الجسدي لها، ومن هنا قال تعالى: (**زين للناس حب الشهوات من النساء**) [آل عمران: 14]، فبدأ بالنساء ولم يذكر الرجال.

وما جاء من نهي عن خروج المرأة إلى المسجد في حال التطيب يدخل ضمن هذا الإطار إذ أن التطيب ذريعة إلى إغراء الرجال وإشعال غريزتهم الجنسية، ولذلك لم يكن هذا النهي مقتصرا على الخروج إلى المساجد بل جاء مطلقا كما تدل عليه الأحاديث. هذا لمن قال بمطلق تحريم خروج المرأة متطيبة.

وقد ضعف بعض العلماء الأحاديث الناهية نهيا مطلقا عن خروج المرأة متعطرة إلى المسجد، أو حملوا مطلقها على الأحاديث المقيدة بصلاة العشاء أو بطلب إيجاد الريح. فذهب بعضهم إلى أن التحريم الوارد في الحديث مقيد بصلاة العشاء، لما يخشى عليها عند خروجها بالليل من تعرض للاعتداء بسبب ما قد يجده بعض ممن في قلوبهم مرض من ريحها. "قال ابن الملك: والأظهر أنها خصت بالنهي لأنها وقت الظلمة وخلو الطريق، والعطر يهيج الشهوة، فلا تأمن المرأة في ذلك الوقت من كمال الفتنة، بخلاف الصبح والمغرب، فإنهما وقت فاضح"[42] .

وذهب بعضهم إلى أن النهي خاص بالمبالغة في التطيب ليجد الناس ريح المرأة كما يفهم من ظاهر قوله "أيما امرأة استعطرت، فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية"[43] ، فقالوا أن اللام هنا للتعليل، فلا تدخل المرأة في النهي والإثم إلا إذا

---

[40] أخرجه مسلم في صحيحه برقم 143.

[41] أخرجه أبو داود في سننه برقم 565. حكم الألباني: حسن صحيح.

[42] علي القاري، محمد الخطيب التبريزي الملا الهروي، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، بيروت، دار الفكر، ط 1، 1422هـ/2002م، ج 3، ص 837.

[43] أخرجه أحمد في مسنده برقم 19711، والنسائي في سننه برقم 9361. قال الأرنؤوط: إسناده جيد.



كان قصدها بالتعطر فتنة الرجال. قال ابن رشد الجد معلقا على عدم نهي الإمام مالك عن لبس المرأة الخلخال: "لأن الذي يحرم عليهن إنما هو ما جاء النهي فيه من أن يقصدن إلى إسماع ذلك وإظهاره من زينتهن لمن يخطرن عليه من الرجال: قال الله عز وجل: **(ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)** [النور: 31] ومن هذا المعنى ما روي من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أيما امرأة استعطرت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية»"[44] . واستدل المجيزون لخروج المرأة متطيبة بقول عائشة رضي الله عنها: "كنا نخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة فنضمد جباهنا بالسك المطيب عند الإحرام، فإذا عرقت إحدانا سال على وجهها فيراه النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينهاها"[45] . إلى غير ذلك من أوجه الخلاف بين العلماء في هذه القضية. والملفت للنظر ههنا هو أن سائر أحاديث النهي عن خروج المرأة متطيبة جاءت في سياق خروجها إلى الصلاة، مما يوحي بعلاقة سببية بين الصلاة في الجماعة والنهي عن تطيب النساء لعلها تعود إلى جملة الترتيبات والأحكام التي أثبتتها الشريعة مراعاة لمقصد الخشوع كما سيأتي.

وأيا ما كان الأمر (سواء أكان النهي مطلقا أم مقيدا بصلاة العشاء أم بنية الاغراء أم لعلة الخشوع)، فالنهي هنا متعلق بذريعة من ذرائع الافتتان بالمرأة ولا يدل على أنها فتنة في ذاتها، فلم يكن النهي متعلقا بخروجها إلى المسجد بل بما قد يصحب ذلك من ذرائع الافتتان. وأما قول النبي ρ "المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها"[46] ، فإنما يدل على شدة اغراء المرأة للرجل، ولذلك يستشرفها الشيطان، فإن الشيطان يتعلق بكل ما من شأنه أن يكون ذريعة للإغواء سواء عند الرجل أو عند المرأة، إلا أن الاغراء الجسدي أشد عند المرأة، مما من شأنه أن يعود عليها والرجل بالضرر، فوجب أن لا تبدي من زينتها إلا ما أباح لها الشرع من أجل حفظها وإبعاد حيلة الشيطان عنها وعن الرجل[47] .

---

[44] ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1408هـ/1988م، ج 17، ص 625.

[45] أخرجه أحمد في مسنده برقم 24502، وأبو داود في سننه برقم 1830 واللفظ له. حكم الألباني: صحيح.

[46] أخرجه البزار في مسنده برقم 2061، وابن خزيمة في صحيحه برقم 1685، وقال الألباني اسناده صحيح، وقال الشيخ عبد الله الجديع "الراجح أنه حديث ضعيف مرفوعًا، صحيح من قول عبد الله بن مسعود ".

[47] راجع: أبو شقة، عبد الحليم، **تحرير المرأة في عصر الرسالة**، مرجع سابق، ص 695.



فالإغراء بالجنس الآخر أمر طبيعي (بل مقصود في حدود معينة) وقد وضعت الشريعة بين الرجل والمرأة حمى متألف من الذرائع التي قد تؤدي إلى جريمة الزنا. وإذا كانت تلك الأحكام أشد وضوحا عند المرأة، فذلك لما أشرنا إليه من قوة انجذاب الرجل للمرأة جسديا، فجاءت الشريعة بهذا الصدد بأحكام خاصة بالمرأة تقصد إلى رفع المرأة في نظر الرجل من مجرد جسد يشتهى إلى كائن عاقل ذو شخصية ومهارات، جدير بالاحترام والتقدير.

ب. آراء الفقهاء في هذه المسألة

ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز ذهاب المرأة إلى المسجد، إلا أنهم قالوا بمطلق تفضيل أدائها في بيتها وجعلوه هو الأصل. وقد جاءت الترجمة والتبويب في كثير من كتب الحديث والفقه تحت عنوان: "فضل صلاة المرأة في بيتها"[48]. وقد أشرنا من قبل إلى أن ابن حزم لم يذهب هذا المذهب ولم يفرق بين المرأة والرجل في هذه المسألة. وقد بنى رأيه على نسخ قوله ρ "صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مُخدعها أفضل من صلاتها في بيتها"[49]. وكلمة "مخدعها" الواردة في الحديث قد وردت عند أبي محمد بن حزم بكلمة "مسجدها"[50]. ومن هنا ذهب إلى تفضيل صلاة المرأة في المسجد على صلاتها في بيتها، قائلا "وأما قوله – عليه السلام –: «إن صلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في مسجدها»، وصلاتها في مسجدها أفضل من خروجها إلى صلاة العيد منسوخ بقوله – عليه السلام –: «إن صلاتها في مسجدها أفضل من صلاتها في بيتها» وحضه على خروجها إلى صلاة العيد. ولا يجوز أن نقطع على نسخ خبر صحيح إلا بحجة.

فنظرنا في ذلك: فوجدنا خروجهن إلى المسجد والمصلى عملا زائدا على الصلاة؛ وكلفة في الأسحار والظلمة والزحمة والهواجر الحارة؛ وفي المطر والبرد؛ فلو كان فضل هذا العمل الزائد منسوخا لم يخل ضرورة من أحد وجهين لا ثالث لهما: إما أن تكون صلاتها في المسجد والمصلى مساوية لصلاتها في بيتها؛ فيكون هذا العمل كله لغوا وباطلا، وتكلفا وعناء، ولا يمكن غير ذلك أصلا؛ وهم لا يقولون بهذا، أو تكون صلاتها في المساجد والمصلى منحطة الفضل عن صلاتها في

---

[48] قال ابن خزيمة: "باب اختيار صلاة المرأة في حجرتها على صلاتها في دارها وصلاتها في مسجد قومها على صلاتها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت صلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد وهو الدليل على أن قول النبي صلى الله عليه وسلم "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه" من المساجد إنما أراد به صلاة الرجال دون صلاة النساء". ابن خزيمة، محمد أبو بكر بن إسحاق، **صحيح ابن خزيمة**، بيروت، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ، ج 3، ص 94.

[49] أخرجه أبو داود في سننه برقم 570. صححه جماعة من المحدثين منهم ابن حبان والحاكم والذهبي والألباني والأرنؤوط وغيرهم.

[50] راجع: ابن حزم، أبو محمد علي الأندلسي الظاهري، **المحلى بالآثار**، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، ج 2، ص 175.



بيتها كما يقول المخالفون، فيكون العمل المذكور كله اثما حاطا من الفضل، ولا بد؛ إذ لا يحط من الفضل في صلاة ما عن تلك الصلاة بعينها عمل زائد إلا وهو محرم، ولا يمكن غير هذا.

وليس هذا من باب ترك أعمال مستحبة في الصلاة، فيحط ذلك من الأجر لو عملها؛ فهذا لم يأت بإثم لكن ترك أعمال بر، وأما من عمل عملا تكلفه في صلاته فأتلف بعض أجره الذي كان يتحصل له لو لم يعمله، وأحبط بعض عمله: فهذا عمل محرم بلا شك لا يمكن غير هذا.

وليس في الكراهة إثم أصلا، ولا إحباط عمل؛ بل فيه عدم الأجر والوزر معا، وإنما الإثم إحباط على الحرام فقط وقد اتفق جميع أهل الأرض أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يمنع النساء قط الصلاة معه في مسجده إلى أن مات – عليه السلام –؛ ولا الخلفاء الراشدون بعده، فصح أنه عمل منسوخ؛ فإذْ لا شك في هذا فهو عمل بر، ولولا ذلك ما أقره – عليه السلام–، ولا ترَكَهن يتكلفنه بلا منفعة، بل بمضرة، وهذا العسر والأذى، لا النصيحة. هذا لو صح ذانك الحديثان فكيف وهما لا يصحان؟"[51].

فابن حزم — في حدود علمنا — أول من لاحظ التناقض بين النصوص التي يقتضي ظاهرها مطلق تفضيل صلاة المرأة في بيتها وغيرها من الأخبار. إلا أنه لم يوفق في رفع التناقض وتحرير المسألة، إذ أنه لجأ إلى النسخ والتضعيف. أما التضعيف، فلم يقل به جل العلماء، بدليل تخصيصهم فضل المساجد بالرجال دون النساء كما سبق. أما النسخ، فقد رد عليه بعض الباحثين بأنه لا يمكن القول بالنسخ لعدم التناقض وعدم معرفة المتقدم والمتأخر[52]. وهو رد ضعيف؛ فأما معرفة المتقدم والمتأخر، فإن مشاهدة النساء الجماعات في المساجد كانت إلى وفاة النبي ρ وامتدت إلى عصور الصحابة ومن بعدهم. وأما التعارض بين الأحاديث التي تحث على حضور الجماعة والتي تحث على الصلاة في البيت فواضح كما ظهر من كلام ابن حزم. وكذلك فإن قلنا بأفضلية صلاة المرأة في بيتها فإما أن يكون ثواب صلاتها في بيتها بمثابة صلاة المنفرد وكذلك صلاتها في المسجد، وهذا يتنافى مع مبدأ المساواة حيث ينال الرجل المصلي في جماعة المسجد ثواب سبع وعشرين صلاة من دون المرأة. وإما أن تكون صلاتها في بيتها بثواب سبع وعشرين صلاة، وهو كذلك متناقض مع مبدأ المساواة لزيادة الكلفة على الرجال في الحصول على نفس الثواب بدون أن يظهر وجه ذلك التكليف الإضافي، أو بحصول المرأة على أجر يحصل عليه الرجل بدون أن تتكلف ما يتكلفه الرجل في الحصول عليه دون أن

---

[51] المرجع السابق، ج 2، ص 175-176.

[52] راجع: العدوي، مصطفى، **جامع أحكام النساء**، مرجع سابق، ج 1، ص 341.



تظهر علة ذلك التفريق. بالإضافة إلى أن ذلك متناقض مع عمل كثير من النساء في عهد رسول الله ρ ومع عموم قوله ρ "صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة"[53]، ومع عموم قول ρ "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام"[54]. فهذا يقتضي أن المرأة لا تحصل على أجر ألف صلاة عند شهودها الجماعة في مسجد النبي ρ حيث إن صلاتها في بيتها أفضل، أو أن صلاتها في بيتها أفضل من ألف صلاة في أي مسجد من المساجد بما في ذلك مسجد النبي ρ، ولا يقول بذلك أحد من العلماء.

قال الشيخ الألباني: "وهو [أي حديث تفضيل صلاة المرأة في بيتها عن صلاتها في المسجد النبوي] من جملة المخصِّصات لقوله صلى الله عليه وسلم: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد؛ إلا المسجد الحرام". رواه مسلم. فهو يدل على أن هذا الفضل خاص بالرجال دون النساء، وأن صلاتهن في بيوتهن خير من الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم ومنه تعلم أن تهافت النساء على الصلاة فيه ولا سيما في موسم الحج؛ مما يدل على جهلهن بالشرع، أو استهتارهن بإرشاده، ولاسيما والكثير منهن يخالطن الرجال حتى في شدة الزحام، وذلك عند خروج الرجال من المسجد، فإلى الله المشتكى من قلة حيائهن، وقلة غَيرة رجالهن. هذا ما كنت قلته في الطبعات السابقة، ثم بدا لي أنه لا مسوغ لادعاء التخصيص، وأن الصواب ترك الحديث على عمومه، فيشمل النساء أيضًا، وأنه لا ينافي أن صلاتهن في بيوتهن خير لهن، كما لا ينافي أن صلاة السنة في البيت أفضل من صلاتها في المسجد، لكنه لو صلاها في مسجد من المساجد الثلاثة يكون له أجر التفضيل الخاص بها، والمرأة كذلك. ولهذا؛ فالتهافت المذكور لا داعي له على كل حال، فعلى النساء المسلمات الانتهاء عنه، وبذلك تزول كثير من المفاسد، والله من وراء المقصد"[55].

فظاهر كلام الألباني أنه يقيس تفضيل صلاة المرأة في بيتها على تفضيل صلاة النافلة في البيت من حيث ترتب الأجر. فتكون صلاتها في البيت خير لها من صلاتها في المسجد النبوي، إلا أنها تنال أجر التفضيل الخاص بالمساجد الثلاثة لو

---

[53] أخرجه البخاري في صحيحه برقم 612.

[54] أخرجه البخاري في صحيحه برقم 1122.

[55] الألباني، ناصر الدين، **جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة**، القاهرة، دار السلام، ط 3، 1423هـ/2002 م، ص 55.



صلتها فيها. وعلة تفضيل صلاة النافلة في البيت كما جاءت عند العلماء هي الابتعاد عن الرياء[56]، ويضاف إليها علة الانصراف عن الخشوع حيث إن المصلي ليس له أن يخشع ويرائي في آن واحد، كما يفهم من قوله تعالى: **(يرآؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا)** [النساء: 142]. فالرياء والانصراف عن الخشوع من شأنهما أن يقللا أجر الصلاة بل أن يبطلاه، فكان من المناسب أن تكون صلاة النافلة في البيت أفضل من صلاتها في المسجد. أما إن صلاها المصلي في إحدى المساجد الثلاثة، فإنه يكون له أجر التفضيل مع احتمال حبوطه بالرياء وعدم الخشوع، أما إذا صلاها في البيت، فيكون له نفس ذلك الأجر مع تقليل ذلك الاحتمال وفوائد أخرى مترتبة على ذلك[57]. ومن هنا كانت صلاة النافلة في البيت أفضل من صلاتها في المساجد الثلاثة مع بقاء الأجر قائما في الحالتين. قال في مغني المحتاج: "وأفضله أي: الانتقال للنفل من موضع صلاته إلى بيته، لقوله صلى الله عليه وسلم: صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته لا المكتوبة. رواه الشيخان، وسواء في هذا المسجد الحرام ومسجد المدينة والأقصى وغيرها، لعموم الحديث، والحكمة فيه بعده من الرياء، ولا يلزم من كثرة الثواب التفضيل."[58] أي ليس كثرة الثواب في المساجد الثلاثة يلزم أن تكون الصلاة فيها أفضل، لما ذكرناه من مظنة الرياء. فتكون صلاة النفل في البيت لمن كان بمكة أو المدينة أو القدس بنفس المضاعفة مع فضل اجتناب مظنة الرياء، قال ابن حجر: "ويمكن أن يقال لا مانع من إبقاء الحديث على عمومه [أي للفريضة والنافلة] فتكون صلاة النافلة في البيت بالمدينة أو مكة تضاعف على صلاتها في البيت بغيرهما وكذا في المسجدين وإن كانت في البيوت أفضل مطلقا."[59].

---

[56] راجع: **الموسوعة الفقهية الكويتية**، مرجع سابق، ج 37، 251.

[57] منها حكمة إنعاش البيوت بالذكر وحمل الأطفال على الاقتداء وحب الصلاة، قال ρ "اجعلوا في بيوتكم من الصلاة ولا تتخذوها قبورا". متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم 432، ومسلم في صحيحه برقم 777. وقال ρ "إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده، فليجعل لبيته نصيبا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا". أخرجه مسلم في صحيحه برقم 778.

[58] الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ/1994م، ج 1، 394.

[59] العسقلاني، الحافظ ابن حجر أحمد أبو الفضل، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ، ج 3، ص68.



وهذا تخريج من شأنه أن يرفع بعض التناقض المتعلق بما أشرنا إليه من الأجر الإضافي في البيت أو في المسجد، فلا يكون التفضيل متعلقا بالأجر بل بالمحيط الأقرب إلى ملائمة مقاصد الصلاة وفوائدها. فتكون صلاة المرأة في بيتها بنفس المضاعفة مع أفضليتها في البيت قياسا على صلاة النافلة في المساجد الثلاثة.

إلا أن هذا يفتقر إلى الدليل، فإنه لا يُسّلم بالقياس على صلاة النافلة لأن معنى تفضيل صلاة النافلة في البيت ظاهر كما بيناه أعلاه، أما تفضيل صلاة المرأة في بيتها، فهل يعود إلى ما من شأنه أن يقلل أجر صلاتها في جماعة المسجد أو يحبطه؟ وكذلك فإن الاشكال لا يزال قائما بين عموم قول النبي ρ "فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة"[60] وسائر الأحاديث الحاثة على حضور جماعة المسجد حثا عاما يتناول الرجال والنساء، وبين مطلق قوله بتفضيل صلاة المرأة في بيتها. فإن حمل هذه الأخبار الأخيرة على مطلق التفضيل يتعارض مع عموم تلك الأخبار الأولى ومع تقييد التفضيل بالصلاة المكتوبة الموجه توجيها عاما في الحديث السابق الذكر؛ فإما أن يخصص هذا الحديث بتلك (أي يكون قوله ρ "أيها الناس" و"صلاة المرء" خاصا بالرجال دون النساء)[61] وكذلك سائر الأحاديث الحاثة على الجماعة، أو تقيد تلك بهذا (أي يكون قوله بتفضيل صلاة المرأة في بيتها مقيدا بصلاة النافلة دون المكتوبة) أو غير ذلك من أوجه التأويل، وأيا منها يفتقر إلى نظر وتحرير، وهو ما سننظر فيه لاحقا.

وعلى أي حال، فالذي يتأكد هنا هو أنه لا يمكن حمل أحاديث فضل صلاة الجماعة وصلاة المرأة في بيتها على ظاهرها دون رفع التناقض الظاهري بما يشفي الغليل من تخصيص أو تأويل أو تقييد أو غيره، فإذا تعذر كل ذلك فلا مانع من اللجوء إلى الملاذ الأخير، أي القول بالنسخ ما دامت تتوفر شروطه. وإن لم نر تبريرا في لجوء ابن حزم إلى النسخ في هذه المسألة لإمكان رفع التعارض في رأينا. إلا أننا نلاحظ تقصيرا واضحا لدى الفقهاء في رفع هذا التناقض، وبيان وجه تخصيص الأحاديث الدالة على أفضلية صلاة الجماعة في المسجد بالرجال دون النساء بدل تقييد أو تأويل مطلق تفضيل صلاة المرأة في بيتها. بل لم يلتفت كثير منهم إلى التعارض، وإنما عالجوا قضية فضل صلاة الجماعة من جانب

---

[60] أخرجه البخاري في صحيحه برقم 731.

[61] وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء، راجع مثلا: العسقلاني، الحافظ ابن حجر أحمد أبو الفضل، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج 2، ص 15، والمناوي، زين الدين محمد الحدادي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط 1، 1356هـ، ج 2، ص42، والشوكاني، محمد بن علي اليمني، **نيل الأوطار**، مصر، دار الحديث، ط 1، 1413هـ/1993م، ج 3، ص 94.



بدون بيان إذا كان ذلك الفضل خاصا بالرجال من دون النساء أو في بعض الأحوال دون بعض وعلاقته مع صلاة المرأة في بيتها، إلى غير ذلك. وحتى الذين تنبهوا لهذا التعارض، فإنهم لم يوفقوا في رفعه بما يشفي الغليل.

أما ما أشرنا إليه من إشكال على مستوى مبدأ المساواة حيث إن قاعدة المساواة تقتضي أن يتساوى الرجل مع المرأة في الأجر والثواب المترتب على التكليف إلا لعلة صحيحة عارضة للمساواة لمصلحة راجحة: فهناك من علّل تفضيل صلاة المرأة في بيتها بحق الزوج على زوجته في ملازمة البيت[62]. لكن لا توجد قرينة تبرر تعليل الأفضلية بهذه العلة، بل إنها مخالفة لنهيه ρ الأزواج من منع زوجاتهم عن المساجد. بل لا دليل من قرآن ولا سنة على أن ملازمة البيت حق من حقوق الأزواج.

إلا أن أغلب الفقهاء قد عللوا تفضيل صلاتها في بيتها بسد ذريعة الفتنة، ونذكر ما قاله ابن حجر بهذا الصدد: "وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث وغيره ما يدل على أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد. ووجه كون صلاتها في الإخفاء أفضل تحقق الأمن فيه من الفتنة ويتأكد ذلك بعد وجود ما أحدث النساء من التبرج والزينة ومن ثم قالت عائشة ما قالت"[63]. وعلى هذه العلة – أي الفتنة – رتبوا كثيرا من الاجتهادات؛ كالتفريق بين الشابة والعجوز والقبيحة وذات الجمال في الخروج إلى الجماعة والجمعة والأعياد، والخروج بالليل والنهار، وفي النهي عن التسليم والتشميت[64]، وعلى ذلك الأساس منع أكثرهم النساء من الأذان والإقامة والجهر بالقراءة، إلى غير ذلك من الاجتهادات الكثيرة[65].

---

[62] جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: "قال النووي: يستحب للزوج أن يأذن لزوجته في شهود الجماعة في المسجد لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهن تفلات. أي تاركات للطيب. ولحديث ابن عمر مرفوعا إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن. غير أنه يكره للمرأة حضور جماعة المسجد إذا ترتب على خروجها من البيت وحضورها الجماعة فتنة، وللزوج منعها من ذلك، ولا يأثم. وحُمل النهي في الحديث على نهي التنزيه؛ لأن حق الزوج في ملازمة البيت واجب فلا تتركه للفضيلة". **الموسوعة الفقهية الكويتية**، مرجع سابق، ج 8، ص 232.

[63] العسقلاني، الحافظ ابن حجر أحمد أبو الفضل، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج 2، ص 349.

[64] راجع: **الموسوعة الفقهية الكويتية**، مرجع سابق، ج 12، ص 30.

[65] راجع بعض ذلك في: العسقلاني، الحافظ ابن حجر أحمد أبو الفضل، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج 11، ص34.



وإن أمر النبي ρ سائر النساء دون تمييز بينهن بالخروج إلى الأعياد حتى الحائض منهن، بل صرح ρ بالأمر بخروج الشابات منهن (ربات الخدور)، فمع ذلك "ذهب المالكية، والشافعية، والحنابلة إلى كراهة خروج الشابات وذوات الجمال لصلاة العيدين لما في ذلك من خوف الفتنة، ولكنهم استحبوا في المقابل خروج غير ذوات الهيئات منهن واشتراكهن مع الرجال في الصلاة. ويختلف الحكم عند الحنفية في إباحة خروج النساء إلى صلاة العيدين بين كون المرأة شابة أو عجوزا. أما الشابات من النساء وذوات الجمال منهن، فلا يرخص لهن"[66] . ولا يخفى ما في ذلك الرأي – أي التفريق بين الشابة والعجوز في الخروج إلى صلاة العيد – من مخالفة لصريح الحديث (الآمر بخروج الشابات)، مخالفة سوغها تقديم مفهوم الفتنة على النصوص الصريحة، فضلا عن ما رتبوا عليه من آراء لا دليل عليها من قرآن أو سنة (كالنهي عن التسليم والتشميت والأذان والقراءة الجهرية وغير ذلك).

ورتبوا على هذه العلة كذلك التفريق بين الخروج إلى الجماعة بالليل وبالنهار كما ذهب إليه الحنفية حيث أجازوه بالليل وكرهوه بالنهار. بل هناك من قيد الأحاديث الناهية عن منع المرأة من الخروج إلى المسجد بالخروج بالليل، أما بالنهار فيجوز منعهن[67] .

وإذا كان الإسلام أباح للمرأة الخروج من بيتها إلى الأسواق وسائر الأماكن لأي سبب من الأسباب المشروعة ولو كانت مصلحته صغيرة بدون أن يرد في ذلك نهي تحريم أو كراهية، – بل إن نساء النبي ρ كانت تخرج لقضاء حوائجهن مع ما نزل في حقهن من أمر بملازمة البيوت – ما دامت لم تتلبس بذرائع الافتتان المذكورة في النصوص، فإن إباحة خروجها إلى المسجد في ذلك الحال أولى من خروجها إلى غيره من الأماكن لما يشتمل عليه من عظيم المصلحة كما أوضحنا. فإذا قلنا بكراهية خروجها إلى المساجد لعلة الفتنة وجب منعها من الخروج إلى غيره من الأماكن منع تحريم، ولم يقل بذلك أحد في ما نعلم ولم يدل على ذلك دليل.

فبهذا لا يمكن أن تكون الفتنة هي السبب وراء تفضيل صلاتها في بيتها، فما هو السبب الحقيقي إذن؟

---

[66] **الموسوعة الفقهية الكويتية**، مرجع سابق، ج 27، ص 242.

[67] راجع: الحافظ العراقي وابنه، **طرح التثريب في شرح التقريب**، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، وابنه أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين ابن العراقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ج 2، ص 315.



ثالثا: أوصاف الأنوثة المناسبة لتمييزها عن الرجل في فضل المساجد

أ. احتياجات المرأة الروحانية أو الخشوع

لقد سبقت الإشارة إلى أن الصلاة أول وسيلة وضعتها الشريعة ليتمكن الإنسان من المحافظة على فطرته والعودة إليها، مما يمثل أول شروط تمكن الإنسان من أداء المهمة التي خلق من أجلها. فمقصود الصلاة المحافظة على الصلة الدائمة مع الله تعالى حتى يعيش الإنسان حياة روحية بجانب حياته المادية تمكنه من الشعور بما يدور بنفسه مما قد يبعدها عن فطرتها، ومن تزكية روحه منها، وليس المقصود ظواهرها ورسومها بدون التوجه إلى الله بالقلب والخشوع بين يديه، فهذا هو روح الصلاة الذي شرعت لأجله[68].

فأهم ما ينبغي الحرص عليه والسعي إلى توفير أسبابه لتحقق الصلاة غرضها هو الخشوع، وذلك بأن تؤدى بحضور القلب والعقل بقدر الإمكان. ومن هنا جاءت الشريعة بأحكام كثيرة ترمي كلها إلى نفس المقصد، ألا وهو تحقيق الخشوع في الصلاة ودفع عوارضه؛ ابتداء من نفس صفة الصلاة واستقبال القبلة والتأني في القراءة والطمأنينة، إلى النهي عن الاحتقان بالحدث في الصلاة، والنهي عن حضور الجماعة في حال أكل ما قد يتأذى المصلون برائحته، وتقديم الطعام على الصلاة حتى لا ينشغل بال المصلي بالأكل، والنهي عن الإسراع إلى الصلاة لمنافاته للسكينة ولما قد يترتب عليه من تلهث يصرف المصلين عن الخشوع، والنهي عن المرور بين يدي المصلي، واجتناب الأماكن المزخرفة حتى لا تلفت النظر، والنهي عن الصلاة في معاطن الإبل لما في الإبل من النفار والشرود من شأنهما التشويش على المصلي، والنهي عن الحركة غير المعتادة في صلاة، والنهي عن الالتفات وصرف البصر والكلام والضحك وغير ذلك من الأحكام والنصوص الكثيرة القاصدة إلى تيسير أسباب الخشوع في الصلاة[69]. ومنها ما قد أشرنا إليه من قبل من تجوّز النبي ρ في الصلاة حتى لا يشق على أم الصبي الباكي. ومن ذلك ما بيناه من قبل من أهمية تعلق الصلاة بالمسجد حيث إنه يمثل المكان المخصص للقاء مع الله تعالى والمجرد عن الأشغال الدنيوية، ومن أهمية إقامتها في الجماعة لما يساعد عليه انصراف الجماعة عن غيرها من الأعمال وتوجههم جميعا إلى هذا العمل السامي. وقد بينا من قبل أن المرأة لا تختلف

[68] راجع: رضا، محمد رشيد بن علي، **تفسير المنار**، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج 1، ص 242.

[69] راجع جملة من الأحاديث الواردة بهذا المعنى في: العسقلاني، الحافظ ابن حجر أحمد أبو الفضل، **بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، باب الحث على الخشوع في الصلاة، الرياض، دار أطلس، ط 3، 1421هـ/2000م، ج 1، ص 61.



عن الرجل في ضرورة تلبية مطالبها الروحية وفي الحاجة إلى مصالح الصلاة لمشاركتها له في الإنسانية. فإذا كانا على هذه الدرجة من التماثل على مستوى المطالب الروحية، فما هو الفرق بينهما الذي يصلح علة في تمييز أحدهما على الآخر في إحدى وسائل تعزيز مقاصد الصلاة المتمثلة في المسجد؟

ب. المانع من تسوية المرأة بالرجل في الصلاة في المسجد

قد بينا من قبل بطلان ما تمسك به بعض العلماء من فروق، وبينا عدم تأثيرها في تمييز المرأة عن الرجل في الخروج إلى المساجد، كحق الزوج على زوجته وسد ذريعة الفتنة. فلا يصلح كل ذلك أن يكون مانعا للمرأة لما من شأنه أن يعزز ما يقربها من إنسانيتها.

ويحسن بنا ونحن نبحث عن الوصف المانع من إلحاق المرأة بالرجل في صلاة الجماعة إلحاقا مطلقا أن نرجع إلى مناهج الأصوليين في النظر في الموانع فنقول: أقسام المانع المقررة في علم الأصول اثنان فقط[70]: المانع للحكم، والمانع للسبب. أما المانع للحكم فمعناه "أن يقع فعل من المكلف يستوجب حكما شرعيا، بأن وجد في ذلك الفعل تحقق الأسباب الموجبة لذلك الحكم، لكن وضعت الشريعة "مانعا" دون تنفيذه"[71]. أما المانع للسبب فمعناه "أن تكون الشريعة قررت حكما تكليفيا بناء على وجود سبب اقتضى وجوده وجود ذلك الحكم، لكن عرض دون إعمال ذلك السبب "مانع" أسقط السبب والحكم"[72]. فالفرق الأساسي بين المانعين أن المانع للحكم لا يكون مانعا من قيام السبب وما يترتب عليه من حكمة، وإنما يمنع من تنفيذ الحكم بسبب منعه لمقاصد غير مقصد الحكم من التحقق.

ويمكن ارجاع هذين القسمين إلى مسمى واحد جامع لهما، وهو المانع للمقصد. فالشريعة لا تقرر حكما إلا لتحقيق مقصد من المقاصد، ولا تضع سببا للحكم إلا لما بينه وبين مقصد الحكم من ارتباط، أدركه العقل أو لم يدركه. فالمانع للحكم والمانع للسبب راجعان إلى مانع للمقصد، حيث إن وجود المانع في كلتي الحالتين إما بسبب عدم تحقق مقصد الحكم أو ما يترتب على تنفيذه من مفسدة أكبر من المصلحة المرجوة من ورائه أو ما يترتب على عدم تنفيذه من مصلحة أكبر من مصلحته.

---

[70] راجع مثلا: ابن النجار، محمد الفتوحي، **شرح الكوكب المنير**، الرياض، مكتبة العبيكان، ط 2، 1418هـ/1997م، ص 144.

[71] الجديع، عبد الله بن يوسف، **تيسير علم أصول الفقه**، بيروت، مؤسسة الريان، ط 1، 1418هـ/1997م، ص60.

[72] نفس المرجع والصفحة.



أما علاقة المانع من المقصد بالمانع من السبب، فواضحة حيث إن المانع من السبب يمنع من تحقق مقصد الحكم بصفة تلقائية لأن سبب الحكم مظنة تحقيق مقصده. أما علاقته بالمانع من الحكم (مع قيام سببه)، فمن حيث إن الشريعة لا تضع مانعا للحكم إلا بسبب ما يترتب على ذلك الحكم مع وجود ذلك المانع من مفسدة أكبر من المصلحة التي تترتب على تحقيقه، ومثاله منع القاتل من الإرث، فإن مفسدة توريث القاتل أكبر من مصلحة توريثه، فكان قتل المورث صالحا لأن يكون من موانع هذا الحكم أي الإرث.

وبين المانع والشرط اتصال وثيق حيث إن المانع هو انتفاء شرط الحكم أو انتفاء شرط السبب، فالمانع شرط عدمي، أو شرط وجودي إذا اعتبرنا اشتراط نقيضه[73]. يقول شمس الدين الأصفهاني مشيرا إلى ذلك: "قد ذكرنا أن الوصف المانع للحكم هو المستلزم **وجوده** لحكمة تقتضي نقيض الحكم. والوصف المانع لسبب الحكم هو المستلزم **وجوده** لحكمة تقتضي اختلال حكمة السبب. فإن كان الوصف يستلزم **عدمه** حكمة تقتضي نقيض الحكم، يسمى شرط الحكم. وإن كان الوصف يستلزم **عدمه** حكمة تقتضي اختلال حكمة سبب الحكم، يسمى شرط السبب"[74]. فانعدام شرط الحكم هو المانع من الحكم وانعدام شرط السبب هو المانع من السبب.

و"مثال شرط السبب: القدرة على التسليم؛ فإن ثبوت الملك حكم، وصحة البيع سببه، وإباحة الانتفاع حكمة صحة البيع، والقدرة على التسليم شرط صحة البيع؛ لأن عدم القدرة على التسليم [وهو من موانع صحة البيع] يستلزم عدم القدرة على الانتفاع الموجب لاختلال إباحة الانتفاع. ومثال شرط الحكم: الطهارة في باب الصلاة؛ فإن حصول الثواب ودفع العقاب حكم، والصلاة سببه، وحكمة الصلاة التوجه إلى جناب الحق، والطهارة شرط الصلاة؛ فإن عدم الطهارة [أي الحدث، وهو من موانع صحة الصلاة] يستلزم ما يقتضي نقيض الحكم، أعني عدم حصول الثواب وعدم دفع العقاب مع بقاء حكمة الصلاة"[75].

فالمانع – مع الشرط – وصف ظاهر منضبط ذو علاقة وطيدة بمقاصد الحكم، وقد يكون منصوصا عليه من قبل الشريعة وقد يكتسب بالاجتهاد بأن يلاحظ له تأثير أو ملاءمة للحكم ومقصده.

---

[73] أي هو شرط عدمي لأنه يشترط عدم وجوده، أو شرط وجودي حيث يشترط وجود نقيضه.

[74] الأصفهاني، شمس الدين محمود بن عبد الرحمن، **بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب**، السعودية، دار المدني، ط 1، 1406هـ/1986م، ج 1، ص407.

[75] نفس المرجع والصفحة.



وبهذا كله تكون القسمة العقلية للمانع على وجه التفصيل كالتالي:

1. مانع للحكم تعبدي، أي غير مدرك المعنى.
2. مانع للحكم بسبب ما يترتب على تنفيذ الحكم من مفسدة أكبر من مصلحته.
3. مانع للحكم بسبب ما يترتب على عدم تنفيذه من مصلحة أكبر من مصلحته.
4. مانع للسبب غير معقول المعنى.
5. مانع للسبب من جهة الانقطاع بين السبب والمقصد المتعلق به.

وكل ذلك، سوى القسم الأول والرابع، إما أن يقرر بالنص، وربما مع شيء من التنقيح للمناط، وإما أن يقرر بالاجتهاد كما ذكرنا.

وما تمسك به أغلب العلماء من أسباب مانعة لتسوية المرأة بالرجل في الصلاة في المسجد إما راجع إلى القسم الأول حيث إنهم جعلوا الأنوثة سببا مانعا لفضل الصلاة في المسجد بدون أن يلاحظوا في ذلك علة ولا حكمة. وإما راجع إلى القسم الثاني، حيث إنهم رأوا أن صلاتها في المسجد توجب الأحكام المترتبة عليها من استحباب السعي إليها ووقوع الأجر المضاعف وغير ذلك، إلا أنهم رأوا أن الشريعة وضعت مانعا دون تحقيق ذلك الحكم[76] وهو ذريعة الفتنة لكونها امرأة، فالسبب قائم ومتصل بمقصده على وجه الإجمال إلا أن الشارع وضع مانعا من تنفيذ الحكم وهو الفتنة في رأيهم. ويترتب على ذلك أنهم يرون مفسدة الفتنة المتوقعة أو المزعومة أكبر من مصلحة حضور الجماعة في المسجد. ولقد بينا بطلان هذا المانع من قبل حيث إن المرأة لم تنه عن الخروج إلى غير المسجد وإن لم تظهر مصلحة واضحة في الخروج.

ولا شك أن المانع في هذه المسألة جاء من جهة النص لا من جهة محض الاجتهاد، حيث إن سبب الحكم غير المنقَّح هو الأنوثة كما جاء في الأحاديث، إلا أن تعارض هذا السبب مع ما يترتب على هذا الحكم من مصالح ومع ما جاء في نصوص كثيرة يقتضي أن ينقح هذا السبب عسى أن يظهر ما يحل الاشكال. ولعل التقسيم التفصيلي الذي وضعناه للمانع يساعدنا على تقدير علة تفضيل صلاة المرأة في بيتها بالنظر إلى ما قد يترتب على صلاتها في المسجد من مفاسد متعلقة بوصف الأنوثة أكبر من مصالح الصلاة في المسجد، أو ما يترتب على صلاتها في بيتها من مصالح أكبر من

[76] أي استحباب السعي إليها ومضاعفة الأجر في رأي من قال إن أحاديث مضاعفة أجر الصلاة في المسجد مخصصة بأحاديث فضل صلاة المرأة في بيتها، أو استحباب السعي دون مضاعفة الأجر في رأي من قال بأن صلاتها في بيتها تساوي صلاتها في المسجد قياسا على صلاة النافلة كما تقدم من رأي الشيخ الألباني.



مصالح صلاتها فيه، أو ما يوجبه وصف الأنوثة من انقطاع بين سبب تفضيل الصلاة في المسجد ومقصده الأكبر الذي هو الخشوع. فوجب النظر في حكمة الصلاة في المسجد وفي أوصاف المرأة التي قد تعارضها أو تجعلها تتخلف أو تصرف الأولوية عنها.

ج. أوصاف الأنوثة المناسبة لتمييزها عن الرجل في فضل المساجد

لقد لمح بعض العلماء المعاصرين إلى بعض الأوضاع الخاصة بالمرأة في تعليل صلاة المرأة في بيتها، ومن هؤلاء الشيخ محمد الغزالي حيث قال: "فقد صح في السنة أن المرأة راعية في بيتها وهي مسؤولة عن رعيتها ولا ريب أن شؤون الأولاد والرضع، وإعداد البيت لاستقبال الرجل العائد من عمله كل ذلك يحول دون انتظام المرأة في الجماعات الخمس"[77]. وكذلك الشيخ عبد الحليم أبو شقة حيث قال: "وهذا التخصيص لأفضلية صلاة المرأة في بيتها يشبه تخصيص أفضلية رعاية المرأة بيتها وولدها على الخروج للجهاد وذلك حال وجود حاجة لهذه الرعاية وهو الأمر الغالب في حياة عامة النساء"[78].

وعند التأمل في مناسبة تفضيل الصلاة في المسجد وأهم المقاصد التي شرعت من أجله، وهي ما يحققه المسجد من ظروف تهيئ الأجواء المناسبة للخشوع، ونقصد بالأجواء المناسبة؛ المحيط الداخلي، أي الحالة النفسية للإنسان، والمحيط الخارجي، أي المكان الذي تؤدى فيه الصلاة، عند التأمل في ذلك يظهر ما للأمومة من أثر على هذه المناسبة بين المسجد ومقصد الخشوع. ذلك أن تعلق صفة الأمومة بالأنوثة قد يؤثر في مناسبة الصلاة في المسجد لمقصد الخشوع من حيث إن حالة الأم النفسية وما يترتب عن الأمومة من مسؤوليات قد تحدث انقطاعا بين حضور المرأة للجماعة في المسجد ومقصد الخشوع. فما كان يوفره المسجد من محيط مهيئ تتحقق فيه السكينة النفسية والروحية المناسبة للخشوع قد ينتفي في حق الأم بحكم ما يحدث لها من انقلابات نفسية وانشغالات لا تطمئن لها نفسها في محيط المسجد.

[77] الغزالي، محمد، **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1409هـ/ 1989م، ص53.

[78] أبو شقة، عبد الحليم، **تحرير المرأة في عصر الرسالة**، مرجع سابق، ج 3، ص 28.



وقد جاء التلميح إلى ما قد تحدثه الأمومة من تأثير على الخشـــوع في محيط المســـجد في قول النبي ρ "إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه"[79]. وفي رواية: "فأتجوَّز في صلاتي مما أعلم من شدة وَجْدِ أمه مِن بكائه"[80]، ووجد أي "حزنها وتألمها لبكائه وهي شديدة الحب له"[81]. وعن البراء بن عازب قال: "صلى بنا رسول الله عليه وسلم الصبح فقرأ بأقصر سورتين في القرآن ثم أقبل علينا بوجهه فقال: إنما عجلت لِتفرُغَ أم الصبي إلى صبيها"[82]. وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جوز ذات يوم في صلاة الفجر، فقلت له، جوزت يا رسول الله! قال: "سمعت بكاء صبي فكرهت أن أَشْغَلَ عليه أُمَّه"[83]، وعنه أنه قال: "ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان ليسمع بكاء الصبي، فيخفف مخافة أن تُفتَن أمه"[84]. وقد أثبتت بعض الدراســـات ارتفاع القلق لدى الأم حين ابتعادها عن طفلها، وأنها شـــديدة الحرص على هنائه وسلامته والوقت التي تقضيه معه[85]. فمن الواضح أن حالة الأم الحاضرة للجماعة قد تمنعها من نيل ما قصد من وراء إقامة الجماعة في المسجد من ظروف مناسبة لمقصد الخشوع، سواء أصاحبها ولدها أم لم يصاحبها، وهو مما يفهم من عبارات الأحاديث المذكورة كقوله ρ "أشق على أمه"، "شدة وَجْدِ أمه"، "أن أَشْغَلَ عليه أُمَّه"، "أن تُفتَن أمه". كما أن حضورها مع ولدها قد يؤذي المصلين في سعيهم إلى تحقيق الخشوع.

ومناسبة هذا الوصف، أي الأمومة، لهذا الحكم، أي ترك الجماعة في المسجد، بسبب هذه الحكمة، أي مظنة الانقطاع عن الخشوع، غير غريبة عن تصرفات الشارع، وليست من قبل المناسب الغريب أو المرسل، بل من قبيل المناسب الملائم،

---

[79] أخرجه البخاري في صحيحه برقم 707.

[80] أخرجه البخاري في صحيحه برقم 709.

[81] المرجع السابق، تعليق الشيخ مصطفى البغا.

[82] أخرجه السراج في مسنده برقم 217. قال المحقق: إسناده حسن.

[83] أخرجه السراج في مسنده بقرم 246. قال المحقق: إسناده حسن.

[84] أخرجه البخاري في صحيحه برقم 708.

[85] راجع:

PINKER, Steven, *Comprendre la nature humaine,* Odile Jacob, 2005, p 421.



و"هو الوصف المناسب الذي رتب الشارع حكما على وفقه، ولم يثبت بالنص أو الإجماع اعتباره بعينه علة لنفس الحكم الذي رتب على وفقه، ولكن ثبت بالنص أو الإجماع اعتباره بعينه علة لحكم من جنس الحكم الذي رتب على وفقه،

أو اعتبار وصف من جنسه علة لهذا الحكم"[86] . فالأمومة وصف مناسب لتفضيل ترك الجماعة في المسجد، ولم يثبت بالنص اعتباره بعينه علة لهذا الحكم، لكن ثبت بالنص اعتبار جنسه علة للحكم الذي رتب على وفقه، وذلك أنه ثبت بالنص النهي عن حضور الجماعة أو استحباب التخلف عنها لمن أكل ثوما أو بصلا، وفي حالة مدافعة الأخبثين، وعند حضور الطعام، إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة المذكورة قريبا. فالأمومة وهذه الأوصاف المذكورة من جنس واحد لأنها وكل من هذه الأوصاف مظنة الانصراف عن الخشوع في حالة حضور الجماعة. فكانت الأمومة وصفًا مناسبًا لترك الخروج إلى المسجد، وليس ذلك من جهة فضل ذات الصلاة في البيت على صلاتها في المسجد، وإنما من جهة تنوع أعذارها، وكل تخلف عن فضيلة بعذر تكتب لصاحبه تلك الفضيلة.

وبهذا يتبين أن السبب المانع لتسوية المرأة بالرجل في الصلاة في المسجد ليس من قبيل المانع للحكم وإنما من قبيل المانع لسبب الحكم من جهة الانقطاع بين السبب والمقصد المتعلق به، وهو القسم الخامس المذكور آنفا. ومن القرائن الدالة على ذلك ما يروى عن النبي ρ أنه قال: "إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها"[87] . وقوله عليه الصلاة والسلام: "خير صلاة النساء في قعر بيوتهن"[88] . وقوله: "صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في حجرتها وصلاتها في حجرتها خير من صلاتها في دارها وصلاتها في دارها خير من صلاتها في مسجد قومها"[89] . فهذه الأخبار، على افتراض ثبوتها،[90] تدل على مجموعة من الأمور؛ منها أن تفضيل لزوم المرأة لبيتها على الخروج إلى الصلاة يكون بسبب ما يوفره البيت من خشوع، كما جاء صريحا في قوله "وأقرب ما تكون من وجه ربها"، ولا بسبب ما تحدثه من فتنة كما يدعى. وما يزيد ذلك تأكيدا ما جاء من تفضيل البيت على الحجرة وتفضيل

---

[86] خلاف، عبد الوهاب، **علم أصول الفقه**، مكتبة الدعوة، عن الطبعة الثامنة لدار القلم، بدون تاريخ، ص 71.

[87] أخرجه البزار في مسنده برق 2061، وابن خزيمة في صحيحه برقم 1685، وقال الألباني اسناده صحيح.

[88] أخرجه أحمد في مسنده برقم 26570، وابن خزيمة في صحيحه برقم 1683، والبيهقي في السنن الكبرى برقم 5360. قال الأرنؤوط: حديث حسن بشواهده، وقال حسين سليم أسد: حديث ضغيف.

[89] أخرجه الطبراني في الأوسط برقم 9101، وصححه الألباني في **صحيح الترغيب والترهيب**، الرياض، مكتبة المعارف، ط 5، بدون تاريخ، ج 1، ص 82.

[90] وقع الاختلاف بين المحدثين في صحة سائر هذه الأخبار من جهة الرواية، وقد ضعفها كلها شيخنا الدكتور عبد الله الجديع.



الحجرة على الدار، فلا يمكن أن يكون ذلك التفضيل عائدا إلى ما تحدثه المرأة من فتنة حيث إنها أماكن خاصة لا يدخلها الأجانب، وإنما يتناسب ذلك مع الأمومة حيث إن صلاة الأم في دارها تكون أريح لبالها إذ أنها تطمئن على ولدها فيها، إلا أن حجرتها أبعد عن انشغالاتها اليومية ثم بيتها.

وأشد ما يؤثّر في نفس المرأة ويميزها عن الرجل نفسيا وجسديا هي الأمومة ولوازمها[91]، فكانت الأمومة أنسب الأسباب المانعة من أن تكون الجماعة في المسجد مظنة لتعزيز تحقيق مقصد الصلاة كما هي في حق الرجل.

د. التيسير ورفع الحرج

إن من وسائل حفظ الدين والتدين التي جاء بها الإسلام، والتي تُلتمس في سائر أحكامه ومبادئه؛ مقصد التيسير ورفع الحرج[92]، كما يشير إليه قوله تعالى: **(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)** [البقرة 185]، وقوله ρ لأصحابه "إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين"[93]، إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على مركزية هذا المبدأ في الإسلام. أما فيما يخص مسألة الجماعة في المسجد؛ فيظهر هذا المقصد في مجموعة من الأوضاع تسقط فيها الصلاة في المسجد من أجل التيسير ورفع الحرج كحالة المرض والمطر والسفر والخوف على النفس أو المال وغيرها. فكما أن الشريعة اعتبرت الخشوع حكمة يناسبها إقامة الصلاة في الجماعة في المسجد، فإنها اعتبرت مظنة الحرج والمشقة علة مناسبة لسقوط الحث على إقامتها في المسجد.

وعند النظر في ظروف الأم، ولا سيما عندما يكون الطفل صغيرا، يظهر ما قد تؤول إليه تسويتها بالرجل في الحث على الصلاة في المسجد من حرج ومشقة. ذلك أنها لو سويت بالرجل في الحث على جماعة المسجد لحرصت على أدائها فيه بالرغم من انشغالها بمراعاة ولدها واحتياجه إليها، ولربما أخذته معها لكل صلاة مع ما يترتب على ذلك من مزيد الحرج لها. ذلك مع ما للصلاة في المسجد من وقت ضيق، وأن الصلاة في البيت فيها فسحة تسمح لها بتحديد الوقت المناسب لأدائها بحسب ظروفها، وكل ذلك فيه ما فيه من رفع المشقة والحرج الجسدي والنفسي. فلا يخفى ما في تسوية

---

[91] مقصودنا بلوازم الأمومة كل ما له علاقة بقضية الأمومة من أبعاد بيولوجية، كالحيض والتقلب الهرموني والاختلاف في الأعضاء التناسلية، والحمل والرضاعة والنفاس الخ.، وما يترتب على ذلك من اختلاف نفسي وعوامل اجتماعية إلى غير ذلك.

[92] راجع: النجار، عبد المجيد، **مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2006م، ص 67.

[93] أخرجه أبو داود في سننه برقم 380، وصححه الألباني في **صحيح سنن أبي داود**، الكويت، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الطبعة ط 1، 1423هـ/2002م، ج 2، ص 229.

الرجل بالمرأة في هذا الحكم من تكليف وتكلف زائد على المرأة من شأنه أن يوقعها في الحرج. فصلاة المرأة في بيتها تحت هذه الظروف أقرب إلى راحة البال والسكينة، ولا معنى لتفضيل حضور الجماعة في المسجد إذا كان ذلك سيؤول إلى القلق وتثقيل العبادة.

وهكذا، فإن تفضيل صلاة المرأة في بيتها الذي جاء متضمنا في النصوص، من شأنه أن ييسر على المرأة حتى لا تشعر باللوم والتقصير لعدم خروجها إلى المسجد. وهذا المعنى قد أشار إليه السرخسي في قوله: "المسافر والمملوك والمرأة والمريض إذا شهدوا الجمعة فأدوها جازت [...] لأن سقوط فرض السعي عنهم لا لمعنى في الصلاة بل للحرج والضرر فإذا تحملوا التحقوا في الأداء بغيرهم"[94].

هـ. هل تفضيل الصلاة في البيت يدور مع علة الأمومة وجودا وعدما؟

فضلا عن أن مناسبة الأمومة لصلاة المرأة في بيتها تتقوى بكونها تندرج في قسم المناسب الملائم كما بينا سابقا، وأنها تصلح لتكون مانعا لسبب الحكم (أي استحباب أو وجوب الجماعة في المسجد) حيث إنها مظنة الانقطاع بين السبب (المسجد) والمقصد المتعلق به (الخشوع)، فإن من شأنها كذلك أن ترفع التناقض الذي بيناه بين النصوص الكثيرة الدالة على فضل المساجد ومضاعفة أجر صلاة الجماعة على صلاة المنفرد، والنصوص الدالة على مطلق استحباب صلاة المرأة في بيتها.

فمن المتأكد أن تفضيل صلاة المرأة في بيتها على الجماعة في المسجد ليس على إطلاقه، كما يدل عليه عموم الحث على حضور الجماعة في المسجد وترتيب الأجر عليه، وكما يدل عليه عمل نساء السلف وتكلفهن لحضور الجماعة. وكذلك لما بيناه من اشتراك المرأة مع الرجل في أصل البشرية وما يترتب عليه من الاحتياجات الروحية، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى مريم أن تؤدي الصلاة مع الجماعة في قوله تعالى: **(يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين)** [آل عمران: 43]. وهذا يدل على فضل صلاة الجماعة للنساء ما لم يحل دونه مانع من الموانع. ومن الطريف أن من أبرز ما استدل به العلماء الذي قالوا بوجوب الجماعة على الرجال، وهم الحنابلة خاصة، قوله تعالى: **(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)** [البقرة: 43]. وأبوا أن يلحقوا الأمر الموجه إلى مريم بغيرها من

---

[94] السرخسي، محمد بن أحمد شمس الأئمة، **المبسوط**، بيروت، دار المعرفة، 1414هـ/1993م، ج 2، ص 23.



النساء ولو على وجه الاستحباب أو الاقتداء بمريم أو في بعض الأحوال دون بعض. قال ابن القيم رحمه الله: "فإن قيل: فهذا ينتقض بقوله تعالى: (**يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين**)، والمرأة لا يجب عليها حضور الجماعة، قيل: الآية لم تدل على تناول الأمر بذلك لكل امرأة بل مريم بخصوصها أمرت بذلك، بخلاف قوله: (**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**)، ومريم كانت لها خاصة لم تكن لغيرها من النساء فإن أمها نذرتها أن تكون محررة لله ولعبادته ولزوم المسجد، وكانت لا تفارقه، فأمرت أن تركع مع أهله، ولما اصطفاها الله وطهرها على نساء العالمين أمرها من طاعته بأمر اختصها به على سائر النساء، قال تعالى: (**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين**)"[95]. فتخصيص مريم بالأمر اجتهاد، ولم يدل عليه النص صراحة. هذا مع أن نفس من جعلوا هذا الأمر خاصا بمريم جعلوا الأمر في قوله تعالى (**وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب**) [الأحزاب: 53]، عاما لسائر نساء المسلمين، مع أن الأمر جاء موجها إلى نساء النبي ρ، ومع ما جاء قبل هذه الآية من قوله تعالى: (**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**) [الأحزاب: 32]، ومع ما ثبت من أحكام عديدة انفردت بها نساء النبي ρ من دون سائر النساء، خلافا لمريم.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "ومن الأدلة على أن حكم آية الحجاب عام هو ما تقرر في الأصول من أن خطاب الواحد يعم جميع الأمة، ولا يختص الحكم بذلك الواحد المخاطب، وقد أوضحنا هذه المسألة في سورة الحج، في مبحث النهي عن لبس المعصفر، وقد قلنا ذلك لأن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لواحد من أمته يعم حكمه جميع الأمة؛ لاستوائهم في أحكام التكليف، إلا بدليل خاص، يجب الرجوع إليه [...] وبهذه القاعدة الأصولية التي ذكرنا، تعلم أن حكم آية الحجاب عام، وإن كان لفظها خاصا بأزواجه صلى الله عليه وسلم؛ لأن قوله لامرأة واحدة من أزواجه، أو من غيرهن كقوله لمائة امرأة"[96].

فلاحظ كيف تفعّل القواعد الأصولية في بعض الأحكام وترد بها الفوارق المؤثرة، ولا تفعّل في أخرى بدعوى وجود فوارق مؤثرة.

[95] ابن قيم الجوزية، محمد شمس الدين، **الصلاة وأحكام تاركها**، المدينة المنورة، مكتبة الثقافة، بدون تاريخ، ص 101-102.

[96] الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت، دار الفكر، 1415هـ/1995م، ج 6، 246.



فإذا كانت مريم بنت عمران مع صلاحها وقربها من الله تعالى، حتى ضربها الله مثلا في القرآن للذين آمنوا (رجالا ونساء)، مأمورة بالجماعة، ألا يكون من دونها من النساء أولى بذلك الحث؟ وإذا كان حال أزواج النبي ρ الخاص، من تحريم الزواج في حقهن من بعده ρ وتضاعف العذاب عليهن لو جئن بفاحشة إلى غير ذلك، صالحا أن يكون مؤثرا على تعميم حكم الاحتجاب على سائر نساء المؤمنين، فما هو السبب المؤثر في تخصيص مريم بعبادة تفيد كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؟

وإذ نفينا أن يكون تفضيل أداء المرأة صلاتها في بيتها الوارد في بعض النصوص على إطلاقه للأسباب المذكورة وأنه متعلق بوصف الأمومة لكونه أنسب أوصاف الأنوثة لهذا التمييز كما أوضحنا، فهل يعني ذلك أن هذا التفضيل يدور مع هذا الوصف وجودا وعدما وأن المرأة تكون مأمورة بأداء الصلاة في المسجد مثلها مثل الرجل في حالة انعدام وصف الأمومة؟

إذا كان وصف الأمومة مناسبا لتمييز المرأة عن الرجل في حكم صلاة الجماعة في المسجد لكونه مظنة الحرج والانشغال عن الصلاة، فإن هذا الوصف لا يلازم كل امرأة بصفة تلقائية ولا يلازم المرأة في كل أطوار حياتها، وإن كنات تداعيات الأمومة لا تنفك عن المرأة من لحظة بلوغها. وإن كان النبي ρ قد علق التمييز بوصف الأنوثة، فإن وصف الأمومة يجري على غالب النساء، وخاصة في عهد الرسالة حيث كانت أغلب النساء تتزوج عند البلوغ ولم توجد وسائل منع الحمل الموجودة اليوم. إلا أن هذا الوصف – أي الأمومة –، فضلا عن أنه لا يجري على بعض النساء بسبب العقم أو العزوبة أو غيرها، فإن آثاره تختلف قوة وضعفا من جهة اعتماد الولد على أمه وحاجته إليها بحسب المرحلة التي يكون فيها. ففي بعض هذه المراحل يكون الولد معتمدا على أمه اعتمادا تاما، ويكون أقل اعتمادا في بعضها الآخر، حتى يصل إلى درجة الاستقلال التام. فلا يمكن اعتبار وصف الأمومة على اطلاقه دون اعتبار هذه المراحل، بل لا يمكن اعتباره في هذا الحكم – أي جماعة المسجد – في حال تفرغها عن هذه الوظيفة. ولا شك أن الصلاة في جماعة المسجد تكون أفضل لها في هذه الحالة من صلاتها في بيتها ما لم يشغلها في خروجها إلى المسجد ما قد يفتنها عن القرب من ربها سوى الولد، ومن ذلك اهتمامها بمظهرها وكيفية وقوعها في عين الرجال، ولذلك قال النبي ρ في الحديث الذي ذكرناه سابقا: "المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها"[97].

[97] أخرجه البزار في مسنده برقم 2061، وابن خزيمة في صحيحه برقم 1685، وقال الألباني اسناده صحيح.



وهكذا فإن المرأة تدخل تحت عموم الأمر والحث على جماعة المسجد والوعد بمضاعفة الثواب، ما لم يؤثر في مقصد الخشوع والقرب من الله تعالى مؤثر وما دامت قد أدت ما تعيّن عليها من وظيفة. فإن طرأ مؤثر وكان مظنة لتقليل الخشوع أو وقوع الحرج كانت صلاتها في بيتها أفضل اقتداء بمطلق أحاديث تفضيل صلاة المرأة في بيتها، مع حصولها على أجر الجماعة إن صلتها في البيت، وكذلك إن صلتها في الجماعة، مع احتمال تقليل الثواب الحاصل من جهة المؤثرات. وإن لم يطرأ مؤثر فصلاتها في الجماعة أفضل اقتداء بعموم الأحاديث الحاثة على صلاة الجماعة. وبهذا فإن الأحاديث الدالة على أن خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة، عامة للرجال وللنساء، وكل ما من شأنه أن يؤثر في تحقيق الخشوع أو وقوع الحرج أو الرياء (كما أشرنا إليه سابقا من حضور الطعام والمرض وغيره)، فإنه من شأنه أن ينقل الاستحباب من المسجد إلى البيت، في حق الرجل والمرأة على حد سواء. وإن قيل: فلماذا جاءت بعض الأحاديث تخصص استحباب الصلاة في البيت بالنساء دون الرجال؟ قلنا: لأن النساء اختصت من دون الرجال بصفات إضافية قد تؤثر في تحقيق مقاصد الجماعة أو توقعهن في الحرج، فجاء التفضيل الخاص بالنساء في تلك الأخبار متعلقا بتلك الصفات الإضافية.

خاتمة

قد تجلى من خلال دراستنا لجزئية فضل صلاة المرأة في المسجد أن الوقوف عند علل ومقاصد الأحكام الخاصة بالمرأة من شأنه أن يصحح التصورات المغلوطة عن المرأة ويعيد النظر في دورها الاجتماعي والحضاري ويحررها من بعض المفاهيم الذكورية التي طالما التصقت بها، كمفهوم الفتنة الذي عزلت به المرأة عن الساحة العامة في مجتمعات قديمة وحديثة.

كما أن دراسة تلك الجزئية الفقهية قد كشفت عن أهمية النظر في الأحكام الجزئية وعلاقتها بمبادئ ومقاصد الإسلام الكلية، لأن هذه متألفة من تلك، وتلك لا تنضبط إلا بهذه. فإن كثيرا من هذه المبادئ العامة راجعة الى استقراء الأحكام الجزئية ومتكونة من جملتها، فـ"كما أن من أخذ بالجزئي معرضاً عن كليّه فهو مخطئ، كذلك من أخذ بالكلي معرضاً عن جزئيه" كما يقول الإمام الشاطبي[98]. وهنا يكمن خطأ الاتجاه الحداثي، حيث إنه لا يسعى إلى تعريف الإسلام بالبحث عن مفاهيمه ورؤيته للعالم من خلال مبادئه وأحكامه ومقاصده، وإنما المقصود لديهم هو إخضاع كل

[98] الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، القاهرة، دار ابن عفان، ط 1، 1417هـ/1997م، ج 3، ص 8.



ذلك إلى الحداثة وذوق العصر وقيم الغرب. مما جعلهم يثورون على سائر الأحكام التي فيها تمييز بين الذكر والأنثى ويقولون بتاريخيتها ويدعون إلى تجاوزها إلى مقاصدها. إلا أنه فاتهم أن الإسلام منظومة متكاملة تتكون مقاصدها من جزئياتها وتنضبط جزئياتها بكلياتها. ومن هنا تظهر أهمية دراسة الأحكام الشرعية التي تتضمن تمييزا بين الرجل والمرأة حتى يتبين من خلالها موقف الإسلام من الفروق الفطرية بينهما والتي قلصت في هذا العصر وهمشت في عملية تحديد مفهوم الأنوثة.

إن هذه الدراسة أكدت على إعادة الاعتبار والأولوية للنصوص المساوية تسوية مطلقة بين المرأة والرجل لأنها هي الغالبة، لما يتمتعان به من أصل مشترك يمنح لهما مساواة في الإنسانية. إلا أن النصوص المشتملة على تفريق تراعي خصوصية كل منهما كذكر وأنثى، فلا بد من اعتبارها من أجل الاقتراب إلى القسط. فإن عاقبة الهوس بخصوصياتهما أو بالمساواة المطلقة ظلم المرأة لا محالة.

ومن هذا المنطلق وجدنا أن التمييز بين الجنسين في الأحكام الشرعية قد يعود إلى عوامل ظرفية تؤدي إلى حفظ أمومة الأم، كما هو الأمر في مسألة فضل صلاة المرأة في بيتها. فقد تفضل صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد باعتبار خصوصياتها كأم تكريما لها وتيسيرا عليها حتى لا تشعر باللوم والتقصير في دينها لعدم خروجها إلى المسجد، ومراعاة لاحتياجاتها الروحانية باعتبار ما يوفر لها البيت من محيط مهيأ للخشوع في تلك الظروف.

وإذا كان وصف الأمومة مناسبا لتمييز المرأة عن الرجل في حكم صلاة الجماعة في المسجد لكونه مظنة الحرج والانشغال عن الصلاة، فإن هذا الوصف لا يلازم كل امرأة بصفة تلقائية ولا يلازم المرأة في كل أطوار حياتها، وإن كنا أكدنا على عدم انفكاك تداعيات الأمومة عن المرأة من لحظة بلوغها.

أكدت هذه الدراسة على أن أثر المجسد في بناء المجتمع المسلم والفرد المسلم يتوقف على إعمار المسلمين له رجالا ونساء لتسويهما في أصل الإنسانية وفي الافتقار إلى سائر ما يعود به المسجد على الإنسان من منافع فردية واجتماعية. وإذا تأكد هذا الأمر أمكن إدراك ما عليه المجتمعات المعاصرة من زيغ عن هذا الأمر الإلهي، حيث تواجد المرأة في كل المرافق الحياتية والساحات الاجتماعية، وعزلها من أهمها، إلا في مناسبات قليلة.

قائمة المصادر والمراجع



1. أبو داود، سليمان السِّجِسْتاني، **سنن أبي داود**، بيروت، المكتبة العصرية، بدون تاريخ.
2. أبو شقة، عبد الحليم، **تحرير المرأة في عصر الرسالة**، القاهرة، دار القلم، القاهرة، ط 7، 1432هـ/2011م.
3. الأصفهاني، شمس الدين محمود بن عبد الرحمن، **بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب**، السعودية، دار المدني، ط 1، 1406هـ/1986م.
4. الألباني، ناصر الدين، **جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة**، القاهرة، دار السلام، ط 3، 1423هـ/2002 م.
5. الألباني، ناصر الدين، **صحيح الترغيب والترهيب**، الرياض، مكتبة المعارف، ط 5، بدون تاريخ.
6. الألباني، ناصر الدين، **صحيح سنن أبي داود**، الكويت، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الطبعة ط 1، 1423هـ/2002م.
7. الآمدي، سيد الدين علي بن سالم الثعلبي، **الإحكام في أصول الأحكام**، بيروت، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.
8. الأمين، محمد، **فضل خروج المرأة من بيتها إلى المسجد**، بحث منشور على موقع الباحث: http://www.ibnamin.com/masjid.htm
9. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، بيروت، دار طوق، ط 1، 1422هـ.
10. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، **مسند البزار**، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، بدأت 1988م، وانتهت 2009م.
11. ابن حزم، أبو محمد علي الأندلسي الظاهري، **المحلى بالآثار**، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ.
12. بن حنبل، أحمد بن محمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ/2001م.
13. ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، **صحيح ابن خزيمة**، بيروت، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.



14.ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة،** بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1408هـ/1988م.

15.ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية،** تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ط 3، 1988م.

16.ابن قيم الجوزية، محمد شمس الدين، **الصلاة وأحكام تاركها،** المدينة المنورة، مكتبة الثقافة، بدون تاريخ.

17.ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، **سنن ابن ماجه،** حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، بدون تاريخ.

18.ابن النجار، محمد الفتوحي، **شرح الكوكب المنير**، الرياض، مكتبة العبيكان، ط 2، 1418هـ/1997م.

19.البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر ، **السنن الكبرى،** تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1424 هـ/2003 م.

20.الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، **سنن الترمذي،** تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

21.التلمساني، الشريف محمد بن أحمد، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول،** الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1430هـ/2009م.

22.الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين،** تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م.

23.الحافظ العراقي وابنه، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، وابنه أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين ابن العراقي، **طرح التثريب في شرح التقريب،** بيروت، دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ.

24.الحطاب الرعيني المالكي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الطرابلسي، **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل،** دمشق، دار الفكر، ط 3، 1412هـ/1992م.

25.حمودة، عبد العزيز، **المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية،** الكويت، مطابع الوطن، 1422هـ/2001م.

26.الجديع، عبد الله بن يوسف، **تيسير علم أصول الفقه،** بيروت، مؤسسة الريان، ط 1، 1418هـ/1997م.

27.الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج،** بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ/1994م.



28. خلاف، عبد الوهاب، **علم أصول الفقه**، مكتبة الدعوة، عن الطبعة الثامنة لدار القلم، بدون تاريخ.

29. ذويب، حمادي، **جدل الأصول والواقع**، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط 1، 2009م.

30. رضا، محمد رشيد بن علي، **تفسير المنار**، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

31. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الوهاب، **البحر المحيط في أصول الفقه**، دار الكتبي، ط 1، 1414هـ/1994م.

32. السبكي، علي بن عبد الكافي، وابنه عبد الوهاب السبكي، **الإبهاج في شرح المنهاج**، بيروت دار الكتب العلمية، 1416هـ/1995م.

33. السرخسي، محمد بن أحمد شمس الأئمة، **المبسوط**، بيروت، دار المعرفة، 1414هـ/1993م.

34. السراج، أبو العباس محمد بن إسحاق، **مسند السراج**، تحقيق إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد – باكستان، 1423هـ/2002م .

35. السيناوني، حسن بن عمر المالكي، **الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع**، تونس، مطبعة النهضة، ط 1، 1928م.

36. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، القاهرة، دار ابن عفان، ط 1، 1417هـ/1997م

37. الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت، دار الفكر، 1415هـ/1995م.

38. الشوكاني، محمد بن علي اليمني، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1419هـ/1999م.

39. الشوكاني، محمد بن علي اليمني، **نيل الأوطار**، مصر، دار الحديث، ط 1، 1413هـ/1993م.

40. الطوفي، نجم الدين، شرح مختصر الروضة، **بيروت، مؤسسة الرسالة**، ط 1، 1407هـ/1987م.

41. العدوي، مصطفى، **جامع أحكام النساء**، القاهرة، دار ابن القيم، ط 1، 1429هـ/2008م.

42. العسقلاني، الحافظ ابن حجر أحمد أبو الفضل، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ.

43. العسقلاني، الحافظ ابن حجر أحمد أبو الفضل، **بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، الرياض، دار أطلس، ط 3، 1421هـ/2000م.



44.العطار، حسن بن محمد، **حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع**، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

45.علي القاري، محمد الخطيب التبريزي الملا الهروي، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، بيروت، دار الفكر، ط 1، 1422هـ/2002م.

46.الغزالي، محمد أبو حامد، **أساس القياس**، الرياض، مكتبة العبيكان، ط 1، 1415هـ/1995م.

47.الغزالي، محمد، **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1409هـ/ 1989م.

48.والمناوي، زين الدين محمد الحدادي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط 1، 1356هـ.

49.النجار، عبد المجيد، **مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2006م.

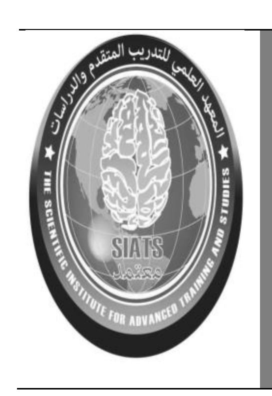
50.النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، **سنن النسائي**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، 1986م.

51.النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

52.وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، الكويت، من 1404هـ إلى 1427 هـ، الأجزاء 1-23: ط 2، الكويت، دار السلاسل، الأجزاء 24-38: ط 1، مصر، مطابع دار الصفوة، الأجزاء 39-45: ط 2، طبع الوزارة.

10. PINKER, Steven, *Comprendre la nature humaine,* Odile Jacob, 2005, p 421.





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد4 ، العدد1، كانون الثاني، يناير 2018م.

e-ISSN: 2289-9065

THE EXTENT OF FOLLOW-UP AND IMPACT OF THE RELIGIOUS PAGES OF THE FACEBOOK SITE ON A SAMPLE OF UNIVERSITY STUDENTS IN JORDAN

مدى متابعة وتأثير الصفحات الدينية لموقع الفيسبوك على عينة من طلبة الجامعات في الأردن

بشرى حسين اشتيوي أبوحق

محمد فيصل أشعري

قسم الدعوة والقيادة كلية الدراسات الإسلامية/ الجامعة الوطنية الماليزية/ماليزيا

BUSHRA1ABOHOQ@YAHOO.COM

1439هـ – 2018م



ARTICLE INFO
Article history:
Received 29/8/2017
Received in revised form7 /9 /2017
Accepted 5/11/2017
Available online 15/1/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The social media has been developed at a great development in our time and it has changes many facets of our way of life especially communication and dissemination of ideas. Therefore, many Arab Muslim preachers use this media, especially Facebook, to disseminate the messages of Islam to all people for the sake of *da'wah*. To date, their Facebook is widely accessed by the Internet users with many likes and massive comments, but the influence of this access to the users in terms of heart and behaviour has gained a little concern from the researchers. Therefore this study aims at examining the extent of influence of the Facebook to students' heart and behaviour because they consist of major group of Internet users. The Jordanian students are chosen in this study because they are the major group of the Internet users. The objective of the study is to examine the extent of those students in accessing the Facebook of the preachers, to analyse the influence of heart and behaviour over the access of the Facebook and to examine the extent of the interaction in the Facebook for *da'wah*. This study uses the quantitative study to examine the influence of this medium to the heart and behaviour of Facebook users in which the questionnaires used as the method of gathering data. A total of 214 questionnaires are distributed to Jordanian students in the selected universities. This study found the high access of respondents to the preachers' Facebook with the mean (3.708) and they are reluctant to follow Facebook belong to Sufis and Salafis. This study also found the high influence to the heart over the access of the Facebook with the mean (3.517). The similar findings also found to the behaviour with the mean (3.597) whereby they have deeply changed after follow the preachers' Facebook. The study indicates the positive interaction between the preachers and users with the mean (3.644). These findings show that the Facebook have a significant influence towards its users and the preachers have to use an efficient way to convey the messages of Islam through this medium.



الملخص

تطورت وسائل التواصل الاجتماعي تطوراً كبيراً في عصرنا الحالي, فقد غيرت الكثير في حياتنا بما في ذلك طرق التواصل ونشر الأفكار. ولذلك، فقد استخدم كثير من الدعاة العرب والمسلمين هذه الوسائل الحديثة وخاصة الفيسبوك لنشر رسالة الإسلام إلى جميع الناس.تعتبر صفحات الكثير من الدعاة نموذجاً في النجاح من ناحية الانتشار الواسع بالمتابعة والتفاعل الكبير سواءاً بالتعليقات أو بالاعجابات. لكن وعلى الرغم من ذلك، هنالك شح في الدراسات التي تناولت تأثير هذه الصفحات من الناحية القلبية والسلوكية. ولذلك استهدفت هذه الدراسة على الفيسبوك فئة الطلبة لأنها تعتبر الفئة الأكثر استخداماً للإنترنت. وقد اختارت الباحثة للدراسة عينة من طلبة الجامعات الأردنية لانهم يمثلون الشريحة الكبرى في المجتمع الأردني ولما لهم تأثير قوي على التغيير. تهدف هذه الدراسة إلى اختبار مدى متابعة الطلاب للصفحات الدعوية، التأثر القلبي على الطلاب من خلال متابعة الطلاب للصفحات الدعوية ,التأثر السلوكي للطلاب من خلال متابعة الصفحات الدعوية و مدى تفاعل المتابعين مع الصفحات الدعوية. وقد استخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لاختبار مدى تأثير الفيسبوك من ناحية قلبية وسلوكية. واستخدمت الاستبانة كأداه لجمع البيانات. وقد تم توزيع (219) استبانة على العينة المستهدفة، وقد تم اختيارهم بطريقة عشوائية من طلبة الجامعات الأردنية. وقد أظهرت الدراسة من خلال الإجابات المستطلعة نتائج إيجابية بدرجة كبيرة على جميع الأهداف وللاستبانة ككل. وبحسب مقياس ليكارت الخماسي تراوحت النتائج بين (1.9) الى (4.7) وبمتوسط حسابي (3.6). وقد أظهرت النتائج أن نسبة كبيرة من الطلاب يتابعون الصفحات الدينية وبنسبة 93% . ومن أبرز النتائج عزوف المتابعين عن الصفحات التي تتبع مدارس فكرية معينة مثل الصوفية والسلفية. وقد أظهرت الدراسة أيضاً تأثيراً إيجابياً لصفحات الدعاة من ناحية قلبياً، وكانت أبرز النتائج أن ما نسبته 78% من الطلبة تأثروا بمنشور لدرجة البكاء. إلى جانب ذلك، فقد وجدت الدراسة أيضاً أثراً كبيراً لهذه الصفحات من ناحية سلوكية، حيث بينت الدراسة أن الكثير من الطلبة قد تغيروا تغيرا جذريا بعد متابعة الدعاة. وبينت الدراسة أيضا التفاعل الإيجابي بين الداعي والمتابعين لهذه الصفحات، وأن كثيراً من المتابعين يتابعون التعليقات والردود ويحرصون على التفاعل معها. خلصت النتائج إلى أن مدى متابعة الطلاب للصفحات الدعوية كان كبير بمعدل (3.708) وتكشف النتائج عن التأثير القلبي على الطلاب من خلال



الصفحات الدعوية كبيرة بمعدل المتوسط (3.517) ، وكان التأثير السلوكي على الطلاب من خلال متابعة الصفحات الدعوية كبيرة (3.597) ، وأخيرا مدى تفاعل المتابعين مع الصفحات الدعوية أيضا كبيرة بمعدل (3.644). كما تشير الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية في متابعة الطلاب للصفحات الدعوية والتأثير الإيجابي من ناحية التغيير ,ولهذه النتائج أثر هام على الصفحات ذات الصلة بالدعوة الى الله في بناء شخصية المخستدمين للفيس بوك، ولينتبه دعاتنا على هذه الوسيلة الفعالة في التغيير وتطوير أسلوبهم للوصول إلى أكبر قدر من فئات المجتمع ككل. وتوصي الباحثة بعمل دراسات معمقة على أبرز النتائج وخاصة فيما يتعلق بتأثير الصفحات للدعاة الحزبيين، والدعاة السياسيين، والدعاة الذين لايخلطون الدعوة بالأحزاب والسياسة، خاصة في ظل الأجواء السياسية الراهنة.



مقدمة

تتميز الدعوة إلى الله تعالى بأنها متجددة متطورة لاجمود فيها، ومما حبا الله تعالى الناس في عصرنا الحالى سهولة التواصل فيما بينهم وذلك من خلال وسائل التواصل الإجتماعي الحديثة، وقد تنوعت هذه الوسائل ما بين المقروء والمسموع والمرئي؛ ومن أشهر هذه الوسائط موقع فيسبوك على شبكة الإنترنت، فبحسب موقع الفيسبوك([1]) تشير الإحصائيات الواردة عنه إلى وصول عدد مستخدمي الشبكة إلى 2.1 مليار مستخدم شهري نشط، منهم 1.32 مليار مستخدم يومي نشط للموقع، في حين يبلغ عدد مستخدمي موقع الفيسبوك في المملكة الأردنية الهاشمية النشطين 4.8 مليون مستخدم وبنسبة وصلت إلى 61% من عدد السكان على مستوى المملكة، وهي النسبة الأعلى في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا دون دول الخليج(2).

وقد تنوعت الاستخدامات لهذه الصفحات ما بين سياسي واجتماعي وثقافي وغيرها، ومن هذه الاستخدامات المجال الديني. فقد أظهرت مواقع الإحصاء متابعة كبيرة للصفحات الدينية والدعوية للفيسبوك، فعلى سبيل المثال هنالك شخص من بين كل ثلاثة أشخاص في الأردن على الفيسبوك يتابع صفحة الشيخ الداعية محمد العريفي. وقد قادنا ذلك إلى محاولة فهم الآثار الناتجة عن متابعة مثل هذه الصفحات وقياس الأثر الذي تتركه في نفوس متابعيها خاصة مع وجود شح في الدراسات والأبحاث المعمقة في هذا الجانب، حيث يغلب على أغلبها طابع قياس درجة المتابعة والتفاعل دون قياس الأثر، وقد تم التركيز في هذا البحث على فئة الشباب لأنهم الأكثر استخداماً وتأثراً ولأنهم صناع المستقبل.

إذاً تطرح هذه الدراسة سؤالاً حول ماهية الأثر الذي تتركه الصفحات الدينية على متابعيها، وقد استخدم في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي للإجابة عن هذا السؤال. حيث تم بناء استبيان وتم تقسيم محاوره إلى أربعة، وهي:

- مدى متابعة الطلبة للصفحات الدينية على الفيسبوك.
- التأثير القلبي والنفسي لهذه الصفحات.
- التأثير السلوكي والعملي لهذه الصفحات.

([1]) https://newsroom.fb.com/company-info/

([2]) http://www.internetworldstats.com/middle.htm



- مدى التفاعل الحاصل بين الداعية والمدعوين.

وقد تم اختيار عينة عشوائية من طلبة الجامعات الأردنية بعدد 219 طالباً من مختلف الجامعات والكليات والمستويات العمرية. وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى عدة أبواب، حيث تناولت في البند الأول المقدمة ثم في البند الثاني الدراسات السابقة ثم في البند الثالث الاستبيان ونتائجه حسب المحاور الأربع ثم نختم بالنتائج والتوصيات.

2. الدراسات السابقة

تعتبر الأبحاث المتخصصة في قياس الأثر الديني للفيسبوك من الأبحاث القليلة وخاصة فيما يتعلق بالتأثير السلوكي والتأثير القلبي الانفعالي، لكن وجد دراسات كثيرة حول أهداف البحث في العموم. فقد تحدثت دراسة([3]) عن دور وسائل التواصل الإجتماعي في إشباع متطلبات الشباب الأردني وطبقت الدراسة على عينة من طلبة جامعة اليرموك وقد خلصت الدراسة إلى أغلبية في استخدام الفيسبوك على وسائل التواصل الأخرى، وخلصت إلى أن إهداف متابعة الشباب للفيسبوك والرغبات المتحققة تتنوع حسب الحاجات المعرفية والوجدانية والشخصية والتواصلية والهروب من الواقع مع بروز الحاجة الدينية لهذه المتابعة. وخلصت دراسة([4]) إلى أن الجانب الديني يحتل المرتبة الأولى من أهداف متابعة الطلبة للفيسبوك على عينة من طلبة الجامعات وأن الفيسبوك وسيلة جذابة وفاعلة للدعوة إلى الله تعالى، في حين تناولت هذه دراسة([5]) إلى أسباب استخدام النصارى لصفحاتهم الدينية على عينة في أوروبا وخلصت الدراسة إلى أن هنالك أربعة دوافع لديهم للوصول إلى المحتوى الديني على صفحات الفيسبوك تتلخص في دوافع التدين والثقافة الروحية والمعلومات الدينية والترفيه، بينما تناولت دراسة ([6]) الأثر الدعوي للفيسبوك وخلصت دراسته إلى أن المنشور الديني حاز على أعلى متابعة وبنسبة 36% على عينته المطبقة في فلسطين.

([3]) Mansour, T. (2014). The Role of Social Networks in Meeting The Needs of The Jordanian Youth. *Jordan Journal of Social Sciences*, *7*(2).

([4]) عتيلي . أشعري، معاذ . محمد فيصل.(2012) نظرية التفاعل الدعوي وتطبيقها عبر الإعلام الجديد: "فيسبوك نموذجاً". رسالة ماجستير . ماليزيا: الجامعة الوطنية الماليزية.

([5]) Brubaker, P. J., & Haigh, M. M. (2017). The Religious Facebook Experience: Uses and Gratifications of Faith-Based Content. *Social Media+ Society*, *3*(2), 2056305117703723.

([6]). البدوي،عمار توفيق احمد(2012)أثر وسائل التواصل الحديثة على الدعوة"الفيس بوك"نموذجا، مؤتمر وسائل التواصل الحديثة وأثرها على المجتمع، جامعة النجاح، فلسطين.



وأما فيما يتعلق بالجانب السلوكي والجانب القلبي الانفعالي، فقد بينت دراسة ([7]) الجوانب السلبية لاستخدام الفيسبوك من ناحية عاطفية ومزاجية وقد وجدت الدراسة علاقة بين الاستخدام النشط الطويل للفيسبوك وبين تقلب المزاج، في حين إقترحت دراسة ([8]) مصطلح إكتئاب الفيسبوك ومصطلح الحسد الفيسبوكي، ووجدت علاقة إيجابية بينهما حيث يدي الثاني إلى الأول، في حيث إقترحت دراسة ([9]) مصطلح (iDisorder) أي الإضطرابات الناتجة عن استخدام الفيسبوك ووصفت إضطرابات كثيرة ما بين الإكتئاب والهوس ومعاداة المجتمع وغيرها وقد أظهرت الدراسة وجود نتائج إيجابية وسلبية للفيسبوك، فالنتائج الايجابية تكون عادةً إذا تحقق توقعات الشخص من الفيسبوك في حين تتنوع الإضطرابات النفسية إذا كانت التوقعات سلبية خاصة مع المتابعة الطويلة للفيسبوك.

وفيما يتعلق بالهدف الرابع وهو التفاعل مع المنشورات الدينية، فقد تحدث دراسة ([10]) عن التفاعل الحاصل على صفحات الفيسبوك وقد خلصت الدراسة إلى تفضيل الجمهور بالتفاعل على صفحات الفيسبوك منها على التفاعل مع مواقع الإنترنت الأخرى وأهمية التفاعل مع الصفحات وأثره ي صناعة الرأي العام، فيما تحدثت دراسة ([11]) عن أهمية التفاعل الحاصل على صفحات الفيسبوك وأثره في التغيير والتأثير على صناعة القرار وخلصت إلى أن التفاعل على مواقع التواصل الإجتماعي يتعتبر إعلاماً بديلاً، فيما تحدثت دراسة ([12]) عن أهمية زر الاعجاب على الفيسبوك (Like) وأثره في توجيه المتابعين ووجدت الدراسة علاقة قوية بين استخدام زر الاعجاب لمنشور معين والتأثير على متابعته.

---

(7). Sagioglou, C., & Greitemeyer, T. (2014). Facebook's emotional consequences: Why Facebook causes a decrease in mood and why people still use it. *Computers in Human Behavior*, *35*, 359-363.

(8) Tandoc, E. C., Ferrucci, P., & Duffy, M. (2015). Facebook use, envy, and depression among college students: Is facebooking depressing?. *Computers in Human Behavior*, *43*, 139-146.

(9) Rosen, L. D., Whaling, K., Rab, S., Carrier, L. M., & Cheever, N. A. (2013). Is Facebook creating "iDisorders"? The link between clinical symptoms of psychiatric disorders and technology use, attitudes and anxiety. *Computers in Human Behavior*, *29*(3), 1243-1254.

(10). المنصور، محمد(2012). تأثير شبكات التواصل الإجتماعي على جمهور المتلقين ، رسالة ماجستير، الأكاديمية العربية، الدانمارك.

(11) الراوي ،بشرى جميل(2015)دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير/مدخل نظري. مجلة الباحث الإعلامي 14(9-25)، جامعة بغداد.

(12) Phua, J., & Ahn, S. J. (2016). Explicating the 'like'on Facebook brand pages: The effect of intensity of Facebook use, number of overall 'likes', and number of friends''likes' on consumers' brand outcomes. Journal of Marketing Communications, 22(5), 544-559.



3. محاور الدراسة

كما ذكر في المقدمة فإن الدراسة قائمة على الاستبيان لقياس محاور الدراسة الأربع، وقد قسم الاستبيان إلى قسمين رئيسيين فتناول القسم الأول المتغيرات المستقلة وهي الجنس والعمر والجامعة والكلية وعن إمتلاك حساب على الفيسبوك وحول متابعة الطلبة للصفحات الدينية للفيسبوك، وأما القسم الثاني فقد خصص للمحاور الأربع وبواقع عشرة أسئلة لكل منها.

حاول المحور الأول قياس مدى متابعة العينة للصفحات الدينية للفيسبوك، وقد تعرض المحور الأول إلى ثلاث قضايا وهي قياس مدى متابعة العينة للصفحات الدينية ثم ما يفضلونه على هذه الصفحات ومن ثم تطرقت إلى الميول نحو الصفحات ذات المدارس الفكرية مثل الصوفية والسلفية والإخوان والجهاديين. أما في المحور الثاني فهو محور التأثير القلبي الناتج من تأثير هذه الصفحات، يعتبر المحور القلبي من الدراسات القليلة التي تناولت التأثير القلبي الوجداني لاستخدام الفيسبوك، وقد ناقش هذا المحور قضيتين أساسيتين، وهما التأثير القلبي الانفعالي مثل البكاء والاطمئنان والارتياح، والقضية الثانية وهي التأثير القلبي الفكري مثل المفاهيم والإلتزام والإقتناع والحجج العقلية والمتابعة. أما في المحور الثالث فقد تناول التأثير السلوكي لمتابعة صفحات الفيسبوك، وقد ناقش هذا المحور قضيتين رئيسيتين، أولها الأثر السلوكي الشخصي اللازم وهو تغير يكون على سلوك الشخص نفسه كالمواضبة على قراءة القرآن وبر الوالدين وحضور الدروس، ثانياً الأثر السلوكي المتعدي وهو دعوة الآخرين ومحاولة نقل التأثر الشخصي إلى التأثير على الآخرين.

والمحور الرابع والأخير فهو محور التفاعل فقد تحدث عن التفاعل الحاصل على الصفحات الدينية مثل التعليق والمشاركة والردود وزر الاعجاب، ناقش هذا المحور شقين أساسيين بما يتعلق بالصفحات الدعوية على الفيسبوك، فقد إتجهت بعض الأسئلة حول ماهية المحتوى ومايفضله الطلبة في المنشورات وحجم متابعتهم لها (التركيز على المنشور نفسه)، فيما تحدث الشق الثاني عن مدى التفاعل مع المنشورات بما يعكس وجهة نظر أو محاولة نقل التأثر الحاصل على المتابعين.

ومن ناحية إحصائية فقد تم استخدام برنامج SPSS لمعالجة البيانات وتم حساب المتوسطات الحسابية (من 5) والنسب المئوية للإجابة عن أسئلة الاستبيان، وتم استعمال معامل الثبات كرونباخ ألفا لقياس مدى ثبات أداة الدراسة.



4. نتائج الدراسة

شارك في الاستبيان عدد 219 طالباً وطالبةً، حيث كان 40% منهم من فئة الذكور والباقي من الإناث، وشكلت الفئة العمرية دون 22سنة الغالبية بنسة بلغت 60% تلتها فئة دون 30سنة بنسبة 30% في حين كانت نسبة من هم فوق سن 30 سنة 10% تقريباً. وشمل الاستبيان بالنسبة لمتغير الجامعة 60% من طلبة جامعة اليرموك و 20% من جامعة العلوم والتكنولوجيا و 20% من باقي الجامعات الأردنية المختلفة. وأما متغير الكلية فقد كان 30% من مجموع العينة يدرسون في الكليات الشرعية والباقي في مختلف الكليات والتخصصات. وأظهر الإستطلاع أن 98% من الطلبة يستخدمون برنامج الفيسبوك، وأن 93% من العينة يتابعون صفحات دينية على الفيسبوك، وبذلك بلغت العينة الصحيحة لقياس متغيرات الدراسة بعدد 204 طالباً ممن يمتلكون حساباً على موقع فيسبوك ويتابعون صفحات دينية عليه. وفيما يلي نتائج المحاور الأربعة:

المحور الأول: المتابعة

جاءت النتيجة الكلية للأسئلة العشرة بمتوسط 3.7 وبمعدل 74%، وأظهر متابعة كبيرة لصفحات الفيسبوك ولا عجب من ذلك، فإن ما نسبته90% من العينة المستهدفة في الدراسة كانت بين موافق وموافق بشدة على أن الصفحات الدينية تشكل جزءاً من متابعتهم للفيسبوك وبدرجة "كبيرة جداً" وبأقل نسبة من الإنحراف المعياري في جميع أسئلة الاستبيان (أنظر الجدول1). وأقر نسبة كبيرة أنهم يتابعون عدداً كبيراً (أكثر من خمسة) من الصفحات دعوية، وأنهم يتابعون دعاة من عدة دول مع إعتقادهم أن الدعاة استطاعوا أن يصلوا الى شريحة كبيرة من الناس سواءا كانوا من الملتزمين أو من غير الملتزمين.

وحول ما يفضله الطلبة في الصفحة والداعية، فقد فضل الطلبة بدرجة "كبيرة" أن تحتوي صفحة الداعية على المنشورات التي تهتم بقضايا الأمة عامة، وأن تكون متنوعة في وسائل التخاطب بين المكتوب والمسموع والمشاهد.

أما القضية الثالثة والتي تناولها الاستبيان فهي متابعة الصفحات ذات التوجهات المنتمية إلى الحركات والمدارس الفكرية الإسلامية. وقد تناولت هذه الدراسة أربعة من أشهر التيارات الفكرية الدينية والسياسية والحركية في الأردن، وهي السلفية



والإخوانية والصوفية والجهادية. وقد جاءت النتائج في هذه القضية كأقل النتائج مجتمعة في الاستبيان وبدرجة "متوسطة" لجميع التوجهات مع وجود إنحراف معياري (Standard Deviation) أعلى بالمقارنة مع أسئلة المحور المتبقية.

جدول1: مدى متابعة الطالب للصفحات الدعوية

العدد	الفقرة	المتوسط	إنحراف معياري	النسبة المئوية	الدرجة
.1	تشكل الصفحات الدينية جزء من متابعتي للفيسبوك.	4.49	.739	89.7%	كبيرة جدا
.2	أنا أتابع خمسة من الدعاة المشهورين.	3.98	.803	79.5%	كبيرة
.3	أنا اعتقد أن بعض الدعاة استطاع أن يتواصل بصفحته مع الكثير من الناس سواء الملتزمين أو غير الملتزمين.	3.97	.850	79.3%	كبيرة
.4	انا اعتقد ان صفحة الداعية يجب ان تحتوى على منشورات تهتم بقضايا الأمة.	3.95	1.028	78.9%	كبيرة
.5	أنا افضل متابعة صفحات الدعاة أصحاب المدرسة السلفية.	3.46	1.061	69.2%	متوسطة
.6	أنا افضل متابعة صفحات الدعاة أصحاب المدرسة الصوفية.	3.22	1.185	64.4%	متوسطة
.7	أنا افضل متابعة صفحات الدعاة أصحاب المدرسةالاخوانية.	3.36	1.142	67.2%	متوسطة
.8	أنا افضل متابعة صفحات الدعاة أصحاب المدرسة الجهادية.	3.29	1.101	65.8%	متوسطة
.9	أنا افضل متابعة صفحات الدعاة من دول مختلفة.	3.63	1.063	72.6%	كبيرة
.10	أنا افضل متابعة المنشورات المتنوعة التي تحتوي على الكتابة والفيديو والصور.	3.75	1.110	75.0%	كبيرة
	نتائج المحور الكلية	3.708	0.717	74.2%	كبيرة

المحور الثاني: التأثير القلبي

جاءت النتيجة الكلية للأسئلة العشرة بمتوسط 3.5 وبمعدل 70% (أنظر الجدول 2)، وأظهرت الدراسة أنه من الناحية الوجدانية النفسية القلبية جاءت النتيجة إيجابية جدا بأن معظم الطلبة يكون من تأثرهم ببعض المنشورات وبنسبة



78%، وهذا يظهر الأثر العظيم لهذه الصفحات إجمالاً، وقد عبر الطلبة في العينة المستهدفة بنسبة كبيرة عن تأثرهم النفسي والقلبي وعن إرتياحهم بعد مشاهدة المقاطع الدعوية الوعظية.

وأما فيما يتعلق بالتأثير القلبي الفكري للطلبة، فقد بينت الدراسة أثر الصفحات على تغير إيجابي بدرجة كبير على الطلبة سواءاً بالتأثير الإلتزامي أو بالتأثير المفاهيمي، بينما جاءت بنسب أقل باقي الأسئلة، وبدرجة متوسطة جاء إقتناع الطلبة بكثير مما يتم طرحه من الدعاة بنسبة 69%، في حين جاءت تأثر الطلبة بالآيات بعد تفسيرها بالحجج العقلية بنسبة 67%, في حين حل أخيراً في هذا المحور وبنسبة 66% تأثير حجم التفاعل على المنشور.

جدول2: التأثير القلبي للصفحات الدعوية على الطلبة

الرقم	الفقرة	المتوسط	إنحراف معياري	النسبة المئوية	الدرجة
1.	أنا أتأثر ببعض المنشورات حتى درجة البكاء.	3.92	.928	78.4%	كبيرة
2.	أنا أتأثر بالمنشورات إلى درجة تغيير جذري في التزامي.	3.52	.970	70.4%	كبيرة
3.	أنا أتأثر ببعض صفحات الدعاة لدرجة تغيير الكثير من مفاهيمي في الامور الدينية	3.50	1.048	70.1%	كبيرة
4.	أنا أطمئن قلبيا عند الرجوع الى صفحات الدعاة.	3.45	1.013	68.9%	متوسطة
5.	أنا اقتنع بوجهة نظر الدعاة في كثير من الاحيان.	3.46	.912	69.2%	متوسطة
6.	أنا أعتقد ان حجم التفاعل على المنشور لداعية ومدى تأثر المتابعين الاخرين به يزيد من تأثري به.	3.34	1.092	66.9%	متوسطة
7.	أنا أبكي عندما تكون الدعوة ملامسة لقلبي.	3.45	1.093	68.9%	متوسطة
8.	أنا أتأثر بالايات القرآنية أكثر بعد تفسيرها بالحجج العقلية.	3.38	1.069	67.5%	متوسطة
9.	أنا أتأثر بمنشورات الدعاة من ناحية نفسية وقلبية.	3.57	.968	71.4%	كبيرة
10.	أنا أشعر بأن قلبي أصبح مرتاحا عندما أسمع وأشاهد مقاطع الفيديو.	3.58	.987	71.6%	كبيرة
	النتائج الكلية للمحور	3.517	0.771	70.3%	كبيرة



المحور الثالث: التأثير السلوكي

تناول هذا المحور تأثير الصفحات الدعوية على السلوك الديني الشخصي ورد الفعل العملي للمتابعين لها، وفي المجمل حصل هذا المحور على معدل 3.6 وبنسبة 72% وبدرجة كبيرة (أنظر الجدول 3).

وقد جاءت النتائج في معظم الأسئلة بدرجة "كبيرة"، في حين حصل سؤال حول مدى حصول تغير جذري بسبب صفحة داعية على أعلى معدل وبما يقارب ال 80%، وأظهر نتائج بالمجمل درجة كبيرة من ناحية قراءة القرآن وبر الوالدين وصلاة الجماعة وحضور الدروس الدينية، وقد عبر غالبية كبيرة عن تأثرهم القلبي الكبير بالمقارنة مع تأثرهم السلوكي، ومن النتائج الايجابية السلوكية المباشرة للصفحات الدينية هو محاولة تأثير المتابعين لها على غيرهم ونقل ما تأثروا به إلى أصدقائهم عن طريق مشاركة المنشورات. إن هذا التفاعل الإيجابي بحد ذاته يعتبر ثمرة مباركة وهو تحويل المدعو الى داعية.

جدول3: التأثير السلوكي للصفحات الدعوية على الطلبة

الرقم	الفقرة	المتوسط	إنحراف معياري	النسبة المئوية	الدرجة
.1	أنا أتأثر بداعية لدرجة تغيير جذري في سلوكي.	3.99	.904	79.8%	كبيرة
.2	انا أقلد بعض الدعاة في التزامهم.	3.68	.894	73.6%	كبيرة
.3	أنا أكثر من قراءة القرآن بعد متابعتي للداعية.	3.60	1.120	72.1%	كبيرة
.4	أنا أبر والدي أكثر من ذي قبل عندما قرأت قصة او شاهدت فيديو عن بر الوالدين.	3.67	1.130	73.4%	كبيرة
.5	أنا اكثر من صلاة الجماعة في المسجد بعد متابعتي للداعية.	3.51	1.116	70.2%	كبيرة
.6	أنا أقوم بطرح الاسئلة الفقهية على صفحات الدعاة لأتعلم أمور ديني.	3.47	1.155	69.3%	متوسطة
.7	أنا أقوم بالتفاعل مع بعض المنشورات لدعاة مثل المشاركة على صفحتي لانها أثرت بي كثيرا.	3.51	1.168	70.2%	كبيرة
.8	أنا اعتقد بأن تأثري القلبي والنفسي لصفحات الدعاة أكثر من تأثري السلوكي العملي.	3.50	1.147	70.0%	كبيرة
.9	أنا التزم بالدروس الدينية بعد قراءتي لمنشور أثر في سلوكي.	3.51	1.112	70.2%	كبيرة



.10	انا أثرت في أصدقائي بعد تنزيل المنشورات والمقاطع الدينية على صفحتي.	3.53	1.043	70.6%	كبيرة
	النتائج الكلية للمحور	3.597	0.877	71.9%	كبيرة

المحور الرابع: التفاعل

أظهرت النتائج أن هنالك تفاعل بدرجة كبيرة للصفحات الدينية بمتوسط 3.66 وبنسبة بلغت 72.9% وبدرجة كبيرة (أنظر الجدول 4).

جدول4: التفاعل على الصفحات الدعوية

رقم	الفقرة	المتوسط	إنحراف معياري	النسبة المئوية	الدرجة
.1	انا أتفاعل مع العنوان قبل قراءة أومشاهدة البوست.	4.19	.799	83.8%	كبيرة جدا
.2	أنا اتصفح معظم المنشورات سريعا ولا أكمل قرائتها.	3.79	.823	75.9%	كبيرة
.3	أنا استخدم زر الاعجاب في كثير من الاحيان .	3.78	.950	75.6%	كبيرة
.4	أنا أهتم بالتعليقات وأتفاعل معها أكثر من المنشور نفسه.	3.52	1.062	70.4%	كبيرة
.5	انا أجد بعض منشورات الدعاة تزيد الفرقة بين المسلمين وتعطي أثر عكسي.	3.51	1.116	70.3%	كبيرة
.6	أنا اتفاعل مع المنشور واعمل مشاركة ليشاهده أصدقائي.	3.54	1.047	70.9%	كبيرة
.7	في بعض المنشورات تكون التعليقات والردود أهم من المنشور نفسه.	3.43	1.055	68.5%	متوسطة
.8	أنا أتفاعل مع خدمة البث المباشر لدعاة سواء كانت موعظة أو خطبة جمعة.	3.45	1.137	69.0%	متوسطة
.9	عدد المعجبين بالمنشور يزيد من اهتمامي بمتابعته.	3.55	1.159	71.0%	كبيرة
.10	أنا أعتقد أن مشاركة منشورات الدعاة هو نوع من الدعوة الى الله.	3.67	1.143	73.4%	كبيرة
	النتائج الكلية للمحور	3.644	0.772	72.9%	كبيرة



جاءت نتائج الشق الأول في المجمل بين متوسط وكبير وكبير جداً، فقد تحدث نسبة كبيرة جداً من الطلبة عن أهمية العنوان ومدى تفاعلهم معه وبنسبة 84%، وهناك نسبة كبيرة أيضاً يتصفحون بعض المنشورات ولا يكملون قراءتها، جاءت نتائج الشق الأول في المجمل بين متوسط وكبير وكبير جداً، فقد تحدث نسبة كبيرة جداً من الطلبة عن أهمية العنوان ومدى تفاعلهم معه وبنسبة 84%، وهناك نسبة كبيرة أيضاً يتصفحون بعض المنشورات ولا يكملون قراءتها، ومن نتائج الدراسة كذلك ظهور اهتمام كبير بمتابعة التعليقات والردود على المنشور، وذلك من خصائص مواقع التواصل الإجتماعي التي تتيح التفاعل مع المنشور، وهذه تشكل إحدى أهم المتنفسات للمتابعين ووسيلة من وسائل التعبير المتاحة، بينما جاءت خدمة البث المباشر على صفحات الدعاة بنتيجة متوسطة في المتابعة وهو شيء متوقع لحداثة الخدمة.

وفيما يتعلق بنتائج الشق الثاني، فقد أظهرت الدراسة تفاعلاً مع هذه الصفحات، حيث أظهرت نسبة كبيرة من الطلبة أنهم يضغطون على زر الاعجاب، وغالباً ما يكون ذلك بسبب معلومة جديدة تم إكتسابها أو تأثر حصل من المنشور. فيما أظهرت الدراسة أهمية كبرى للتعليقات والردود على المنشور، وهذه ميزة الصفحات الاجتماعلة حيث أنها تفاعلية بشكل أساسي وتشكل هذه الخاصية بيئة لقياس رد الفعل المباشر على منشور معين، وتعمل أيضاً كمنصة للتواصل بين الداعية ومختلف المتابعين لصفحته وبين المتابعين أنفسهم كذلك، وأظهرت الدراسة أن غالبية كبيرة قد عملوا مشاركة لمنشور ديني على صفحتهم وأنهم يعتقدون أن هذا نوع من الدعوة إلى الله تعالى.

5. الخلاصة

من خلال ما تقدم، فقد أظهرت الدراسة أهمية الفيسبوك كمنصة دعوية واعتباره كوسيلة من وسائل الإعلام البديل، فقد أثبتت صفحات الفيسبوك أنها منتشرة بين الجمهور ولها حضورها وتأثيرها الدعوي على الفئات كافةً، وأنها تبعث على الطمئنينة والراحة القلبية في ظل بروز الكثير من الآثار السلبية السيئة سواءاً من الناحية النفسية أو من الناحية السلوكية، كما وتبين أهمية هذه الصفحات كمنصات للتفاعل ولاستخدامها والاستفادة القصوى منها

كما وتوصي الباحثة الدعاة باستخدام هذه المنصات والتحول إليها واستقطاب الجمهور وكذلك استخدام المتاح من الخدمات الجديدة المتجددة لموقع فيسبوك مثل البث المباشر والتركيز على العموميات والابتعاد عن الخلافيات وعوامل



التفرقة، كما وتوصي الباحثة بالاهتمام بالمضمون الدعوي للفيسبوك وتنويعه بين القصة والفيديو القصير والصور، وكذلك الإقتصار على عدد قليل من المنشورات المأرة والابتعاد عن الإغراق، ومناقشة احتياجات المتابعين وقضايا الأمة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛؛

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

1. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ، طبعة مجمع الملك فهد.
2. ابن منظور، لسان العرب. طبعة دار المعارف.
3. البدوي، عمار توفيق أحمد(2012)أثر وسائل التواصل الحديثة على الدعوة"الفيس بوك"نموذجا، مؤتمر وسائل التواصل الحديثة وأثرها على المجتمع، جامعة النجاح، فلسطين.
4. الراوي، بشرى جميل(2015)دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير/مدخل نظري. مجلة الباحث الإعلامي 14(9-25)، جامعة بغداد، العراق.
5. عتيلي، أشعري، معاذ . محمد فيصل.(2012) نظرية التفاعل الدعوي وتطبيقها عبر الإعلام الجديد: "فيسبوك نموذجاً". رسالة ماجستير . ماليزيا: الجامعة الوطنية الماليزية.
6. القحطاني، سعيد.(2009) مقومات الداعية الناجح، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد/ السعودية.
7. مرعي، السيد محمد (2009) تكنولوجيا الدعوة الإسلامية، دار جمعة الماجد/الامارات.
8. المنصور، محمد(2012). تأثير شبكات التواصل الإجتماعي على جمهور المتلقين ، رسالة ماجستير، الأكاديمية العربية، الدانمارك.
9. الواعي، توفيق.(1995)الدعوة إلى الله، دار اليقين.
10. Ashaari, M. F., & Maideen, M. A. (2017). THE EMERGENCE OF SHIITE IN MALAYSIAN CYBERSPACE: A STUDY OF MAIN THEME IN THE POSTINGS OF PRO-SHIITES'FACEBOOK. The Online Journal of Communication and Media, 3(4), 24.

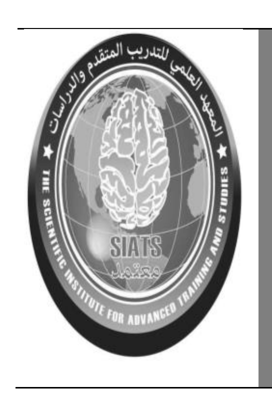


11. Ashaari, M. F., Don, A. G., Muhamat, R., Hamjah, S. H., Sham, F. M., Nasir, B. M., ... & Ghani, M. Z. A. (2012). The model of online al-dacwah Al-Fardiyyah: a hybrid model of doing al-dacwah on the internet. Advances in Natural and Applied Sciences, 6(4), 511-521.
12. Brubaker, P. J., & Haigh, M. M. (2017). The Religious Facebook Experience: Uses and Gratifications of Faith-Based Content. Social Media+ Society, 3(2), 2056305117703723.
13. Mansour, T. (2014). The Role of Social Networks in Meeting The Needs of The Jordanian Youth. Jordan Journal of Social Sciences, 7(2.(
14. Phua, J., & Ahn, S. J. (2016). Explicating the 'like'on Facebook brand pages: The effect of intensity of Facebook use, number of overall 'likes', and number of friends''likes' on consumers' brand outcomes. Journal of Marketing Communications, 22(5), 544-559.
15. Rosen, L. D., Whaling, K., Rab, S., Carrier, L. M., & Cheever, N. A. (2013). Is Facebook creating "iDisorders"? The link between clinical symptoms of psychiatric disorders and technology use, attitudes and anxiety. Computers in Human Behavior, 29(3), 1243-1254.
16. Sagioglou, C., & Greitemeyer, T. (2014). Facebook's emotional consequences: Why Facebook causes a decrease in mood and why people still use it. Computers in Human Behavior, 35, 359-363.
17. Tandoc, E. C., Ferrucci, P., & Duffy, M. (2015). Facebook use, envy, and depression among college students: Is facebooking depressing?. Computers in Human Behavior, 43, 139-146.
18. Toriman, M. E. (2012). Nature of Islamic Da'wah in Malaysia. Advances in Natural and Applied Sciences, 6(4), 572-575.
19. https://newsroom.fb.com/company-info/ {Last Visit 14/10/2017}.



http://www.internetworldstats.com/middle.htm {Last Visit 14/1





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد4 ، العدد1، كانون الثاني، يناير 2018م.

e-ISSN: 2289-9065

ATHARA ALKHITAB ALQARANIU FI WASTIAT WAIETIDAL AL'UMA'

أثر الخطاب القرآني في وسطية واعتدال الأمة

المكي رمضان أحمد الوحيشي
جامعة المدينة العالمية
ماليزيـــــــــا

مصطفى رمضان أحمد الوحيشي
جامعة الجبل الغربي
ليـــبـــيــــا

almkirm@gmail.com

1439هـ – 2018م

ARTICLE INFO



Article history:
Received 25/8/2017
Received in revised form7 /9 /2017
Accepted 5/11/2017
Available online 15/1/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

This is a subjective study explain's the role of Quranic speech in the Islamic nation, wassatia the study explains the meaning of wassatia in language and legitimate . The wassatia standing out in religion in all fields for Islamic nation, like in dogmatic , in worshiping , in relationship, in dealings and in spending .
The wassatia Appears through balance in all fields without exaggeration this appears through examples and samples with evidence from Quran and sunna .



الملخص

هـــــذه دراسة موضوعية ، تبرز دور الخطاب القرآني في وسطية الأمة المسلمة ، وقد اقتضت الدراسة معرفة المعنى اللغوي والشرعي للوسطية ، وقد برزت وسطية هذا الدين في جميــع الميادين لهذه الأمة المسلمة ، سواء أكان ذلك في مجال العقيدة والعبادات ، أم في مجال العلاقات والمعاملات ، أم في مجال الأفكار والتصـــورات ، أم في مجال النفقات والمطعومات، ظهرت هذه الوســطية من خلال الاعتدال والتوازن في جميع المجالات الســابقة فلا غلو ولا مغالاة ، ولا تقصير ولا تهاون ، ولا إفراط ولا تفريط ، ظهر ذلك من خلال الأمثلة والنماذج مصحوبة بالأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية .

كلمات مفتاحية: [وسطية – الغلو – تفريط – الاعتدال – الإسراف – توازن - انحراف]

مقدمة



الحمد لله الذي جعلنا أمة وسطاً ، وجعل ديننا وسطاً ، لنكون شهداء على الناس، ويكون الرسول علينا شهيداً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي سلك سبيل الاعتدال، فلم يُفْرِط ولم يُفَرِّط، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد:

فقد اختار الله الوسطية لهذه الأمة في الدين، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، وصدق الله في وصف هذه الأمة حيث يقول : [**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**] (البقرة: 143) فحملت الأمة الأمانة، وقامت بالعمارة ، واستحقت خلافة الله في أرضه ، لكنها قد تمر بمنعطفات بين الحين والآخر فتجعلها بين مدٍّ وجزر ، بين قوة وضعف ، بين إفراط وتفريط .

فالوسطية في كل شيء سواء في العقيدة والعبادات ، أو في المعاملات والعلاقات ، أو في الأفكار والتصورات ، أو في النفقات والمطعومات .

إنها وسطية فضلى ، يحبها الله ، ويرتضيها ، ويأمر بها ، وينهى عما سواها من إفراط أو تفريط هنا أو هناك .

وسوف يُعتمد في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفي حسب منهجية التفسير الموضوعي المعاصر .

تعريف الوسطية لغة واصطلاحاً :

أولاً : تعريف الوسطية لغة :

وسط : الواو والسين والطاء : بناء صحيح يدل على العدل والنَّصَفِ، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه ،قال تعالى: [**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ...**] (1) .

ويقولون : ضربت وَسَط رأسه بفتح السين ، ووسْط القوم بسكونها ، وهو أوسطهم حَسَباً إذا كان من واسطة قومه وأرفعهم محلاً" (2) .

والوَسَط محركة : المعتدل ، يقال : "شيء وسط" بين الجيد والرديء ، ووسط الشيء اسم لما بين طرفيه ، وهو منه كقولك : قبضت وسط الحبل ، وكسرت وسط الرمح ، وجلست وسط الدار , والوسيط: المتوسط بين المتشاغبين، وجمعه وُسطاء ، والوسيطة: مؤنث الوسيط (3).

ثانياً : تعريف الوسطية في الاصطلاح الشرعي :

---

(1) سورة البقرة : الآية 143 .

(2)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ج6 ، ص 108 .

(3) انظر: عبد الله البستاني، الوافي "معجم وسيط للغة العربية" ص 701 . الزمخشري، أساس البلاغة ، ص 498.



يقول محمد المناوي : "الوسط : العدل الذي نسبة الجوانب إليه كلها على السواء ، فهو خيار الشيء ، ومتى زاغ عن الوسط حصل الجَوْر الموقع في الضلال عن القصد" (4) .

ويعرفها الدكتور أحمد عمر هاشم بقوله : "فالمراد بالوسطية : التوازن والتعادل بين طرفين بحيث لا يطغى طرف على آخر ، فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا تقصير ، وإنما اتباع للأفضل والأعدل ، والأجود والأكمل" (5) .

المبحث الأول

الوسطية في العقيدة والعبادات

المطلب الأول : الوسطية في العقيدة :

لا شك أن الغلو والمغالاة في العقيدة هو مرض خطير ، وهو محرم شرعاً لأنه يؤدي إلى نتائج سيئة على الفرد والمجتمع والأمة ، وأي غلو أو مغالاة في الاعتقاد يترتب عليه غلو ومغالاة في العبادات ، حيث يصرفها عن حقيقتها وأصالتها التي أرادها الله سبحانه وتعالى(6).

يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ....] (7) .

(ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً، أي هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم ، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم) (8).

وأوجه الانحراف والضلال الذي هو نقيض الوسطية كثيرة في واقعنا وفي أحوال الشعوب من حولنا ، مما يخرج الإنسان عن دين الله تعالى ، وخير مثال على هذا الغلو والانحراف ما وقع فيه أهل الكتاب من يهود ونصارى ، حيث اعتقدوا أنبياءهم أرباباً وآلهة من دون الله ، قال تعالى : [**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**] (9) .

والمنهج الوسطي يوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي، ويعطي كلاً حسب حاجته دون إفراط أو تفريط.

---

(4) التوقيف على مهمات التعاريف "معجم لغوي مصطلحي" – ص 725 .

(5) وسطية الإسلام – ص 7 .

(6) انظر د. محمد الزحيلي: الاعتدال في التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً ، ص 29 .

(7) سورة البقرة – الآية 148 .

(8) الجامع لأحكام القرآن – ج 1 ص 104 .

(9) سورة المائدة – الآية 77 .



فالله يريد أن يُعبد وحده ، ولا يُشرك به أحدٌ سواه ، فهو الإله المعبود بحق وهو منزهٌ عن شركهم وانحرافهم وضلالتهم ، إذ كيف يُنزلون الأحبار والرهبان منزلة الإله في عبادتهم وطاعتهم وتحليلهم وتحريمهم .

ولذلك جاءت الآيات القرآنية بغلو أهل الكتاب ، ليحذر المسلمون الوقوع فيما وقع فيه اليهود والنصارى من انحراف وضلال ، وبُعدٍ عن الاستقامة والاعتدال في أمور العقيدة .

وهكذا نرى كيف يكون الإفراط يؤدي إلى ضلال السعي وانحراف العمل ، وكذلك التفريط والتهاون يؤدي إلى ضياع الأحكام الشرعية واستبدالها بالأهواء والرغبات والأمزجة والمصالح الخاصة مما يؤدي إلى انحراف العقيدة وضلال السعي ، وخسران العمل في العاجل والآجل ، ولذلك لا خلاص من الإفراط والتفريط إلا بالوسطية التي أرادها الله لهذه الأمة من خلال صراط الله المستقيم ، الذي أمر باتباعه والسير عليه ، وحذَّر من غيره ، فقال تعالى : [**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**] (10) .

المطلب الثاني : الوسطية في العبادات :

إن الوسطية في العبادات مترتبة على وسطية العقيدة ، فالعقيدة هي الأساس والعبادات ثمرة من ثمراتها ، ونتيجة من نتائجها ، فمن اعتدل وتوازن ، ولم يغالي أو يتهاون في الجانب العقائدي ، فلا شك أنه سيعتدل ويتوازن ، ويتصف بما هو أعدل وأجود وأكمل في عباداته ، وبالتالي لا يقع في إفراط أو تفريط .

وإن الوسطية التي جعلها الله سمة لهذه الأمة الإسلامية تشمل كل شيء ، بما في ذلك الأمور التعبدية ، قال تعالى : [**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**] (11) .

يقول ابن كثير : "ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً ، خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج ، وأوضح المذاهب" (12) .

وهكذا نرى أن العبادات لا مشقة فيها ولا حرج ، قال تعالى : [**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**] (13) ، وقال سبحانه : [**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**] (14) (15) .

---

(10) سورة الأنعام – الآية 153 .

(11) سورة البقرة – الآية 143 .

(12) تفسير القرآن العظيم – ج1 ص 284 .

(13) سورة البقرة – الآية 185 .

(14) سورة الحج – الآية 78 .

(15) وسطية الإسلام – ص 21-25 " بتصرف " .



نقول : لقد أقرَّ النبي ρ سلمان على ما صنع مع أخيه أبي الدرداء فلم يأذن له في صيام وقيام يؤديان إلى ضياع حق الأهل والنفس ، إنها سماحة الإسلام ويسره وعدالته ووسطيته .

روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ρ دخل عليها وعندها امرأة فقال : "من هذه ؟ قالت : فلانة ، تذكر من صلاتها فقال : مَهْ ، عليكم بما تطيقون ، فو الله لا يَمَلُّ الله حتى تملوا" [16] .

فالاعتدال بالبعد عن الإفراط والتفريط في العبادة هو الحل ،وفيه السلامة والاستقامة والمداومة على العبادة .

ونختم هذا المطلب بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ρ قال : **(إن الدين يسر ، ولن يشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَة وشيءٍ من الدُّلْجَة)** [17] .

(16) صحيح البخاري –كتاب الإيمان – باب أحب الدين إلى الله أدومه – حديث رقم 43 موسوعة الكتب الستة – ص 5 .

(17) صحيح البخاري –كتاب الإيمان – باب الدين يُسر – حديث رقم 39 – موسوعة الكتب الستة – ص 5 .



المبحث الثاني

الوسطية في العلاقات والمعاملات

يحرص الإســلام على العلاقات الاجتماعية الإيمانية الطيبة بين أبناء المجتمع الإســلامي، ليكون بينهم التعاون والتراحم والتآخي والمحبة والتكافل والتسامح والعفو والإحسـان ، لأن مجتمعاً هـــذه سماته لهو مجتمع فاضـل ، ولذلك أمر الله عباده بالمسـارعة إلى المغفرة والجنة التي لا تنال إلا بمثل هذه الأوصـاف ، قال تعالى : [**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ** ......] (18) .

فالمسلم الحقيقي هو الذي يردعه إسلامه عن الظلم والعدوان وسوء الأخلاق مع غيره سواء أكان ذلك بيده أم بلسانه ، ويجتنب ما نهى الله عنه من المحظورات والمفاســد ، ويدفعه دينه وإيمانه إلى المحافظة على أموال الناس وأعراضـــهم ودمائهم لأنه يحب لهم ما يحبه لنفسه ، يكره لهم ما يكره لنفسه .

وسنذكر نماذج لهذه الوسطية في العلاقات والمعاملات الاجتماعية سواء أكان ذلك بين الزوجين لبناء الأسرة المسلمة أم كان ذلك في الإحسان والترفق بالوالديـــن ، أم كان ذلـــك في التعامل بين أفراد الأسرة والمجتمع ، أم كان ذلك في التعامل مع غير المسلمين ، وبيان ذلك بإيجاز فيما يلي :

أولاً : الوسطية في العلاقات الاجتماعية في بناء الأسرة :

حث الإســلام علــى الزواج ورغب فيــه ، وذلــك حفاظاً على النوع البشري ، وقد ذكر القرآن الكريــم أسس هــذا الاختيـار ، يقول تعالى : [**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**] (19) فأسس هذه العلاقة قائمة على السكن والمودة والرحمة .

كذلك وضع لنا الشرع الحكيم صفات الزوجة الصالحة ، فقال ρ : (**تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك**) (20) .

وحذر الشرع الحكيم أيضاً من المرأة التي لم يحسن تربيتها ، قال ρ (**إياكم وخضراء الدمن قيل : يا رسول الله ، وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء**) (21) .

(18) سورة آل عمران – الآيات (133-136) .

(19) سورة الروم – الآية 25 .

(20) صحيح البخاري –كتاب النكاح – باب الأكفاء في الدين – ج5 ص 1985 .

(21)الألباني، السلسلة الضعيفة ، ج1 ص69 .



كذلـــك وضـــع الشرع الحكيم صفات الزوج الصالح ، فيقول رسول الله ρ (**إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانة فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض ...**) (22) .

ثانياً : الوسطية في البر والإحسان إلى الوالدين :

البر كلمة جامعة لكل خير ، يقول تعالى : [**وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**] (23) تشـــير هذه الآية إلى أســـس التعامل مع الوالدين ، وذلك عن طريق تقديم كل أنواع الإحســـان للوالدين في الأقوال ، والأفعال والمعاملة ، بحيث تشمل كل أنواع العطف والرحمة والمودة والحب والتقدير والاحترام في جميع مراحل حياة الآباء وخاصة مرحلة الكبـــر ، وذلـك لأن الكبـر له إيحاؤه وضعفه ، ففي هذه المرحلة يفقد الأبوان الأهلية ويصبحان عالة علـى أبنائهما لذلك تأمر الآية الأبناء ألا يضـيقوا ذرعاً بآبائهم ، فلا يصـــــدر عنهم ما ينبئ عن الإهانة وسـوء الأدب ، بل عليهم أن يدخلوا السرور والبهجة على آبائهم (24) .

ثالثاً : الوسطية في التعامل بين أفراد الأسرة والمجتمع :

الأسرة هي نواة المجتمع ، هذه الأسرة قائمة على الحب والتعاون والمساواة والمحبة فأفراد الأسرة يعملون مثل خلية النحل ، كلٌ يقوم بواجبه ، فالأب يعمل ويكدح من أجل توفير الرزق لأبنائه ، والأم كالشمعة تضيء على الآخرين ، والأبناء كلٌ ينصرف إلى دراسته وعمله ، أما علاقة أفراد المجتمع بعضهم مع بعض فقد أرسى القرآن قواعد في التعامل ، يقول تعالى : [**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ....**] (25) ويقول تعالى : [... **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**] (26) .

---

(22) سنن الترمذي –كتاب النكاح – باب إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه – ج3 ص395 .

(23) سورة الإسراء - الآية 23 .

(24) التفسير الواضح - د. محمد حجازي - ح15/ ص 19 – " بتصرف " .

(25) سورة الفتح – الآية 29 .

(26) سورة المائدة – الآية 54 .



وقـد أمـر الله بالتعـاون بيـن أفـراد المجتمع الإسلامي فقال تعالى : [**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**] (27) ، وأمر بأداء الأمانات إلى أصـــحابها، بقوله تعالى : [**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**] (28) .

وحرم النميمة على أفراد المجتمع حتى يكون كل إنســـان أميناً على أســـرار الناس (29) ، يقول تعالى : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**] (30) .

أما المجتمعات غير الإسلامية فإنها قائمة على الأنانية وحب الذات والحقد والكراهية والغش والخداع والاستكبار.

وسطية القرآن الكريم المتمثلة في حفظ الحقوق لعامة الناس :

قـرر القـرآن الكريـم كرامـة الإنسانية ، قال تعالى : (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَـاهُمْ فِـي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**) (31) .

مع ضـــرورة أن لا يحملنا بغضـــنا لقوم على عدم العدل معهم ، فالعدل هو الأقرب للحق والتقوى ، قال تعالى : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا كُونُـــوا قَوَّامِيـــنَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**] (32) .

وبهذا ندرك وسطية الإسلام في التعامل مع غير المسلمين ، دون إفراط أو تفريط ، ودون ظلم أو محاباة على حساب دين الله تعالى .

---

(27) سورة المائدة : الآية 2 .

(28) سورة النساء : الآية 58 .

(29)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن " باختصار " .

(30) سورة الحجرات – الآية 12 .

(31) سورة الإسراء – الآية 70 .

(32) سورة المائدة – الآية 8 .



المبحث الثالث

الوسطية في النفقات والمطعومات

إن الوسطية خير وبركة على الفرد والجماعة والأمة إذا اعتمدت ذلك في نفقاتها ومطعوماتها، وحري بها أن تلتزم بذلك ؛ لأنه شرع الله ودينه الذي أراده لهذه الأمة المسلمة الوسط، ولذلك سنتحدث عن هذا المبحث في مطلبين ، وذلك فيما يلي :

المطلب الأول : الوسطية في النفقات :

إن النفقات تعتمد بشكل كبير على الواردات المتمثلة في الكسب الحلال للمال الذي هو عصب الحياة ، لذلك اعتنى القرآن الكريم بكسب المال من حلال وحفظه وإنفاقه في حلال أيضاً ، وقد ذكـــر القرآن الكريم مجموعة من الآيات تحذر من الإفراط في حبه وجمعه ، يقول تعالى : [**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَـدِيدٌ**] [33] ، ويقول أيضـا: [**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ، الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ**] [34] .

هذه بعض الآيات التي تبين مدى تعلق الإنســـان بحب الخير وحب المال مما يؤدي إلى الإفراط في حب الدنيا على حساب الآخرة .

قال السـدي : (**جمع مالاً وعدده**) ألهاه ماله في النهار ، هذا إلى هذا ، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة ، يظن أن هذا المال الذي جمعه سيخلده في هذه الدار ولكن الأمر ليس كما زعم ولا كما حسب [35] .

وقد قص علينا القرآن الكريم قصـة قارون لأخذ العبرة والعظة من فتنة الدنيا ، يقول تعالى : [**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**] [36] .

وقد بينت الآيات حالات بطر النعمة والغرور والزهو ، حتى اســـتكبر على عبادة الله وجحد نعمة الله ، فكان نتيجة ذلك أن عاقبه الله بالخسف والدمار والهلاك فخسر الدنيا والآخرة ، وهذه عاقبة البطر والكفر بالنعمة والاستكبار .

(33) سورة العاديات - الآية 8 .

(34) سورة الهمزة – الآية 1-4 .

(35) انظر : تفسير ابن كثير - ج5 ص 548 .

(36) سورة القصص – الآيات (76 – 83) .



لذلك وضع القرآن الكريم القواعد الشرعية لكسب المال وإنفاقه ، أما كسب المال فقد حرم القرآن الكريم الربا بكل أنواعه ، يقول تعالى : [**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**] (37) .

وَحرم الميسر بصوره المتعددة ، يقول تعالى : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**] (38) .

وحرم الاحتكار ، يقول الرسول ρ : (**من احتكر فهو خاطئ**) (39) ، وحرم السرقة ووضع عقوبة لها ، يقول تعالى : [**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**] (40)، كذلك نهى القرآن عن أكل المال بالباطل ، وإعطائه إلى الحكام رشــوة لهم ، يقول تعالى : [**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**](41)وقد ذكر القرآن الكريم الآيات التي تدلل على الوسطية في الإنفاق ، يقول تعالى : [**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**] (42) ، ويقول تعالى : [**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**] (43) .

هذه بعض القواعد التي أرســاها القرآن الكريم في جمع المال وإنفاقه ، وبذلك يتضــح عدم صــلاحية المنهج الرأسمالي والمنهج الاشتراكي للحياة ، فالنظام الرأسمالي يقوم على الحرية المطلقة للفرد دون قيود ، فالفرد له الحريــة أن يجمع المال بأي طريقة كانت حلالاً أم حراماً ، فالغاية تبرر الوسيلة ، حتى لو أدى ذلك إلى الاحتكار والغش والاستغلال ، وغير ذلك ، مما أدى إلى تكديس الأموال في أيدي أشخاص معدودين .

المطلب الثاني : الوسطية في المطعومات :

---

(37) سورة البقرة – الآية 275 .

(38) سورة المائدة – الآيتان 90 ، 91 .

(39) صحيح مسلم –كتاب المساقاة – باب تحريم الاحتكار في الأقوات – ج3 ص1227 .

(40) سورة المائدة – الآية 83 .

(41) سورة البقرة – الآية 188 .

(42) سورة الفرقان – الآية 67 .

(43) سورة الإسراء – الآية 29 .



لقد علمنا ديننا كيف نتبع الحق والعدل والوســـطية في مطعوماتنا ، فأحل لنا أموراً وحرّم علينا أموراً أخرى ، وما كان التحليل والتحريم إلا لصالح الإنسان ومصلحته العاجلة والآجلة فقال تعالى : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**] (44) .

فقد نهانا ربنا أن نعتدي في تحليلنا وتحريمنا ، إذ الأصل أن نحلَّ ما أحلَّ الله لنا من المطعومات ، ونحرّم ما حرّم الله علينا من الخبائث .

وقد ذكر القرآن جملة من الآيات التي تدل على الوسطية في المطعومات ، وذلك من خلال عدم الإسراف والتجاوز ، يقول تعالى : [**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**] (45) .

ومن الوسـطية والاعتدال الحرص على تناول الطيبات ، والابتعاد عن المحرمات من المأكولات والمشـروبات التي نهى الله عنها لضررها ، قال تعالى : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**] (46) ، ويقاس على هذا النص جميع المخدرات والمســـكرات والمفترات مهما اختلفت أسماؤها وألوانها وأشكالها .

وقال تعالى : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**] (47) .

قال تعالى : [**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**] (48) .

هذه الآيات توضح معالم الوسطية في المنهج الإسلامي ، فالأكل والشرب مشروع مما أباح الله , ويكون النهي عندما يكون هناك إسـراف وتبذير ، سواء أكان الإسـراف في النوع أم الكم أم العادة ، قال القرطبي : على المرء أن يأكل ما وجد ، طيباً أو كان قفاراً ، ولا يتكلف الطيب ويتخذه عادة وقد كان النبي ρ يشبع إذا وجد ، ويصبر إذا عدم ,

(44) سورة المائدة – الآية 87 .

(45) سورة الأعراف – الآية 31 .

(46) سورة المائدة – الآية 90 .

(47) سورة البقرة – الآية 172 .

(48) سورة البقرة – الآية 168 .



ويأكل الحلوى إذا قدر عليها ، ويشـرب العسـل إذا اتفق له , ويأكل اللحم إذا تيسـر ، ولا يعتمد أصـلاً ولا يجعله ديدناً ومعيشة النبي ρ معلومة وطريقة الصحابة منقولة (49) .

ومن الوسطية في المطعومات دعوة النبي ρ لعدم الإفراط في تناول الأطعمة ولو كانت حلالاً ، لقوله ρ : **(ما ملأ ابن آدم وعاء قط شـراً من بطنه ، بحسـب ابن آدم لقيمات يقمن صـلبه ، فإن كان فاعلاً فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه)** (50) .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وقد أكرمنا الله بتمام هذا البحث الذي كانت أهم نتائجه ما يلي :

- ظهر لنا المعنى اللغوي للوسطية بجميع صيغها واشتقاقاتها , كما اجتهد الباحثان في الوصول إلى معنى شرعياً للوسطية وهو " الاعتدال والخيرية والإنصاف والرفعة بسبب الصفات المحمودة التي لا إفراط فيها ولا تفريط " .
- ظهر أن الغلو والمغالاة في العقيدة مرض خطير ، وهو محرم شـرعاً ، لأنه يؤدي إلى نتائج سـيئة على الفرد والأمة والمجتمع ، أخطرها الانحراف والضلال في أمور العقيدة كما وقع مع أهل الكتاب من يهود ونصارى .
- إن انحراف العقيدة يترتب عليه انحراف في العبادة ؛ لأنها ثمرة من ثمراتها ، فمن اعتدل وتوازن في الجانب العقائدي ، ولم يغالي أو يتهاون في ذلك ، فلا شـك أنه سـيعتدل ويتوازن في عباداته ، وبالتالي لا يقع في إفراط أو تفريط .
- ظهرت لنا أمثلة متعددة للصحابة رضي الله عنهم ، حيث أرادوا التشديد على أنفسهم في الجانب التعبدي ، فتداركهم التقويم النبوي السوي ، ليسدد خطاهم على صراط الله المستقيم .
- ميّز الله هذه الأمة الإسـلامية بميزة الوسـطية في كل المجالات ، لتشـهد على الناس جميعاً ، وتقيم فيهم العدل والقسط ، وتضع لهم الموازين والقيم .

(49) انظر : الجامع لأحكام القرآن – ج16 ص202 .

(50) سنن الترمذي – كتاب الزهد – باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل – ح4 ص590 – قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح .



- مثلت هذه الوسطية الحصن الحصين للأمة الإسلامية من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب من التهاون والتلاعب في العبادة أحياناً ، ومن المغالاة كالرهبانية أحياناً أخرى ، وهذا ما جعل الأمة الإسلامية على طريق السلامة والاستقامة والمداومة على العبادة .
- أكد الإسلام على الوسطية في العلاقات الاجتماعية الإيمانية بين أبناء المجتمع الإسلامي ليتحقق بينهم التعاون والتراحم والتآخي والتكافل والتسامح والعفو والإحسان .
- ظهر أن المسلم الحقيقي هو الذي يردعه إسلامه عن الظلم والعدوان وسوء الأخلاق ويدفعه إيمانه إلى المحافظة على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم ، لأنه يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه .
- تظهر الوسطية في النفقات إذا كان كسب المال من حلال، وإنفاقه في حلال، مع عدم الإفراط في حبة وجمعة، وأي خروج عن هذه الوسطية توقع الإنسان في الانحراف، كما وقع مع قارون وغيره.
- يتحقق الاعتدال في الإنفاق في المطعومات والمشروبات وذلك بعدم الإسراف أو البخل مما يحقق الوسطية بشكل واضح وصريح، وقد أمرت الآيات بتحقيق هذا التوازن والاعتدال.
- وتبرز الوسطية في المطعومات والمشروبات من خلال تحليل الطيبات وتحريم الخبائث، وعدم الاعتداء والتجاوز في التحليل والتحريم، لما شرعه الله لهذه الأمة.
- يتحقق الاعتدال والوسطية بعدم الإسراف في تناول المطعومات والمشروبات،وإنما يؤخذ بالقدر الذي يحتاجه الإنسان، وقد أكدت الآيات والأحاديث هذه الوسطية في مطعوماتنا ومشروباتنا، فيا له من تشريع قائمٍ على التوازن والاعتدال دون إسراف أو تقصير.

قائمة المراجع

1- أحكام القرآن ، محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق وتخريج : محمد عطا دار الكتب ، بيروت ، 1408هـ-1988م .

2- أساس البلاغة ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، طبعة 1402هـ-1983م .

3- الاعتدال في التدين "فكراً وسلوكاً ومنهجاً" الدكتور محمد الزحيلي ، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1413هـ-1992م .



4- تفسير القرآن العظيم ، للإمام أبي الفداء ابن كثير الدمشقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

5- التفسير الواضح ، د. محمد حجازي ، دار الفكر .

6- التوقيف على مهمات التعاريف "معجم لغوي مصطلحي" ، محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1990م .

7- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر .

8- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الأسماء للنشر .

9- الخراج ، للقاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، الطبعة السلفية ، الطبعة السادسة ، 1397هـ .

10- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، سيد قطب ، طبعة دار الشروق .

11- خصائص الشريعة الإسلامية ، د. عمر سليمان ، مكتبة الفلاح .

12- روائع البيان "تفسير آيات الأحكام" ، محمد علي الصابوني ، منشورات مكتبة الغزالي ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، 1400هـ-1980م .

13- السلسلة الضعيفة ، محمد بن ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض .

14- سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى من مسودة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، منشورات دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

15- السيرة الحلبية ، على بن برهان الدين الحلبي , منشورات دار المعرفة ، بيروت ، 1400هـ .

16- صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1407هـ-1987م .

17- صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

18- فتح الباري "شرح صحيح البخاري" ، لابن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، بيروت .

19- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، الطبعة الشرعية السابعة ، 1398هـ-1978م .

20- الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكوفي مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية 1403هـ-1993م .



21- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، منشورات مكتبة لبنان ، بيروت ، طبعة 1415هـ-1995م .

22- مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، دار الشروق ، طبعة 1403هـ-1983م .

23- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق وضـــبط عبد الســـلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1411هـ-1991م .

24- المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسـم الحسـين بن محمد المعروف بالراغب الأصـفهاني ، تحقيق وضـبط محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

25- موسـوعة الحديث الشـريف الكتب السـتة "مجلد واحد كبير" ، صـحيح البخاري ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الثالثة ، 1421هـ-1992م .

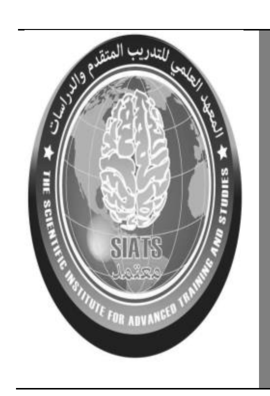
26- الوافي "معجم وسيط للغة العربية" ، الشيخ عبد الله البستاني ، مكتبة لبنان .

27- واقعنا المعاصر والغزو الفكري ، د. صالح الرقب ، الطبعة السابعة ، 1425هـ-2004م .

28- وسطية الإسلام ، د. أحمد عمر هاشم ، منشورات دار الرشاد ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م

29- الوسـطية في الإسـلام ، د. محمد عبد اللطيف الفرفور ، دار النفائس للطباعة والنشـر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1414هـ-1993م .





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد4 ، العدد1، كانون الثاني، يناير 2018م.

e-ISSN: 2289-9065

A CRITICAL PERSPECTIVE IN SOCIOLOGY OF ARAB INTELLECTUALS AND CONTEMPORARY ARAB CULTURE THE PROBLEMATIC ROLE AND POSITION OF CURRENT CHALLENGES

رؤية نقدية في سوسيولوجية المثقف العربي والثقافة العربية المعاصرة اشكالية الدور والموقف من التحديات الراهنة

الاستاذ المساعد الدكتورة فرح صابر

جامعة بغداد/العراق

farah_s_zand@yahoo.com

1439هـ – 2018م

ARTICLE INFO

Article history:
Received 22/8/2017
Received in revised form9 /9 /2017
Accepted 15/10/2017
Available online 15/1/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The objective of this paper is to answer , through testing, criticism, and analysis, some scientific and fundamental questions related to the controversial relationship of the Cultured and his/her society , an issue that has a problematic dimension, by raising many pressing questions that are generated by the reality of our Arab Islamic societies, which require pressing answers to the followings:

-What type is our present culture and what are its source
and references?

-What kind of challenges that confront our identity and present culture in the light of political, social and cultural challenges that are generated by the conflicts of civilizations promoted by the West?

-Where is the role of the cultured Arab from the cultural and fateful challenge that confronts his/her society internally and externally?

-What Arabic cultural system that the Cultured Arab is aiming to accomplish?

-How does globalization, that embeds within its folds some sort of cultural invasion, threaten the cultural identity of the society?

-Where is the role of the Cultured in identifying the influence of the cultural globalization on the civilized and cultural identity and personality of the Nation, and more important its belief which Islam forms its principal structure?

-How does the Cultured manage the balance between protecting the Nation's identity and civilized personality, and the openness to the Other to accomplish knowledge and civilization connections with societies that differ in their culture, civilization and beliefs ,and then establish a healthy relationship based on dialogue and coexistence, which is the most important objective that present day Human Societies aim to accomplish?



الملخص

هدف الورقة الحالية ؛ تفحص ونقد وتحليل العلاقة الجدلية بين المثقف ومجتمعه ،عبر أسئلة كثيرة يطرحها بإلحاح واقع مجتمعاتنا العربية الأسلامية، وتتطلب أجوبةً ملحةً عنها من قبيل : مانوع ثقافتنا اليوم؟ وماهي مصادرها ومرجعياتها؟ أي نوعٍ من التحديات تواجه هويتنا وثقافتنا المعاصرة في ظل التحديات السياسية والإجتماعية والثقافية التي يطرحها الصراع الحضاري الذي يروج له الغرب؟ أين دور المثقف من التحدي الحضاري والمصيري الذي يواجه مجتمعه داخلياً وخارجياً، بدءاً من موروث الاستبداد والديكتاتورية ، مروراً بالتنميةِ المشوهة ، وطغيان ثقافة التشدد، وانتهاءً بالاختراق الخارجي وتأثيراته المدمرة؟ .أي نظامٍ ثقافيٍ عربيٍ يتطلع المثقف العربي لتحقيقه؟ ماهي أدوات الصراع وأساليب المواجهة تجاه الهجوم الشرس الذي يشنه " الآخر " متمثلاً بالغرب الرأسمالي على هويتنا ، وقيمنا ،وثقافتنا،بل أسس وجودنا؟وما هي الأستراتيجية التي يقدمها المثقف العربي والثقافة العربية المعاصرة لتجاوز معضلات الواقع الراهن ،وتقديم المشروع الحضاري الذي يرقى الى مستوى طموح العرب وتطلعهم نحو التغيير؟

تعالج الورقة ايضا إشكالية مهمة تواجه المجتمعات العربية والإسلامية وتمثل تهديداً لهويتها وشخصيتها الحضارية متمثلةً بالعولمة التي تحمل في طياتها نوعاً من الغزو الثقافي لهذه المجتمعات . وتناقش الدور الذي يؤديه المثقف في كشف تأثيرات العولمة الثقافية على هوية الأمة وتأريخها وتراثها،وقبلها عقيدتها التي يشكل الاسلام بنيانها الرئيس . ماهي أدوات المثقف في بناء هوية مجتمعه وتحصينها، وتأمين خصوصيتها العربية والأسلامية عبر منظومته الثقافية؟ كيف يمكن للمثقف ان يديم الصلة مع تراثه وحضارته لإثراء هويته الثقافية ، والبناء من خلال ذلك عبر الإنفتاح على "الآخر" لتحقيق التواصل المعرفي والحضاري بين المجتمعات المتباينة ثقافياً وحضارياً وعقائدياً،والتأسيس لعلاقةٍ سليمةٍ قوامها الحوار والتعايش.



مقدمة

إذاكانت الثقافة تصنع الهوية ، فإن المثقف هو صانع للثقافة واللاعب الأكبر في صنع هوية مجتمعه، والعنصر الأكثر فاعلية وتأثيرا فيها.

إذن فإن هدف الورقة الحالية ؛الإجابة عبر الفحص والنقد والتحليل عن أسـئلة علمية وجوهرية تخص هذه العلاقة الجدلية بين المثقف ومجتمعه ، والتي تحمل بعداً إشـكالياً، عبر أسـئلة كثيرة يطرحها بإلحاح واقع مجتمعاتنا العربية الإسـلامية، وتتطلب أجوبة ملّحة عنها من قبيل : مانوع ثقافتنا اليوم؟ وماهي مصـادرها ومرجعياتها؟ أي نوع من التحديات تواجه هويتنا وثقافتنا المعاصـرة في ظل التحديات السـياسـية والأجتماعية والثقافية التي يطرحها الصـراع الحضاري الذي يروج له الغرب؟ أين دور المثقف من التحدي الحضاري والمصيري الذي يواجه مجتمعه داخلياً وخارجياً، بدءاً من موروث الإستبداد والديكتاتورية ، مروراً بالتنمية المشوهة ، وطغيان ثقافة التشدّد، وإنتهاءاً بالإختراق الخارجي وتأثيراته المدمرة؟ .أي نظامٍ ثقافيٍ عربيٍ يتطلع المثقف العربي لتحقيقه؟ ماهي أدوات الصـراع وأسـاليب المواجهة تجاه الهجوم الشرس الذي يشنه " الآخر " متمثلا بالغرب الراسمالي على هويتنا ، وقيمنا ،وثقافتنا،بل أسس وجودنا؟وما هي الاسـتراتيجية التي يقدمها المثقف العربي والثقافة العربية المعاصـرة لتجاوز معضـلات الواقع الراهن ،وتقديم المشـروع الحضاري الذي يرقى الى مستوى طموح العرب وتطلعهم نحو التغيير؟

تعالج الورقة ايضا إشكالية مهمة تواجه المجتمعات العربية والإسلامية وتمثل تهديداً لهويتها وشخصيتها الحضارية متمثلة بالعولمة التي تحمل في طياتها نوعاً من الغزو الثقافي لهذه المجتمعات . وتناقش الدور الذي يؤديه المثقف في كشـف تأثيرات العولمة الثقافية على هوية الأمة وتاريخها وتراثها،وقبلها عقيدتها التي يشكل الأسلام بنيانها الرئيس .كيف ينظر المثقف،ومعه المجتمع ،الى العولمة ،ولاسـيما البعد الثقافي منها،الذي ربما يعد الأشـد تاثيراً والأكثر تحدياً وخطورةً لانه يمس الثقافة والهوية بمعناها العام، بمحاولته نشر ثقافة القطيعة على المستوى الكوني عبر قولبة البشر ،اي تنميطهم من خلال المظهر والثقافة،والمرجعيات الثقافية،والأدوات،والنظرة الى الذات والكون.وبالتوازي مع هذا كله ماهي أدوات المثقف في بناءِ هوية مجتمعهِ وتحصينها، وتأمين خصوصيتها العربية والاسلامية عبر منظومته الثقافية، بما يساعد على الأرتباط القوي له(للمجتمع)بثقافته وتراثه الحضـاري ، مع الانفتاح على "الآخر" لتحقيق التواصـل المعرفي والحضاري بين المجتمعات المتباينة ثقافياً وحضارياً وعقائدياً،والتأسيس لعلاقةٍ سليمةٍ قوامها الحوار والتعايش.

هذه الأسئلة وغيرها ستكون محور القراءة والتحليل خلال الدراسة الحالية .



في تعريف الثقافة

الثقافة هي التراث الفكري الذي تتميز به جميع الأمم عن بعضها البعض، حيث تختلف طبيعة الثقافة وخصائصها من مجتمع لآخر وذلك للأرتباط الوثيق الذي يربط بين واقع الأمة وتراثها الفكري والحضـــاري .كذلك تنمو الثقافة مع النمو الحضـــاري للامة ،كما اِنها تتراجع مع ذلك التخلف الذي يصـــيب تلك الأمة،وهي التي تعبر عن مكانتها الحضارية والثقافية التي وصلت اليها[1] .

ولعل مصطلح الثقافة من أكثر المصطلحات استخداماً في الحياة العربية المعاصرة ،لكنه من اكثر المصطلحات صعوبة على التعريف. ومن نافلة القول ان الثقافات البشـرية عرفت هجرة المفاهيم من ثقافة الى أخرى، ومن ميدان معرفيٍ الى آخر .وحين يهاجر المفهوم من ثقافة او حضـــارة معينة الى اخرى ، فان جهوداً تبذل لتوطينه لكي يحمل في موطنه الجديد دلالات محددة[2].

ومفهوم الثقافة هو من بين هذه المفاهيم المهاجرة، فقد انتقل من موطنه الأصـلي وتوطن في عدد واسـع من المجالات في بلادنا العربية والأسـلامية. وليس مبالغة القول باهمية دراسـة مفهوم الثقافة اذا ادركنا ان كل تفكير في مشـكلات الحضارة هو تفكير في مشكلات الثقافة[3].

وفي سـياق المصـطلح فان تعريف الثقافة في العربية وكما جاءت في قواميس اللغة هي من لفظ ثقف التي تعني سـرعة التعلم ، فثقفت الشيء اذا حذقته وظفرت به ،وثقف يعني حاذق ، فهم، فطن[4].

وشـهد القرن التاسـع عشـر نقلة نوعية في مفهوم الثقافة مع العالم الأنثروبولوجي البريطانيِ اِدوارد تايلور عندما عرّفها على أنها مجموعة من الأنشـطة المتميزة لثقافة المجتمعات البشـريةعلى اختلافها.وهذا التعريف مهد الطريق الى مفهوم الثقافة الحديثة[5]. وسيتحول لاحقا الى تعريف مرجعي لكل المختصين في العلوم الأجتماعية والأنسانية.

كذلك فان مصـطلح الثقافة اكتسـب عند الفلاسـفة والمفكرين الألمان دلالات عدة تبعاً للتدرج الزمني ، حيث بدأ بالانتقال من التعميم الى التخصيص .فبالنسبة الى كتاب العصر الكلاسيكي أتسع المفهوم لكي يشمل مظاهر التقدم المادي والفكري والخلقي ، التي حققتها البشرية معتبرة في جملتها. اما بالنسبة الى تابعيهم فان المفهوم ضاق باشد ضيقٍ

(1)مالك بن نبي،مشكلة الثقافة،دار الفكر،دمشق،2011،ص101.

(2) Edward Taylor, Primitive culture, New York, 1924, P.1.

(3)غادة حلايفة، ماهو تعريف الثقافة،ص1 ، على موقع : .. www.mawdoo.com

(4)ابن منظور ،لسان العرب ،الجزء السادس،دار المعارف ،د.ت،ص 492-493 .

(5)Taylor,Op.Cit,P12 .



يكون ، فصـار يدل على جملة انجازاتٍ فكرية ، وقد عُدَّت" خيرا خاصـاً بامةٍ بل ومخصـوصـاً بها ،موقوفاً عليها دون سواها "(6).

الا انه اِبتداءا من خمسينيات القرن الماضي ستظهر تعريفات اخرى واسعة حداثية للثقافة أحدثت قطيعة مع الفكرة الانثروبولوجية ككل مرّكب عند تايلور(7). وهكذا اصبح مصطلح الثقافة مفهوماً اساسياً في علم الانثروبولوجيا ليشمل بذلك كل الظواهر البشرية التي لاتُعد كنتائج لعلم الوراثة البشرية بصفةٍ اساسيةٍ . وعلى وجه التحديد فان مصطلح الثقافة أخذ يشـير الى جانب أمورٍ اخرى ، الى الطرق المتباينة للعديد من الناس الذين يعيشـون في أرجاءٍ مختلفةٍ من العالم والتي توضح وتصنف بدورها خبراتهم، والتي تؤشر بشكل كبير على تميز تصرفاتهم بالأبداع في الوقت ذاته . وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية صار لهذا المفهوم قدر من الأهمية ولكن بمعاني مختلفة بعض الشيء في بعض التخصصات الاخرى مثل علم الأجتماع ، والأبحاث الثقافية ، وعلم النفس التنظيمي ، واخيرا الأبحاث المتعلقة بعلم الأدارة(8).

وفي العام 1985 عرّفت منظمة اليونسكو الثقافة بأنها جميع معارف الأنسان المتعلقة بالطبيعة والمجتمع(9).

بينما يعرّفها محمد عابد الجابري ،انها " المعبر الأصيل عن الخصوصية التأريخية ومهامه هنا ،وقدراته وحدوده،ومايبنغي ان يعمل ومالاينبغي ان يأمل "(10).

وعموما يمكن تحديد خصـائص الثقافة في ثلاث مسـارات، اولها: انها من اِكتشـاف الأنسـان باأعتبارها مُكتسـبة وليست وراثية او غريزية . اِذن الثقافة اِنسانية الملامح ، ولامجال لقيام اية ثقافة دون الوجود الانساني الذي ينمّي هذه الثقافة ويكتسـبها عن الغير من خلال تطور حياته الأجتماعية فناً وفكراً وسـلوكاً. وثانيها: ان الثقافة تنتقل من جيلٍ لاخر،ومن مجتمعٍ لاخر،من خلال العادات والتقاليد والقوانين والأعراف،وعملية النقل هذه تتم من خلال التعلم،مع اضـافة كل جيل لما يكتسـبه مما يطرأ على حياته من قيم ومبادىء وأفكار وسـلوكياتٍ جديدة نتيجة لتغير الظروف .وأخيراً ،فاِن الثقافة قابلةٌ للتعديل والتغير من جيلٍ لاخر حسب الظروف الخاصة بكل مرحلة،ويمكن للاجيال الجديدة ان تضيف قيماً ومفاهيم جديدةً لم تكن موجودة لدى الاجيال السابقة(11).

---

(6)مصـطفى المريط، مفهوم الثقافة بين الفكرين الغربي والعربي،من اِلتباس المفهوم الى أفق البناء الحضـاري،ص2-3 ، على موقع : www.nama-center.com

(7)المصدر نفسه،ص3 .

(8) تعريف الثقافة ، على موقع : www .ar. Wikipedia

(9)شيهب عادل ،الثقافة والهوية- إشكالية المفاهيم والعلاقة ،ص1 ، على موقع :www.aranatbropo.com

(10)احمد صدقي الدجاني ، الثقافة العربية والأسلامية وتحديات العولمة،مجلة الكلمة،السنة الخامسة،العدد، بيروت،شتاء1998،ص143 .

(11)شيهب عادل،المصدر السابق.



معنى الهوية

اذا كان العديد من علماء السوسيولوجيا يشيرون الى اِرتباط مفهومي الثقافة والهوية بمصير واحد،الا ان ذلك لايعني بسهولة خلط أو ذوبان احدهما بالآخر. اذ يمكن للثقافة ان تعمل بدون وعي للهوية، بينما يمكن لأستراتيجيات الهوية ان تعالج الثقافة اوتغيرّها ، وبالتالي يبقى هناك شيءٌ مشترك مع ماكانت عليه في السابق .

تنشأ الثقافة في جزءً كبيرً منها عن عملية لاواعية ،أما الهوية فتُحال الى معيارٍ انتمائي يجب ان يكون واعياً لانها ، أي الهوية ، تقوم على تعارضات رمزية(12).

كذلك فان الهوية ليست بنية مغلقة وانما هي بنية متحولة باستمرار،ولكن على محورٍ ثبات. انها مصطلحٌ يعكس نفسه تحت مجهر الزمن ومعاييره ، وفي سياق علاقة تبادلية تنهض على تفاعل ،متحقق او مكبوح، مع معطيات الوجود ومكونات المحيط، بحيث لايمكن التعامل معه بمعزل عن اِدراك مناص تأثره بالسلطة الزمنية للتأريخ وبمعطيات حركة الحياة وغايات الحراك والسكون الثقافي : الأجتماعي ،والأقتصادي،والسياسي،والقانوني وغيرها(13).

وتأسيساً على ذلك فان للهوية، باعتبارها منظومة قيم منطقية بنية متحولة في آن معا،وظيفة حضارية تفضي بالانسان الى صعود مراقي التطور والتقدم والأزدهار، وتنجز اهدافاً في تحفيز مسيرة الرّقي الانساني، وفي بناء حضارة البشر على نحو يمكّن الانسان من الاستمرار في رحلةٍ وجوديةٍ تحمله من كمال متحقق الى كمال محتمل(14).

ان العلاقة بين الهوية والثقافة ، تعني علاقة الذات بالأنتاج الثقافي. ولاشك ان اي نتاج ثقافي لايتم في غياب ذات مفكرة، دون الخوض في الجدال الذي يذهب الى أسبقية الذات على موضوع الأتجاه العقلاني المثالي او الذي يجعل الموضوع أسبق من الذات ، وان كل مافي الذهن هو نتيجة ماتحمله الرأس وتخطه على تلك الصفحة (ذهن الانسان) كما يذهب لوك والاتجاه التجريبي بشكل عام(15).

الهوية تتأسس على عمقٍ منفتح على ثلاث جبهاتٍ هي: تأريخ الشعب والأمة، الموغل في القدم ، معطيات الحاضر المتناغم مع آفاق التطور الأنساني الرحب،وممكنات المستقبل المفتوح على اِستعادة القدرة على المشاركة في الحضارة الانسانية .

---

(12) عبد الرحمن بسيسو، الثقافة والهوية او الثقافة ومعركة الدفاع عن الهوية،ص2، على موقع : www.home.birzeit.edu/cds1arabic/news

(13)المصدر نفسه ، ص3.

(14)المصدر نفسه ، ص3.

(15)المصدر نفسه،ص4.



وعلى العموم تتحرك الهوية الثقافية على ثلاث دوائر متداخلة وذات مركز واحد، اولها ان الفرد داخل الجماعة الواحدة هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة، عبارة عن أنا لها آخر داخل الجماعة نفسها . "أنا" تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من الآخر.

اما الدائرة الثانية فتتمثل بالجماعات داخل الأمة، هم كالأفراد داخل الجماعة ،لكلٍ منها مايميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، ولكل منها أنا خاصة بها وآخر من خلاله وعبره تتعرف على نفسها بوصفها ليست اِياه. وبالنسبة للدائرة الثالثة يقال الشيء نفسه بالنسبة للأمة الواحدة إزاء الأمم الاخرى ،غير اِنها أكثر تجريداً واوسع نطاقاً ،واكثر قابليةً للتعددِ والتنوعِ والاختلافِ[16].

وبالنظر الى تعدد الدوائر في كل هويةٍ ،فان الهويات الثقافية لاتكتمل ولاتبرز خصوصيتها الحضارية ولاتغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية ، وعلى الأخذ والعطاء الا اذا تجسدت مرجعيتها في كيان شخص تتداخل فيه ثلاثة عناصر: الوطن والأمة والدولة[17].

وبما ان الهوية الوطنية مَدينةٌ للثقافة التي اوجدتها فان الواجب الأول للمثقف انما يتمثل في تعزيز الهوية الثقافية التي تكسب الأمة مكونات هويتها الوطنية، وفي ترسيخ حضور هذه الهوية في مختلف مناحي الحياة والأنشطة الأنسانية جميعا .

ان هذا الدور الفاعل للمثقف في تعزيز هذه العلاقة التقابلية بين الثقافة والهوية ، وامتلاكه (المثقف) للقدرة على التأثير والتغيير عبر امتلاكه الأدوات اللازمة لقراءة هوية المجتمع الذي ينتمي اليه،وتحديد مرجعيتها الثقافية يستلزم تعريف المثقف اصطلاحاً ومضموناً .

المثقف : المصطلح والمضمون

يمكن القول ان مفهوم المثقف يأخذ مكانه بين المفاهيم الاشكالية الغنية بالمعاني المتدفقة بالدلالات ، وسيبقى هذا المفهوم قادراً على جذب اهتمام الباحثين لما ينطوي عليه من ثراءٍ وغنىً، وتنوعٍ واهميةٍ .

ويمكن هنا استعراض بعض التصورات ذات الدلالة التي قدمها بعض المفكرين حول مفهوم "المثقف" بدلالته ومعانيه. فصلاح بوسريف يصف المثقف بالقول "ان المثقف ليس مفهوماً ممكناً قطعياً، ممتلئاً بتعبيراته ومايحمله في طياته من مداليل،بل اِنه مفهوم متموج،متشرح،مافيه من فراغ،ومن مساحات شاغرة اكثر مما فيه من اِمتلاء،وهذا مايسمح

(16)خالد الخطيب،ماهو تعريف الهوية،ص2، على موقع : www.ejaaba.com

(17)المصدر نفسه، ص،2؛شيهب عادل ، المصدر السابق،ص2.



بضـــرورة الاضــــافة والملء،وبالمراجعةالدائمة،اوالبدءمن جديد على الدوام،ليس بنفي المفهوم واِلقائه ،بل لتجديده،وتحيينه،ووضـــعه في ســـياق المتغيرات الحادثة والطارئة،بما تحدث في هذا المفهوم ذاته منٍ خدوشٍ وجروحٍ وتصدعاتٍ"[18]. في حين يعرّف آخرون المثقف بأنه " شـخص التأمل والتفكير او شـخص القدرات الفكرية العالية الذي كرّس نفسه للدراسة والتأمل ،وبصورة خاصة القضايا العقيمة والعويصة . اِنه الشخص الذي يسترشد اصلاً بالعقل والفكر بدلا من العواطف، اِنه الشـــخص الذي ينغمس في الاعمال الفكرية والأبداعية،وبصـــورة خاصـــة في حقول العلم او الأدب والفن بدلا من العمل اليدوي"[19]. في حين يشـــير اليهم ماركس في الآيديولوجية الالمانية باعتبارهم مفكري " الطبقة الحاكمة ،وبأنهم اولئك الذين يخلقون الوهم الآيديولوجي والأفكار عن طبقتها ،وعن نمط واسـلوب حياتها[20]. بينما يرى الباحث الأمريكي شـيلز ، ان الفئة المثقفة تشـمل " جميع الأشـخاص ذوي التعليم الحديث"[21]. وبمعنى آخر اِنها تقتصـــر على هؤلاء الذين احرزوا تعليماً علمانياً وذلك للتمييز عن المثقفين القدماء التقليديين ممن تلقوا على الاغلب ثقافة دينية[22].

وولعل الأمر الجدير بالمناقشة في هذا المجال يتعلق بتشاكل مفهوم الأنتجلنسيا مع مفهومي المثقف من جهة ، والنخبة الثقافية من جهةٍ اخرى. ويأخذ هذا التشاكل صورته في الأستخدام المتناوب لهذه المفاهيم بدلالةٍ واحدةٍ في كثير من الاحيان، كما يأخذ هذا التشاكل صورة الترادف والتعاقب والاستبدال .

امتلك مفهوم الأنتجلنسيا خصوصيته التاريخية ،وحمل سماته الخاصة في الدلالة والتعبيرعن وضعية طبقة من المثقفين نشأت في سياق تأريخي مختلف . وقد أستخدمت هذه الكلمة بصورة مبكرة في القرن التاسع عشر في روسيا لوصف النخب الثقافية الروسية الجديدة التي كانت قد تلقت تعليماً جامعياً على الطراز الاوربي[23].

وقد تخطى هذا المفهوم حدود روسـيا وانتشـر بشـكل واسـع في هضـاب الثقافة الغربية متقاطعاً مع مفهوم "المثقف العضـوي" ومتجاوزاً اياه ليشـتمل على دلالاتٍ جديدةٍ تتجاوز مفهوم "المثقف" الذي يرتقي في صـورته الأنتجلنسـوية الى مفهوم النخبة الثقافية، الطليعية في المجتمع[24].

([18])علي اسعد وطفة،المثقف النقدي مفهوماً ودلالةً،مجلة الطريق، العدد11، بيروت، 5أيلول 2015، ص28.

([19])وليد خالد احمد،محددات الدلالة اللغوية والمفاهيمية لمفردة الأنتجلنسيا،صحيفة الزمان،24 ديسمبر2012.

([20])كارل ماركس وفردريك انجلز،الآيديولوجيا الالمانية،ترجمة الدكتور فؤاد ايوب،دمشق،1976،ص48.

([21])Shills. Edward, Political change in under developed countries, New York,1962, P.22.

([22])ف.ل.تياغوننكو واخرون،التركيب الطبقي للبلدان النامية،ترجمة داود حيدر ومصطفى الياس،ط2 ،دمشق،1947،ص357.

([23])"Oxford Dictionary of sociology",2nd.edit,Oxford university press,London,1998,P3.

([24])علي اسعد وطفة،المصدر السابق،ص4.



وقد اعتاد كثير من الكتاب على الأستخدام الترادفي لمصطلحي المثقفون والأنتجلنسيا للدلالة على المفكرين الذين يمارسون فعلهم الثقافي من منظور نقدي للأوضاع الأجتماعية والسياسية القائمة . وربما لايختلف مفهوم "المثقفون"عن مفهوم"الانتجلنسيا"كثيرا عندما ناخذ بعين الاعتبار مفهوم "المثقف العضوي"عند غرامشي ،حيث يتقارب مفهوم المثقف ويتجاذب مع مفهوم الأنتجلنسيا ،لأن المثقفين العضويين ايضا يسهمون في إبتكار الافكار،ونقد الأوضاع السياسية القائمة،ومواجهة التحديات الأجتماعية الكبرى في الحياة السياسية والأجتماعية للامة[25].

وثمة مصطلحات عديدة ظهرت للتعبير عن العلاقة الأيجابية بين المثقف وقضايا المجتمع، سنأتي على شرحها لاحقاً، جميعها تدل في جوهر الأمر على معنى واحد يتمثل في دور المثقف ووظيفته في مواجهة التحديات والقضايا والمشكلات والأوضاع التي يواجهها المجتمع الذي يعيش فيه.

دور المثقف

كان للمثقفين في السابق دور كبير في تشكيل هوية مجتمعهم ،وعقلها وشخصيتها،واسهموا بفاعلية في تكوين وتجديد مرجعيتها الثقافية[26].

اما اليوم فقد تغير موقف المثقف عما كان عليه في الماضي ،فالمثقف اليوم ليس الذي "يفك"الحرف في مجتمع تغلب عليه الأمية ،وليس ذلك الذي يقرزم الشعر في المناسبات ،وليس ذلك الصوفي المعزول في برج عاجي ،مهمته ان يتأمل ويستنبط من أجل الوصول الى "الحقيقة" المطلقة فيخرج بها على الناس بعد طول غياب .المثقف اليوم هو الذي يعي روح العصر ،ويندمج في تياره ،ويساهم عن طريق الكلمة والفكر من اجل زيادة معارف الناس ،وصقل وجدانهم وجعلهم اكثر انسانية[27]. لكونه يمثل شرعية متميزة داخل المجتمع بسلوكه وافكاره وذوقه،يسعى باستمرار الى تعديل القيم الثابتة والى العمل احيانا كجماعة ضغط معنوي من اجل مبدأ أو قضية[28].

([25])نديم البيطار ، المثقفون والثورة.الأنتجلنسيا كظاهرة تاريخية،بيروت ،2001 ، ص 62 .

([26])عبد القادر عرابي،أزمة المثقف العربي.المحنة الدائمة.دراسة في نشأة المثقف العربي وسوسيولوجيته، مجلة المستقبل العربي،السنة18،العدد196،بيروت،1995،ص27 .

([27])نديم الانصاري،المثقف العربي والسلطة ،مجلة الوحدة،العدد10بيروت،يوليو1985،ص13.

([28])المختار بنعبدلاي،الثقافة العربيةومعطيات الواقع الراهن وآفاقها المتطورة،مجلة الوحدة،العدد101-102،بيروت،فبراير-مارس 1993 ،ص 47 .



فالمثقف بوصـــفه أنموذجا راقياً للوعي الانســـاني في اكثر جوانبه نضـــجاً وتطوراً وانطلاقاً ،هو المرآة التي تنعكس فيها الثقافة الواعية الأبداعية للمجتمع الانســـاني ،حيث يتماهى "المثقف" مع اِرادة التغيير في الحياة ويتفاعل مع الثقافة بوجهها الأنساني على حد سواء[29].

والمثقف وفق هذه الرؤية وعيٌ ثقافيٌ تتجلى قدرته على امتلاك الحقيقة،والتأثير فيها ،وإعادة تشكيلها وإنتاجها روحياً واخلاقياً وانســانياً. والثقافة التي تميّزه هي هنا في هذا الســياق تعني نمطاً من انماط التجليات الثقافية للمثقف ودوره في الحياة،وهي ترمز في الوقت ذاته الى تدفق فعله الثقافي الذي يتصف بالقيمة الأخلاقية ،ترسيخاً للسمو الاخلاقي الذي يتميز به "المثقف"تاثيراً في الكون والحياة الثقافية "[30].

ويكمن الانجاز الرئيس للمثقفين في"خلق المرجعيات الثقافية ،التي لاتؤصـل العلوم الأجتماعية فحسـب،بل تُسـهم في تجدد الهوية الثقافية،بعدما تعرضت الى تشويه ومسخ نتيجة عوامل عديدة ومتشابكة[31].

وبناءاً على ذلك فان المثقف يتموضع ضمن ثقافة معينة هي نتاج التبادل الاجتماعي في مرحلة تأريخية محددة ،ويسهم في هذه الثقافة بالأنتاج والتطوير والأستعمال ،اي انه لايكف عن المحافظة على قيم هذه الثقافة ،والعمل على توصيلها وإعادة إنتاجها. واذا كانت الثقافة في نظر كانط "اعلى مايمكن للطبيعة ان ترقى اليه"[32]، فان دور المثقف في هذه الحالة يمثل سعياً انسانياً لتحقيق هذه الغايات الثقافية العليا.فالفرد،في أي مجتمع مغمور بتراث ثقافي يتجاوزه،وهوالتراث الثقافي للحضـــارة التي ينتمي اليها . وهو من خلال هذا التراث يدرك العالم ويحكم عليه ،غير اِن هذا التراث عندما يتجمد ولايتجدد يسـير نحو الضـمور، فالزوال،ويحول بالتالي بين الفرد وبين كامل إدراكه لذاته وغيره. ومن هنا كانت هناك صلة دائرية بين تجدد المجتمع وتجدد الفرد،فكل منهما يجدد الآخر[33]. وهذا الامر لايتحقق الا عن طريق تجديد الوعي،وبثه في الإتجاه الصـــحيح. فالمثقف في الحالة هذه مطالب بحكم دوره الى ان يكون أداة لنشـــر الوعي في المجتمع،وباعثاً للفكر الصحيح،وحامياً له.لكن هذه الرؤية مازالت تعاني قصوراً لدى الأنتجلنسيا العربية او رجال الفكر في معظم المجتمعات العربية،او أنها لم تتبلور الى الحد الذي يجعلهم فاعلين او مبدعين في مجتمعهم .

---

(29)علي اسعد وطفة،المصدر السابق،ص1 .

(30)المصدر نفسه،ص1.

(31)عبد القادر عرابي،المصدر السابق،ص27-28.

(32)المصدر نفسه،ص2.

(33)قسطنطين زريق ،نحن والتأريخ : مطالب وتساؤلات في صناعة التأريخ وصنع التأريخ ،دار العلم للملايين ، بيروت،1959 ، ص 208 .



واذا كان المثقف في الغرب قد استغرق وقتاً طويلاً للاعتراف بسلطته ككاتب ،وتثبيت دوره في المجتمع ، بمواجهة الأستبداد كنظام وآيديولوجية تبرره ،وإرساء مبادىء التعاقد والحرية والمصلحة العامة ،والأقتراع العام ،وخاض معركة طويلة ضد الرقابة من اجل الحق،فان المثقف العربي تواجهه معضلات اشد وظروفاً اكثر تعقيداً.فاحد شروط أداء دوره ،ان يكون له موقف من القضايا العامة ،وان يعمل على توجيه الرأي العام والتأثير على السلطة ،وهذا لن يتحقق الا بتعبيد الأرضية التي تعلو فيها قيم الحرية والعدالة، حتى يكون للمثقف معنى الحديث عن رسالة الكاتب في عملية التغيير[34]. فاذا كان المثقفون القدماء لم يواجهوا مايعرف اليوم بالرأي العام اومن كانوا يطلق عليهم تسمية "العامة" ليكونوا سنداً لهم فيما يكتبون،لانه وحده الفقيه كان له نفوذ لدى العامة،نظراً لحاجة هؤلاء الى عمله الديني ،فان مثقف اليوم يطمح الى ان يكون مثقفا فاعلاً وعضوياً ،لاوارثاً لسلطة الفقيه الدينية،واستبدال الخطاب الثقافي التقليدي بخطاب آخر نهضوي[35].

ويبلور عبد المالك التميمي دور المثقف ووظيفته في هذه المرحلة في "تحليل حاضر المجتمع وتحديد مشكلاته بوعي تاريخي.وتوعية الناس بتلك المشكلات،وتحديد اهداف المجتمع،وبلورة وعيه حول تلك الاهداف،واشاعة وتأصيل الثقافة الجادة ووحدتها،وإقامة المؤسسات الثقافية وتنشيطها،وحمايتها،والتفاعل مع القضايا العربية المصيرية ،والقضايا الانسانية،والعمل على عقلنة المجتمع بعقلنة السلوك والحياة اليومية ،والمؤسسات والفكر،ومواجهة سلبيات الواقع ونقدها[36].

فلا يمكن ان تشهد حياتنا الثقافية تغيراً جذرياً الابتغير الثقافة ،ويبقى اي تغيير سياسي مشروطاً بتغيير ثقافي، ذلك ان الثقافي لاينفصل عن السياسي في المجتمع[37].

([34])نديمالبيطار،المصدر السابق، ص63.

([35])المصدر نفسه ، ص63.

([36])عبد المالك التميمي،بعض أشكاليات الثقافة والنخبة المثقفة في مجتمع الخليج العربي المعاصر،مجلة المستقبل العربي، السنة 12،العدد134،بيروت ، نيسان ، ص36 .

([37])نقلا عن : محمد عبد الباقي الهرماسي، المدخل الثقافي الإجتماعي الى دراسة الدولة، ورقة قدمت الى ندوة : الأمة والدولة والإندماج في المجتمع العربي، تحرير غسان سلامة وآخرون، ج1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1989،ص188.



إشكالية المثقف

هيمنت على المثقف هواجس كثيرة ،ولكن يمكن الاشارة الى اهمها ،وهي هاجس الهوية الحضارية ،وهاجس بناء دولة الأمة.

لاتعاني أمة من ازمة هويةٍ ثقافيةٍ شبيهة بما يعاني منها العرب.فمفهوم المثقف العربي للأزمة حول الهوية هو ان الأختلاف حول تحديدها يؤدي الى اختلاف على شتى جوانب الحياة،سواء أكانت سياسية ام أقتصادية ام أمنية وعسكرية،بل الى خلاف يعيق المجتمع العربي عن مواجهة مخططات الخارج بمنهج واحد وأتجاهات واحدة ووسائل واحدة،ويد واحدة . ومايظهر اليوم من اِختلافات في الرؤى والآيديولوجيات حول هذه الهوية يرتبط بما نشهده اليوم من ضعف في المواجهة في شتى القضايا العربية الساخنة،بل هو نتيجة لغياب الأتفاق حول مفهوم موحد حولها[38].

ولم تكن الهوية ازمة حديثة بل لها جذورها التاريخية التي تمتد الى عمق تكوينها الفكري والسياسي .

ولعل هناك اِشكاليتان تحولان دون قدرة المثقف العربي على الأسهام في المشروع الحضاري الكبير ؛أوله: هي نخبوية الثقافة والمثقفين العرب ،هذه النخبوية التي تعبر عن وجودها بشكل قطيعة بين المثقف والناس العاديين الذين يفترض ان المثقف يتكلم بأسمهم.اما الاِشكالية الثانية التي تواجه المثقفين العرب وتقلل من فاعليتهم ، فهي عدم تحديد الأولويات ،والقاء نظرة عامة على النتاج الثقافي العربي منذ عصر النهضة يكشف عن ان المسألة الوطنية وفحواها في تحقيق الكيان القومي وبناء الوحدة العربية ،قد شاطر المسألة الاجتماعية الأهتمام الأكبر[39].

فالفكر يرتبط بالواقع في عملية تأثير وتأثر متبادل تغني جهدها الدائم.هذا الأرتباط هو الاساس في كل معرفة ،والمعبّر عن وحدة النظر والعمل. وانطلاقاً من المبدأ في نظرية المعرفة يكون النظر غير منفصل عن ابداعه لواقع جديد . هذا الجانب العملي من النظرية ملازم لجانبها التأريخي حيث ان موضوعية العالم وصيرورته لاتدركها المعرفة الأنسانية الاعبر الممارسة التأريخية التي لاتنفصل عنها. فرؤية الواقع كما هو ،هي المقدمة الاولى لفهمه وادراك ابعاده،ويمثل هذا الفهم بدوره شرط التغيير واحد مقوماته[40].

(38)حسن خليل غريب،الأختلاف على الهوية الثقافية والهوية القومية أزمة سياسية تعيق حركة التحرر العربي،ص1 .على موقع : -www.al moharer.net.

(39)زينب سعيد ، في تحديد مفهوم المثقف ،ص3. على موقع : www.siironline.org

(40)المصدر نفسه،ص 3-4.



ويتفق الكثيرون على ان مثلث التراث،والثقافة و،والفكر يمثل احد الأشكاليات الكبرى بالنسبة للمثقف العربي ،وفي مقدمة هذه الأشكاليات تقديس التراث. فالتراث "أنموذج مطلق في حياتنا" ،أنموذج أساسه المقابلة بين"ماضٍ مجيدٍ وواقعٍ بائسٍ فاسدٍ" غايته استرجاع الماضي لصنع الحاضر او الأقتراب من التأريخ والتعامل معه يتم على وفق أنتقائية قسرية،"تجاوز فترات معينة ، واهمال أخرى لكي لاتنشأ انقسامات لايقوى المجتمع حالياً على تحملها"[41]. ويشرح محمد الحداد هذه الاشكالية بالاشارة الى ان الوضع عندنا هو ان التراث يخنق الثقافة ،والثقافة اليوم تقوم بدورها بديلاً عن الفكر، فتطغى حينئذٍ المحلية ،وتبرير السائد،وترديد السابق. ويظل محدوداً الميل الى المساءلة والتغيير ،والى استشراف المستقبل. فأولى مراحل الفكر ان يقبل بمسافة نقدية بينه وبين الثقافة ،لكي لايكون دور المفكر التبرير ولو تحت شعار المقاومة . وثانية المراحل ان يجعل الثقافة موضوعا للفهم والتحليل وليس صنما للتقديس ،لان الثقافات جميعها لغات للتعبير الأنساني ،ومعابر للوصول الى الكوني الذي يجمع البشر[42].

ويشرح قسطنطين زريق موقفه من التراث بالقول "واذا كنا لانسمح لماضينا بالهيمنة على حاضرنا ،فهذا لايعني التنكر لما يمدنا بالحياة،اذ لانستطيع نسيان المثل العليا التي حركتنا ،ولاحكمة الأوائل وحيويتهم، ولاماتحلوا به من روح الفضل والمجازفة العقلية ،ولا لروائعهم الادبية والثقافية،ولاتسامحهم مع الآخرين،ولاقدرتهم على استيعاب ثقافات الآخرين وتكوين مركزي ثقافي متنوع ،لاننا اذا نسينا ذلك، لماكنا نحن . ولكن هذه الروائع اصبحت مكسوة بالغبار،وعلينا ان ننفض عنها ذلك على مدى نظرة شاملة للتراث الانساني ،تعتبر هذا التراث ايضا تراثنا وتعتبر الروائع الأنسانية روائعنا[43].

المفكر هومن يقبل الأنتماء الأيجابي المزدوج: إنتماء نقدي الى ثقافته،وإنتماء طوعي الى مجتمع عابر للقوميات والأوطان والأديان، مجتمع عابر للثقافات يحاول ان يصوغ لغة تداول كونية بين البشر ،وينحت إشكالاتٍ ومفاهيم تستجيب للتطلعات الكبرى للأنسان[44].

وكما يؤشر احد المثقفين، فان "قرناً من الزمن هدرنا،ونحن نبحث في إشكالية أكل الدهر عليها وشرب ، وان عبرت عن شيئ،فإنما تعبر عن بؤسِ مثقفٍ ومجتمعٍ عربيٍ لايصنع ثقافة الحاضر بل يهرب الى الماضي[45].

---

(41)عبد الله العروي،ثقافتنا في ضوء التأريخ، بيروت ، 1984 ، ص 176 .

(42)محمد الحداد، مواقف من اجل التنوير ، دار الطليعة ، بيروت ، 2005 ، 112-123 .

(43)قسطنطين زريق ، المصدر السابق، ص ، 208 .

(44)محمد الحداد ، المصدر السابق، ص 113.

(45)عبد القادر عرابي ، المصدر السابق ، ص43 .



ان فشـــل المثقف في خلق الوعاء الحضـــاري الذي يجعله قادرا على الموازنة بين التراث والمعاصـــرة تخلق لديه حالة من الأرباك،وتقوده الى الأغتراب عن الذات والمجتمع .

اذن فان المثقف العربي على الرغم من سعيه في هذه المرحلة الى بناء مجتمع مدني ، فقد حدّ من هذا البناء او بالاحرى وقف عائقا امامه ظواهر سادت الحياة السياسية والاجتماعية العربية، التي جاءت أصلا إنعكاسا لما آل اليه الوضع العربي عموماً. تراجع الخطاب القومي والاســـلامي لصـــالح الفكر العشـــائري والأقليمي والطائفي،وعســـكرة المجتمع والثقافة[46].

لهذا فان مثقف هذه المرحلة ،بإعتباره نتاجاً عضوياً لواقعٍ اجتماعيٍ – سياسيٍ جاء معبراً أصيلاً عن هذه الثقافة.فبدلاً من أنموذج المثقف الملتزم ، الذي كان مرآة عاكسـةً لمجتمعه ، وهمومها وقضـايإها،ظهر في هذه المرحلة نمط من المثقفثن وظيفتهم الأساسية أستهلاك الثقافة دون ارتباط جدي بقضية بعينها[47].

أنماط المثقفين

اذا سلمنا بدءاً إن نمط مثقف السلطة هو أنموذج شائعٌ في المشهد الثقافي العربي ،فإنه في المقابل توجد أنماطٌ أيجابية اخرى تجدر الاشارة اليها قبل العودة لمناقشة علاقة المثقف بالسلطة،وهي الأطروحة التي تلازم الحياة الثقافية العربية.

وللتعبير عن العلاقة الأيجابية بين المثقف وقضـــايا المجتمع ظهرت مصـــطلحات كثيرة جدا لكنها تدور جميعها في فلك واحد، وحول جوهر واحد يتمثل في اهتمام المثقف بقضـــايا المجتمع ونضـــاله من اجل إحقاق الحق وتجســـيد العدل الأنســـاني ومناشـــدة الخير والجمال .اذ نجد "المثقف العضـــوي"و"المثقف الملتزم"و"المثقف النقـدي"و"المثقف الرســـولي"و"المثقف الريادي"و"المثقف الطليعي"و"المثقف الناقـد"و"المثقف المشـــاكس"و"المثقف الوطني"و"المثقف الأنســـاني" .وجميع هذه المصـــطلحات تدل في جوهر الأمر على معنى واحديتمثل في دور المثقف ووظيفته في مواجهة التحديات والقضايا والمشكلات والأوضاع التي يواجهها المجتمع الذي يعيش فيه[48]. ومن الواضح ان هذه الكلمات الدالة على المثقف النقدي تقف على نقيض الكلمات الدالة على الفكر التأملي او الفكر العاجي او الفكر الذي يعيش في عالمه الخاص بعيدا عن الحياة وهمومها ومشـــاكلها .فالفكر كما يرى كثير من المفكرين يجب ان يمارس وظيفة اجتماعية في نقد مختلف التحديات والمشكلات التي يواجهها المجتمع. وعلى هذا الاساس يمكن القول ان المثقف

(46)عبد القادر عرابي،المصدر السابق، ص 37 .

(47)محمد عابد الجابري ، اجيال المثقفين في الأسلام،صحيفة الشرق الاوسط، 8 فبراير 1995 .

(48)علي اسعد وصفة، المصدر السابق ، ص5.



الذي يدير ظهره للمجتمع لن يكون جديراً بتسمية المثقف الحقيقي،وبالتالي فان المثقف هوذلك الذي لايرضى ان يكون شاهداً على الحدث بل فاعلاً ايجابياً متمرساً في قضاياه واحداثه، ولايكون فاعلاً الا عنما يكون أنموذجا للمثقف العضوي حسب توصيف غرامشي ،او أنموذجا للمثقف الشجاع حسب جوليان بندا، او حتى أنموذجا للمثقف الفطين التفكير ،الواضح الرؤية عند الجابري ، والملتزم عند بيير بورديو،اومثالا للوعي الشقي حسب هيجل[49].

ان المثقف النقدي يعكس ارتباطا عضويا للمثقف بقضايا مجتمعه ،فهو المثقف الفاعل في مجتمعه وبيئته،المستقل فكرا ونهجا، ثقافته ثقافة إبداع ومقاومة وتأسيس[50].

ولكن هذا النمط من المثقف هو نمط محاصر من كل الأتجاهات . ولعل اخطر مايواجه هذا النوع من المثقفين هذا الكم الهائل من المحظورات والمحرمات التي لايمكن المساس بها بعد ان اضفت عليها العقلية الغيبية والتسويغية هالة من القدسية جعلت الاقتراب من دراستها او حتى مجرد الاشارة اليها امراً يثير في وجه المثقف النقدي عواصف عاتية لايمكن التنبؤ بمداها او نتائجها المدمرة . لذا فإن المثقف الملتزم ،الواعي لمسؤولية رسالته "معزول ثقافياً" رغماًعن ارادته.أمامه خياران لاثالث لهما ، أما فك الارتباط مع الآيديولوجيات السائدة والقيام بدور معرفي، او التوافق مع هذه الآيديولوجيا بكل افرازاتها الخطيرة فيتحول الى بوقٍ للسلطة ، وناطقاً غير رسمي باسمها[51]. فهو بتعبير احد المفكرين العرب " ان المثقف الحديث اما داعية للسلطة ،واما مغامراً يخاطر بحياته،وبالتالي هناك ثقافة السلطة التسويغية او الثقافة المضادة"[52]. ويشير مفكر آخر الى إن المثقف النقدي يواجه حربين : "الحرب الجسدية،والحرب النظرية". فالمواجهة النقدية مع السلطة مكلفة واحياناً مرعبة ، لانها تؤشر النهاية للمثقف، النهاية الجسدية والمعنوية والروحية . لذلك تجد المثقف النقدي اما صامتاً او مهاجراً ، وفي كلتا الحالتين فانه لايمارس دوره الطليعي والمطلوب[53].

ان هذه الأشكالية تقودنا الى طرح سؤالٍ مهم : هل إن تخوف المثقف من تحوله الى اداةً للسلطة ، او كونه في الخندق المضاد لها يمنعانه من الإنخراط في العمل السياسي،وإتخاذه موقف اللامبالاة تجاه النشاط السياسي ؟ .

---

(49)نقلا عن :علي اسعد وصفة، المصدر السابق،ص5 .

(50)عبد القادر عرابي ، المصدر السابق ، ص 37 .

(51)مخلوف عامر، دور المثقف العربي والمتغيرات ، مجلة المستقبل العربي، السنة 14،العدد154 ، بيروت ، كانون الاول-ديسمبر 1990 ،ص 125.

(52)حليم بركات،المجتمع العربي المعاصر،بحث إستطلاعي اجتماعي،بيروت،1984،ص 440.

(53)عبد االقادر عرابي،المصدر السابق، ص 39.



يرى البعض انه ينبغي للمثقف ان " يكون سياسياً ولديه ادراك لفهم الواقع السياسي والاجتماعي،ومايحيط حوله من ازمات المجتمع، ومن واجبه ارتقاء وعي جميع الطبقات"[54].

غير ان تحقيق هذا الدور يتطلب ارتقاء المثقف فوق مصـــالحه الذاتية ، وامتلاك الوعي النقدي تجاه المصـــالح المتعددة[55]،اي ان يكون أنموذجا مغايراً لمثقف السلطة .

المثقف والسلطة

تنشأ علاقة المثقف بالسلطة عن ضرورة انتاج كل مجتمعٍ لنظامٍ ما،قد يكون قيمياً او تشريعياً او رمزياً اوسياسياً. يتكون هذا النظام بهدف ضبط مفاصل تشكيلية إجتماعية معينة،وإحتواء مايستجد داخلها, ولكي يكون هذا النظام ناجحاً ويقوم بدوره لابد ان يقوم على معرفةٍ. فوراء كل نظامٍ مهما كانت طبيعته ومقوماته معرفة ما. والسـلطة من هذا الباب هي ايضـا نظام يتطلب كي يصـبح سـلطة تحوز قبول الاخرين ورضـاهم معرفة تزوده بوسـائل الضـغط والرقابة، كما بادوات الأقناع والهيمنة .فهناك ثالوث عضوي متماسك يتكون من النظام والمعرفة والسلطة[56].

والمعرفة عامة هي بعد من أبعاد السلطة ، مما يجعل القول بالشكل الضدي الأستبعادي او حتى التوفيقي تغييباً لحقيقة العلاقة بين الطرفين،حيث انه لاسلطة بغير ثقافة ولاثقافة الا وتنسب الى سلطة ما سائدة ،وتسعى الى ان تسود.بهذا نكون امام لوحة غنية تمثل علاقة المثقفين بالســلطة ، تبدأبحد اللامبالاة ،مروراً باشــكالٍ اخرى مثل علاقة الوصــايا والأضطهاد كما وعلاقة المشاركة الحرة ،وصولا الى التحالف العضوي بينهما[57]. ان مثقف السلطة بات يشكل اليوم جزءاً من ظاهرة تغريب ثقافة المجتمع وتهميشها، بل حتى تهويشـها . وعندما يوظف مثقف السلطة قلمه لخدمة ماكنة السـلطة الدعائية ، والتطبيل لإنجازاتها "التأريخية" إنما يضـاعف الضـرر الذي ينتجه، ويغدو ضـرراً مزدوجاً.فهو لايخل بالوظيفـة البنيويـة للمثقف كـأداة تغييرٍ وتطويرٍ في مجتمعـه،فهو بـذلـك يلحق الاذى بـذاتـه ودوره المطلوب تاريخيـاً واجتماعياً. وثانياً ونتيجةً للعامل الاول يتحول المثقف في غالب الاحيان الى عامل هدمٍ وتخريبٍ لثقافة مجتمعهِ، ويغدو عائقاً أمام نهضتها وتنميتها. وهكذا يتخلى عن دوره "كناشط سياسي – اجتماعي "يؤدي دوره في الأصلاح والتغيير عموماً [58]. ويتحول بدلاً من ذلك الى مثقف "السلطان".فهو شاعر الحاكم او الدولة فيتغنى بامجاد الحاكم،ويعيش

([54])م. شيركو، المثقف...بين التجريد والنشاط السياسي، صحيفة الاتحاد،18 شباط 2000.

([55])المصدر نفسه .

([56])نديمالبيطار،المصدر السابق،ص21.

([57])كريم حلاوة، المثقف العربي وإشكالية الدور المفقود، مجلة الوحدة، العدد66،بيروت،مارس 1990،ص88.

([58])م.شيركو،المصدر السابق.



من المغارم والمغانم .هذا المثقف خادم مطيع للحاكم،لايجتهد او يفتي ،علاقته بالحاكم علاقة ولاء وإســـتزلام ،لايلتزم قضية ،هو جزءٌ من آيديولوجيا النظام(59).

ايضـا الحديث عن المثقف والسـلطة لابد ان "يتحمل العطف معنى المعيّة،والضـديّة وما بينهما"(60) بتعبير ابن البيطار. ان الصورة التي يرسمها المثقف على انه طرف نقيض للسلطة لاتثبت الا في حدود وحالات قصوى .فاغلبية أهل المعرفة لايمكن ان يكونوا الا داخل سـلطة يولدون في مؤسـسـتها، ويتعيشـون منها ،ويموتون فيها . هم فكرياً وآيديولوجيا في ثقافة السـلطة يمارسـون سـلطة ثقافية ، ومرونة الحرية داخل هذا الوضـع تتسـع وتضـيق حسـب الشـكل المؤسسي،وباختلاف الأنظمة السياسية، بعضها يؤدي الى حالة إزدواج قد يقال عنها ،إنها خروج في السلطة أكثر مما هي خروج عن السـلطة كالجامعيين الذين قد يبادرون فكرياً او سـياسـياً ، ولكن في حدود عدم الاضـرار بسـلطتهم المعرفية او الأدارية داخل هياكل الجامعة .فالمثقف كثيراً مايقدم نفسه على انه ضحية السلطة، ولكنه قلما يتنازل عما تمنحه السلطة من إمتيازات .انه يطمح الى " إكتمال سلطته ،إلى أن يكون سلطة "(61).

وتفرز هذه العلاقة المبتسـرة ظاهرة "المثقف المادي" حسـب وصـف مأمون فندي اومثقف "الدقائق الأخيرة"أو"الوقت الضائع"بتعبيره ايضاً،وهي ظاهرة أصبحت مُلفتة في الحياة الثقافية العربية الراهنة . فهذا الأنموذج من المثقفين يكون مع الدولة في العلن ،ويلعنها ومشـروعها في الجلسـات الخاصـة"(62). فهذا المثقف يمسـك العصـا من الوسـط ،فهو "يقف على خطوط التماس ،يغازل الحكومة سراً،ويهيج الجماهير ايضاً،ويطمح ان ينال رضا الاثنين"(63).

واذا كان بعض المثقفين مازال في السلطة فانهم يصنعون الكلام ،لاالفعل.فهؤلاء المثقفون هم لسان حال سلطة عربية ، "تتحدث عن واقع، وتحذر لآخر ، المراوغة والاسـتهانة بالعقل والانسـان هما أداة الخطاب الرسمي والثقافي.الهوّة بين السلوك والفكر صارت ميزة للخطاب الرسمي،وحتى للمثقف العربي"(64).

هذا الأرتهان الأختياري واحيانا الأجباري للمثقف والثقافة العربية الراهنة تمثل احد ازمات المثقف العربي ومعضـلاته ايضا.

(59)عبد القادر عرابي ،المصدر السابق، ص37.

(60)نديم البيطار، المصدر السابق، ص21.

(61)طاهر لبيب،تساؤلات حول المثقف العربي والسلطة ، مجلة الوحدة،العدد 101-102،بيروت ، تموز1985،ص5 .

(62)مأمون فندي،مثقف الدقائق الاخيرة ، صحيفة الشرق الاوسط،10 مايو 2002.

(63)المصدر نفسه .

(64)عبد القادر عرابي ، المصدر السابق، ص 39 .



أزمة المثقف: أعراضها وتجلياتها

لكل مجتمع خصوصياته ومشاكله ومعضلاته ايضا.والآن وقد ولجنا قرناً جديداً منذ عقدٍ ونصفٍ فان قضايا كثيرة تطرح نفسها بالحاحٍ وتستوجب النقاش والبحث عن حلول لها.فالجميع يتساءل اليوم عن نوع ثقافتنا ،ومرجعياتها ، وطبيعة التحديات التي تواجه ثقافتنا المعاصرة في ظل التحديات السياسية والأجتماعية والثقافية التي تطرحها العولمة والنظام العالمي الجديد، وسبل التصدي للتحدي الحضاري والمصيري الذي تواجهه الامة داخلياً وخارجياً ،بدءاً من الاستبداد ومروراً بالتنميةِ المشوهةِ وطغيانِ ثقافة التشددِ وانتهاءاً بالأختراقِ الخارجي وتأثيراته المدمرة .

ومن نافلة القول أن المثقف العربي يواجه اسئلة ملّحة تفرضها وقائع الحياة والتحديات التي تواجه المجتمع الذي ينتمي اليه ، من قبيل :أي نظامٍ ثقافيٍ عربيٍ؟ واي دورٍ للمثقف العربي في ظل الأزمات الحالية التي تواجهها الأمة كشعوبٍ ونخبٍ ؟ وماهي ادوات الصراع واساليب المواجهة تجاه الهجوم الشرس الذي يشنه الآخر متمثلاً بالغرب الراسمالي على قيمنا وثقافتنا ،بل أُسسِ وجودنا؟

وفي الواقع فإن أزمة المثقف العربي هي إنعكاس لأزمة مجتمعه، خصوصا اذا ماوجد المثقف نفسه يعيش في مجتمع يعج مناخه بشتى المتناقضات. وقد يتخذ المثقف موقفا فاعلا وإيجابيا من هذه الأزمة،يتفاعل معها ، يبحث عن الحلول لها ،يحاول تغييرها. وقد يكتفي بدور المتفرج واللامبالاة، الى حدود تصل الى درجة الإنكفاء على الذات والتقوقع على النفس هربا من واقع لايستطيع تغييره او التأقلم معه[65]. وعند هذه النقطة ينشأ نوع من الإغتراب ، إغتراب المثقف عن نفسه ،وإغترابه عن مجتمعه .

المثقف العربي مصاب بالعصاب الثقافي كما يقول العروي ، صحيح إنه يعاني من هذا الواقع ،ويرفضه،ولايستطيع التأقلم معه،ولكن الصحيح ايضاً انه لايفعل شيئاً لتغيير هذا الواقع، ووضع آخر جديد يكون بديلا عنه.بل وأزاء هذا الموقف السلبي فإن المثقف يجد نفسه إما منسحباً من الماضي ، او محاولاً محاكاة ثقافة الاخر[66]. هذا الفصام الثقافي يجعله هشاً امام أي تيار او مذهب يظهر هنا أوهناك، فتجعله اسير الترددِ والحيرةِ والتشويش الفكري.

ولعل إحدى تجليات أزمة المثقف العربي هي أزمة الهوية ، فتلك الأزمة يديرها اليوم إتجاهان آيديولوجيان: أحدهما قومي حديث، وثانيهما أُممي قديم لم يتغير يقوده فكر ديني ذو أغراضٍ سياسيةٍ يسعى لبناءِ دولةٍ دينيةٍ عالميةٍ تستمد

---

(65)عبد الله العروي ، المصدر السابق،172.

(66)المصدر نفسه،ص172.



سلطاتها مما تزعمه تشريعات إلهية ، وأممي حديث تقوده فلسفة مادية تسعى لبناء دولة عالمية تستمد سلطاتها من تشريعات اقتصادية وضعية(67).

يستند المشروع القومي الحديث الى فكر غربي حديث النشأة،أستطاع ان يحل أكثر الأزمات حدةً عند شعوب اوربا . وتلك النظرية الفكرية ،من هذا الجانب ، يمكن أن تكون قد ووجِهَتْ بردود فعلٍ سلبيةٍ على قاعدة الحكم بان مايأتي من الغرب هو أحد حكمين "إما غزوٌ يجب رفضه كله، او إشعاعٌ يجب أخذه من دون نقدٍ او تمحيصٍ "(68).

ويمثل الثاني تياران : تيار أممي إسلامي يُحاكي تجربة الأمبراطورية الإسلامية بآخر مظاهرها الخلافة في الدولة العثمانية، وفي المقابل تيار أُممي يُحاكي الفلسفة الماركسية بآخر مظاهرها ، النظام الاشتراكي ممثلاً في الإتحاد السوفييتي السابق والأنظمة الأشتراكيةالتي دارت في فلكه.

فالقومي الحديث والمعاصر يبنى على أُسسٍ تاريخيةٍ يزعم انه يجعل من حقائق العصر بوصلة يهتدي بها.والقديم الأممي الاسلامي يتخذ الواقع التأريخي مرشداً له ،متناسياً حقائق العصر ومتغيراته. والأممي الحديث ، بآفاقه ومنهجه الإشتراكي يتخذ موقع الصراع في مواجهة الأطماع الرأسمالية من أجل بناءِ دولةٍ اميةٍ ، واجهت اشد حالاتها انتكاساً مع السقوط الدراماتيكي للكيان السوفييتي والمعسكر الاشتراكي عموماً(69).

ولايمكن في هذا الصدد اغفال مسألة بنيوية مهمة تخص المثقفين العرب والثقافة العربية عموماً. إذ من المعروف أن تشكلّ الأنتجلنسيا في مجتمعاتنا النامية لم تمر بالمراحل التي مرت بها في روسيا واوربا.فلم يحدث عندنا عصر التنوير ولاعصر ثورة علمية ، ولاثورة بورجوازية تحررية على الاقطاع والكنيسة ،وكل ماحدث في هذه المجتمعات منذ الحملة الفرنسية عام 1789 لايعدو ان يكون اتجاها اصلاحياً توفيقياً، استند الى التراث حيناً ، والى الثقافة الاوربية حيناً ، والى الاثنين معاً في بعض الاحيان .وانعكس هذا في الثقافة ضعيفاً مهزوزاً وولّد مدارس فكرية وسياسية مقلدة(70).

وهكذا نجد أنفسنا أمام مفهومٍ للأنتجلنسيا لاينسجم تماماً مع المفهوم الاوربي المعروف. ويترتب على ذلك ان يتسع تحديد المثقف ليشمل متعلمين لايمتلكون ثقافة "الأنتجلنسيا"، ولاعمق التزامها ، ولكنهم على الرغم من ذلك ، على قدر من ثقافة الألتزام بالنسبة لمجتمعهم الذي مازال دون سلم التطور المطلوب .هذا لان المثقف العربي يخضع للشروط

(67)حسن خليل غريب ،المصدر السابق ، ص 1-2 .

(68)المصدر نفسه ، ص1 .

(69)المصدر نفسه ، ص1 .

(70)ناجي علوش،المثقف العربي والنضال القومي، مجلة الوحدة، العددان 101-102 ،بيروت ،تموز 1985، ص60-61 .



السـياسـية والأجتماعية التي يخضـع لها مجتمعه ، فهو يعيش في مجتمعٍ مازال يتلمس طريقة بصـعوبة وسـط اكوام من مظاهر التخلف والانســداد الحضـــاري. مجتمع تُحارَبُ فيه الثقافة ، ويُطارَدُ الوعي. فالمثقف يفتقر الظروف الملائمة لتطور الثقافة والوعي ،لأن التخلف يُخضِع الثقافة ،والقمع يعمل على ان يكون المثقف تابعاً للحاكم ، ولايُسمح بغير ذلك[71].

وفي هذا الخصـــوص يعقد محمود أمين العالم مقارنة لافتة بين وضـــع المثقف العربي والثقافة العربية الراهنة وبين الثقافة العربية الاسلامية في القرون الثمانية الأولى من التأريخ الهجري التي ظهر فيها اِبن سينا والفارابي واِبن رشد وغيرهم من الأعلام المفكرين ممن تركوا بصـــماتهم ليس على مجتمعهم العربي والأســـلامي وإنما في تأريخ الفكر الانســـاني عموماً .ويصف الثقافة العربية الراهنة أنها"إستهلاكية" ومصابة بما أسماها "صدمة الحداثة"[72].

وبناءاً على ذلك ،وفي ظل الظروف التي وجد المثقف العربي نفســه فيها ، فإنه انطلاقاً من طابعه الموســوعي وتعدد أهتماماته ، وبنزعة تربوية ، بل وأبوية احياناً،تجاه مجتمعه ،وايضــا امام شــعوره بواجبه "التربوي"أزاء المجتمع ،يحاول ان ينقل اليه كل الضروب المعرفية الممكنة ، حتى ولو أدى ذلك الى نوعٍ من الاسفاف على رأي المختار بن عبدلاي. كما ينغمس في العمل الســياســي لأنه يعتبر نفســه ضــميراً للشــعب ، ويرى أن مكانته داخل المجتمع توفر له نوعاً من الحماية،وانه يســتطيع ان يصــير احدى القنوات التي يمكن ان يمرر من خلالها الخطاب الســياســي في ظل غياب المؤسسات الأجتماعية والسياسية التي يفترض ان يمر الخطاب عبرها[73].

وقريبا من هذه الأزمات يمكن الحديث عن "الإنتجلنسيا الرهينة" حسب وصف البيطار. اذ كان إرتهان الإنتجلنسيا العربية خلال نصـف قرن مضـى موزعاً بين الحزب والدولة والقبيلة والطائفة . وكان لكل عنصـر من هذه العناصـر دور الاب المانع والمانح، والذي يستخدم العصـا والجزرة او العصـا فقط لترويض الأتباع لمن يجازفون بالعصيان أو مايسمى وفق التربويات الربوية العقوق[74].

وهناك عدة عوامل على الاقل تتطلب فحصـــا مجهريا وبأثرٍ رجعي لاســـتقراء ظاهرة الارتهان قدر تعلقها بالمثقفين العرب، العامل الأول اقتصادي ،فالمثقف الذي لايستطيع الحياة والأكتفاء حتى في حده الادنى من خلال مهنته لابد

(71)ناجي علوش،المصدر السابق،ص 61-62 .

(72)"إنعكاسات العولمة على الثقافة العربية "، صحيفة الشرق الأوسط ،2فبراير 2001.

(73)المختار بنعبدلاي،المصدر السابق، ص 47.

(74)نديم البيطار ،المصدر السابق ،ص64.



له ان يلوذ بما ييسـر له الحياة العسـيرة. فهو يضـع قدما هنا وقدما هناك ويقول "الكثير كي لايقول شـيئا محدداً لأنه كائنٌ احترازي بالضـرورة، وحمالّ اوجهٍ، ويتشـبث بالأحتياطي الذي يحميه من الفاقة او المسـاءلة "[75]. إنه المثقف الموظف كما وصـفه محمد برادة ، الذي حالت تبعية الوظيفة دون إسـتقلاله، وحريته في إبداء الرأي . فالمثقف العربي وفق هذا التوصـيف لم يعد يعيش "أزمة أخلاق وضـميرٍ فحسـب"، بل أزمة أقتصـادية طاحنة باتت تؤثر في أنتاجه الفكري ومكانته الاجتماعية. ففي ظل تصاعد النزعات المادية وقيم الأسـتهلاك في المجتمع تراجع دور المثقف والثقافة ، وحلّت ثقافة التسـطيح والتبرير محل الثقافة الجادة والرصـينة. فظهرت في حياتنا الثقافية إصـطلاحات جديدة مثل "ثقافة الإرتزاق ، وشلل المثقفين التي لاتجمعها أخلاق المهنة والمسؤولية ، بل العيش"[76].

يضاف الى العامل الأقتصادي تطلع مثقفي الطبقة الوسطى الى الهجرة الطبقية لتحسين شروط الحياة والإنتساب الى "النادي" المحرم على أمثالهم ،وخصـوصـاً في مجتمعاتٍ لاتكفي صـفة المواطن وحدها لإنصـاف الافراد، ومنحهم إستحقاقاتهم المادية والمعنوية .

العامل الآخر إجتماعي أفرزه تراكم أعرافٍ سائدة ومواعظ منها الشفوي ومنها المدون ، وإرتكاسات نفسية ، بحيث أختلط الامر على الكثيرمن المشتغلين في مهنة الثقافة، لهذا سعى البعض الى البرلمان ليس وفقاً لتوجه المثقف المعاصر ذي النزعة الديمقراطية بل من خلال القبيلة،او الحزب الذي هو قبيلة"مُغطاة بمسـاحيق الحداثة"[77].وهكذا يتحول المثقف تدريجياً الى رهينةٍ "لايسـتطيع الوقوف على سـاقيه بدون جارٍ اوعكازٍ بعكس المثقف الحر الذي يتحول "حتى عكازه الى عصا منحوتة من عظم الساق"[78].

يضاف الى هذا وذاك ان واقع الحياة السياسية العربية الذي افرز حروبا خارجية وداخلية كانت بمثابة الإضاءة الساطعة لفرز الثقافة المرتهنة ،وضـبابية المثقف الرهينة . لم يقيض لها مثقف جذري "من صـلبها ليعاينها ، ويفرز العضـوي من المصنوع في نسيجها الملفق"[79] حسـب الوصـف المعبر للبيطار .فتحول معظمهم الى أدوات تُستأجر لتبرير الطغيان وإقصاء الآخر ، ويكتبون في منابر لاتتيح لهم التعبير عن افكارهم أوحتى عواطفهم .

([75])نديم البيطار،المصدر السابق، ص64 .

([76])نقلاً عن :عبد القادر عرابي، المصدر السابق ، ص 43.

([77])نديم البيطار ،المصدر السابق ، ص 25 .

([78])المصدر نفسه ،ص 25 .

([79])المصدر نفسه ،ص 25 .



وتبقى عقدة العقد او الصخرة التي تتحطم عليها اي محاولة لبناء ثقافة سليمة وعضوية ، هي علاقة المثقف بالسلطة . ففي مجتمع يفتقد لغة الحوار،بل لايجيدها اصلا، قد يغدو الحديث عن علاقة سليمة وصحيحة ومتوازنة بين المثقف والسلطة مطلباً تعجيزياًً او نوعا من السفسطة الثقافية ،او اللغو الفارغ مادام المثقف محكوماً بنار التعسف والقهر.

اذن فان تجسير علاقة المثقف والسلطة تحتاج الى شروطٍ أهمها توفير أجواء الثقة المتبادلة بين الطرفين. فقد دللت تجارب التأريخ الثقافي لمجتمعاتنا أن جيلاً من الشكوك المتبادلة ، وانعدام الثقة سادت، ومازالت تسود العلاقة بين الطرفين. فالمثقف يرى ان السلطة تسعى الى تجيير عقله وفكره لصالحها، وتصفيته وانهائه جسدياً ان فشلت في ذلك. وبالمقابل ترى السلطة في المثقف اداةً مضادةً لكسر احتكارها للهيمنة على المجتمع ، ووسيلة من وسائل تحدي منظومتها السياسية والفكرية في استمرار تلك الهيمنة.

هذه العلاقة الشائكة والملغومة في غالب الأحيان بين طرفين غير متكافئين في وسائل العمل والمجابهة تمنع المثقف من ان يكون إيجابياً ومتفاعلاً مع مجتمعه وواقعه، وعنصراً فاعلاً سياسياً، مادامت السلطة على استعداد لمواجهته بعنف وقمعه ان تطلب الامر. فاين هي السلطة السياسية التي تسمح بانتقادها او التقاطع معها طالما ان شخوص النظام هي رموز لايرقى الى طروحاتها وافعالها الشك،او الشبهة ،وبالتالي فهي فوق المسآلة والحساب .

انعكست هذه العلاقة المبتورة والمشوهة بين المثقف والسلطة على حياتنا الثقافية والفكرية.فأنعدمت لغة الحوار ، وقلّ التواصل الفكري بين جموع المثقفين انفسهم وبين الاجيال المتلاحقة، وتسطّحَ الإنتاج الثقافي ، وخبا بريق التيارات او الحركات الفكرية التي شهدتها الساحة الثقافية العربية في مطلع عصر النهضة، وأنعدمت أوكادت المدارس الفكرية التي كان من المؤمل ان تشكل نواةً لنهضةٍ ثقافيةٍ معاصرةٍ[80].

المثقف والعولمة:إختراقٌ وتحدٍ

يشير تقرير التنمية البشرية لعام 1999 الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي(UNDP) إلى أن العولمة ليست مجرد تدفق للنقود والسلع،بل زيادة الإعتماد المتبادل بين سكان العالم . والعولمة عملية لاتدمج الاقتصاد فحسب،بل تدمج التقانة والتكنولوجيا والحكم[81]. ويرى محمد الاطرش ،بان العولمة تعني بشكل عام إندماج أسواق العالم في حقول التجارة والإستثمارات المباشرة وإنتقال الأموال والقوى العاملة والتقانة والثقافات ضمن إطارٍ من رأسمالية حرية

(80)عبد القادر عرابي، المصدر السابق،44 .

(81)نبيل جعفر عبد الرضا، العولمة وإنعكاساتها على صناعة النفط الخليجية،مقتبس في : المجتمع والأقتصاد أمام العولمة، مجموعة مؤلفين،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ،2004،ص101 .



الاسواق ومن ثم خضوع العالم لقوى السوق العالمية ، مما يؤدي الى إختراق الحدود القومية والى إنحسارٍ كبيرٍ في سيادة الدولة، وإن العنصر الأساس في هذه الظاهرة الشركات الرأسمالية المتعددة القوميات(82). وعلى الرغم من تعدد أبعاد العولمة من سياسيةٍ واقتصاديةٍ وتقانيةٍ وثقافيةٍ ،إلا أن الجانب الذي يهمنا هنا هو البعد الثقافي لعلاقته بموضوع الدراسة.

ويشير مصطلح العولمة الثقافية الى نقل الأفكار ،والمعاني والقيم عبر العالم.هذه العملية اتسمت بالتبادل العام للثقافات التي انتشرت عن طريق الأنترنيت والثقافة العامة والسفر بين الدول .وتتضمن العولمة الثقافية تكوين قيم ومعارف مشتركة والتي يوفق فيها الناس بين الثقافة الفردية والجمعية ،وزيادة الترابط بين الشعوب والثقافات المختلفة(83).

بينما تعرّف الموسوعة البريطانية العولمة الثقافية انها ظاهرة تتكون فيها تجربة الحياة اليومية ،كما انها متأثرة بإنتشار البضائع والأفكار، ولذا فإنها تعكس المعيارية للملامح الثقافية عبر العالم(84).

تُربك العولمة الطريقة التي ندرك بها الثقافة ،لأن الثقافة كانت تمتلك دوماً دلالات تربطها بفكرة وجود ناحية ثابتة . وتمثل العولمة اختراقاً متعدد الاشكال للنواحي المحلية ، وتعزز قابلية الحركة المادية اكثر بكثير من أي وقتٍ مضى لكن مفتاح تأثيرها الثقافي يكمن في تحويل النواحي المحلية ذاتها. إن العولمة تضعف الروابط بين الثقافة والمكان . وتمثل هذه ،من جوانب عدة، ظاهرة مزعجة تتضمن الإختراق المتزامن للعوالم المحلية من قبل قوى آتية من بعيد ، وزحزحة المعاني اليومية عن "مراسيها" الموجودة في البيئة المحلية"(85). ويشير اولف هانرز الى ان هناك الآن ثقافة عالمية ، وهناك تدفق للمعاني بالإضافة الى الأشخاص والسلع بين أقاليم العالم المختلفة ، بمعنى ظهور ثقافة واحدة منفردة تشمل جميع من هم على وجه الارض وتحل محل تنوع الأنظمة الثقافية الذي ازدهر حتى الآن .وبتعبيره ايضاً ،انه من الواضح تماما ان مثل هذه الثقافة لم تصل بعد(86).

(82)محمد الاطرش ،العرب والعولمة: ماالعمل؟، مجلة المستقبل العربي، السنة 20،العدد 229،اذار- مارس1998، ص 108.

(83)انور غني الموسوي، العولمة الثقافية والموقف العربي، صحيفة المثقف،العدد 3037، كانون الاول 2014،ص12.

(84)Encyclopedia Britannica.

(85)انور غني الموسوي، المصدر السابق،ص12.

(86)نقلا عن :المصدر السابق،ص 13 .



كذلك يشير والتر ريستون المدير السابق لبنك ستيكورب "ان السوق المالي الدولي لن يعود ابداً الى حدوده الوطنية القديمة .فالمال والافكار تتخطى الحدود بطريقة وبسرعة لم يسبق لها مثيل .. . وهي هجمة على سيادة سلطة الحكومات"[87].

ووفقاً لشيلز ، فان القوة السياسية- الاقتصادية للشركات العابرة للقوميات ، وأنتشارها العالمي تصاحبها قوة آيديولوجية لتعريف الحقيقة الثقافية العالمية . وهكذا فإن الرأسمالية لاتقوم فقط بتعريف وتشكيل الاقتصاد السياسي العالمي ، ولكنها في خلال هذه العملية تقوم بتحديد الثقافة العالمية[88].

اذن فإن مايسمى بالخصوصية الثقافية لم تعد ، في ظل العولمة والشمولية فضاءاً مستقلاً بذاته بقدر مااصبح جزءاً من سوقٍ عالميٍ يتحكم فيه منطق رأس المال المتعدد الجنسيات ، وتتكرس في عمقه أطروحة الأحادية الثقافية ... وهو مايعمل على تمريره باستمرار من يسمون بـ "أسياد العالم"[89].

إن هذا الغزو الثقافي المنظم الذي كان يهدد الهوية الحضارية للأمة ،ويعمق حالة الإستلاب الثقافي قُوبل بمواقف مختلفة من النخب العربية . فهناك من نظر الى العولمة الثقافية على أنها قيم انسانية توصلّ اليها الانسان الغربي عن طريق التطور التأريخي الحتمي ، وبالتالي يمكن اعتبار هذا الغزو الفكري والقيمي احدى موجات الحداثة الفكرية التي يجب على المجتمعات العربية والأسلامية ان تنخرط فيها وتستوعب معطياتها ان ارادت ان تواكب العصر ، وتساير التطور الحضاري والأنساني[90]. في حين ان شرائح عريضة من المجتمع ومن بينها قطاعات نخبوية لم يؤثر فيها هذا الغزو بمقدار تنبيهها لخطورته وضرورة إيجاد ردات فعلٍ تبلورت فعلاً في محاولاتٍ حثيثةٍ للبحث عن وسائل وآليات تدعم الممانعة الثقافية والحضارية بشكل عام .

وقد أدت ردود الفعل هذه ، وبالتالي الحديث عن بلورة آليات للمواجهة الى إحتدام النقاش حول جدوى الإنفتاح على قيم الغرب وثقافته . وهل يعد ذلك ضروريا بحكم الغلبة الحضارية، وان كان كذلك فما مقدار هذا الإنفتاح ، وماهي حدوده القصوى؟

---

(87)Winston, W. ,Technology and sovereignty, Foreign Affairs,Vol.67, n2, winter 1988-1989 .P.25 .

(88)Shills .Edward , Political change under developed countries ,New York,1962, P.198.

(89)يحي اليحياوي،في العولمة والتكنولوجياوالثقافة.مدخل الى تكنولوجيا الثقافة، دار الطليعة، بيروت،2002،ص32.

(90)حبيب آل جميع،العولمة في المجال الثقافي.وجهة نظر نقدية ،ص4،على موقع : www.annabaa.com



وقد ساهم الصراع الآيديولوجي بين الشرق والغرب ، وإنقسام دول العالم الثالث ، ومن بينها الدول العربية والأسلامية ، بين مناصرٍ او مناهضٍ للشرق او الغرب في دعم الجهود التي كانت تبذل لمواجهة ومقاومة بعض عناصر الغزو الثقافي ، لأن ذلك كان يصب في دعم الدولة الوطنية وأختياراتها الآيديولوجية في السياسة والأقتصاد(91). فمن المعروف إن مشـــكلة الهوية كانت قد طرحت للنقاش والتداول والمعالجة مع بدايات الاحتكاك بين الحضـــارتين الغربية والعربية الإسلامية، خصوصاً بعد شمول السيطرة العسكرية الغربية على العالمين العربي والإسلامي ، لان الغرب شرع في نشر لغته وأنموذجه الحضاري داخل الاوساط الأجتماعية مستغلاً الضعف الذي كانت الثقافة العربية والأسلامية تعاني منه . فعمل الأستعمار الغربي على زيادة تهميش الثقافة العربية والأسلامية، وفي القلب منها اللغة العربية كأداة فاعلة لنقل الثقافة والمحافظة عليها، وباعتبارها الوســـيلة الوحيدة للارتباط بالموروث الثقافي للأجداد ، بما يمكّنها من الاســـتمرارية ومقاومة الذوبان الحضـــاري . وخلال المائة ســـنة الماضـــية حتى الآن لم يتوقف الحديث عن الهوية التي تتعرض لمخاطر الغزو والأحتكاك ، ومن ثم خطر الذوبان(92). فالعولمة في أعنف تحدياتها موجهة ضـــــد مفهوم المواطنة في ظل ذوبان الخصوصيات من جهة ،والعمل على تغذية العولمة من خلال هذا الذوبان من جهة أخرى فتضعف الخصوصية وتقوى العولمة(93).

فإذن الحديث عن عن الهوية العربية والأســـلامية والتحديات التي تواجهها من طرف الحضـــارة الغربية ليس وليد بروز ظاهرة العولمة الثقافية،بل تعود الى وقتٍ ســـــابقٍ يقترب من القرنين من الزمن تقريباً. لكن مايميز ظاهرة العولمة هو كون التحديات الآن أخذت بُعدا آخر أكثر شمولية وخطورة،لان قدرة الثقافة الغربية على التأثير اصـــبحت مضـــاعفة وغير محدودة(94).

واذا كانت الثقافة معبراً اصـــيلاً عن الخصـــوصـــية التاريخية فان العولمة تمثل في رأي الكثيرين " آيديولوجيا تعكس ارادة الهيمنة على العالم وأمركته...لانها تعمل على تعميم نمط حضـــــاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الامريكية بالذات، على بلدان العالم اجمع... لذلك فهي تنحو باتجاه القضاء على الخصوصية الثقافية بشكل عام في الأذواق

---

(91)المصدر نفسه ، ص5.

(92)حبيب آل جميع، المصدر السابق،ص 5.

(93)هـاني لبيب، العولمة وقضـــية الحماية الدينية في مصـــر ، مقتبس في:المجتمع والأقتصـــــاد امام العولمة،مجموعة مؤلفين،مركز دراســـات الوحدة العربية،بيروت،2004،ص 162.

(94)المصدر نفسه ، ص162



واولويات التفكير ومواضيع التفكير ومناهج التفكير..." [95]. اما وسائلها فهي سمعية بصرية تشكل في مجموعها مايمكن ان نطلق عليه "ثقافة الأختراق" التي تمثل النواة في مضمون هذه العولمة بشكل عام. فتصبح العولمة وفق هذا المفهوم "نظاماً يعمل عل افراغ الهوية الجماعية من كل محتوى ، ويدفع للتفتيت والتشتيت، ليربط الناس بعالم اللاوطن ،واللاأمة ،واللادولة، او يفرقهم في أتون الحرب الأهلية "[96]. فهي تعمق مسار الاغتراب في حياة أصحاب النزعة الوطنية، ومن خلال هذا الاغتراب ينغرس في الشعور وفي الوعي، بأن الثقافة التي ينتجها الغرب هي"ثقافة الكون كله"[97]. فالغرب هنا "يطمح ان يكون منتجاً كونياً لاينافسه احد في ذلك"[98].

هذا النمط الثقافي يصفه عبد الإله بلقزيز بثقافة الصورة.فهي ليست ثقافة مكتوبة بل"ثقافة مابعد المكتوب".وهذه الثقافة لاتحتاج الى لغة ، لانها بحد ذاتها خطاب ناجز مكتمل ، يمتلك سائر مقومات التأثير الفعالّ على مستقبله . اما مضمون هذه الثقافة البصرية السمعية فهو على مستوى من الهزال والفقر والسطحية،يثور معه التساؤل المشروع عن مستقبلنا الأنساني كما يقول بلقزيز. انها ثقافة "معلبات مسلوقة" جاهزة للإستهلاك، تتنافس الشركات الاعلامية لتسويقها مستخدمة جميعماابتكره العقل البشري الغربي من وسائل الجذب والخداع. ومع تراجع معدلات القراءة والغهتمام بالكتاب ، فأن نظام القيم معرض للتفتت، مما سيكرس "منظومة جديدة من المعايير ترفع من قيمة النفعية والفردانية الأنانية ،والمنزع المادي المجرد من اي محتوى انساني[99].

اما بخصوص وضع الثقافة العربية ، فقد وصفها الجابري أنها تعاني من ثنائية في مستوياتها المختلفة، المادية والروحية. وهذه الثنائية هي نتيجة الإحتكاك مع الثقافة الغربية التي جاءت نتيجة تطور قوامه "التحديث والحداثة" ، اما الثقافة العربية فلم تعش ذلك التطور ، بل بقيت بمعزل عنه تجتر وضعاً قديماً توقف عن النمو منذ قرون كما يقول الجابري[100].

أما بالنسبة لموقف النخب العربية من العولمة وعلاقتها بالهوية الثقافية فقد تراوح بين موقفين ؛ أما الرفض المطلق وسلاحه الإنغلاق الكلي ، اوموقف القبول التام للعولمة وماتمارسه من إختراقٍ ثقافيٍ واستتباعٍ حضاريٍ شعاره "الإنفتاح

(95)احمد صدقي الدجاني، الثقافة العربية والأسلامية وتحديات العولمة ، مجلة الكلمة،السنة الخامسة ،العدد18،بيروت،شتاء 1998،ص143.

(96)المصدر نفسه ، ص143.

(97)محمد محفوظ، نقد المشروع الثقافي الغربي وطموحات العولمة،مجلة الكلمة،السنة الخامسة،العدد19،بيروت،ربيع 1998،ص 57.

(98)المصدر نفسه، ص57.

(99)احمد صدقي الدجاني،المصدر السابق،ص143.

(100) محمد عابد الجابري ، العولمة والهوية الثقافية عشرة أطروحات ، على موقع : www.aljabrialabed.net/n06_09jab_awlama.htm



على العصر"والمراهنة على الحداثة . هذه المواقف يصنفها الجابري ضمن المواقف اللاتأريخية . فالاول سلبي غير فاعل لعدم وجود نسبة معقولة من التكافؤ بين إمكانات العولمة والثقافة المنغلق عليها ، وبالتالي فالانغلاق في هذه الحالة ينقلب الى موت بطيء[101].

الثاني يتبنى الدعوة للإغتراب وفسح المجال أمام ثقافة الإختراق، وهذا الموقف الثقافي ينطلق من الفراغ اي من اللاهوية .اما الموقف الذي يقترحه الجابري أزاء الثنائية والاختراق وآيديولوجيا العولمة، فينطلق من العمل داخل الثقافة العربية من اجل تجديدها بإعادة بنائها وممارسة الحداثة في معطياتها وتأريخها، والتماس وجوهٍ من الفهم والتأويل لمسارها تسمح بربط الحاضر بالماضي في إتجاه المستقبل[102].

ثمة مصادر تهديد للهوية الثقافية للمجتمعات العربية والإسلامية والتي تؤثر على نهاية عهد السيادة الثقافية كما يشير بلقزيز . فالمصدران الرئيسان التقليديان اللذان كانت الثقافة الوطنية تسهل أسباب سيادتها وتجددها فهما اي (الأسرة والمدرسة) يبدو "كما لو ان العياء دبّ في ادائهما ،ونال من وظائفهما التربوية والتكوينية، ومن قدرتهما على الإستمرار في أدوارهما التقليدية الفعالة في إنتاج وإعادة منظومات القيم الإجتماعية والذي هو في الحقيقة ثمرة مرّة لحقيقتين تقوم على وجودهما ورسوخهما أوفر الدلائل هما: إخفاق النظام التعليمي ، وتفكيك بنية الأسرة، في إمتداد الإنهيار الكامل والشامل لنظام القيم[103].

ولكن في المقابل يحاجج البعض انه يمكن مواجهة الغزو الثقافي او السيطرة الثقافية الغربية عبر المقاومة الإيجابية لها وذلك "عن طريق استعمال الأدوات عينها التي تحققت بها الجراحة الثقافية للعولمة" .والإستفادة من نظريات علم الإجتماع الثقافي التي تؤكد على ان " فعل العدوان الثقافي غالبا مايستنهض نقيضه"[104]، وذلك لأن "محاولة إنهاء الثقافات وتنميط البشر على ثقافة غريبة واحدة يقينا ستفشل"[105]. ولكي تأخذ ثقافتنا مكانتها ضمن هذه العولمة علينا ان نحسن تقديمها ، وقبل ذلك الإعتناء بها عن طريق الإهتمام بقطاع التربية والتعليم، والإهتمام "بتوفير الذاكرة الأدبية والذاكرة التأريخية"[106] بالإستفادة من التقنية المعاصرة لأنها ملكٌ عالمي.

---

(101)المصدر نفسه،ص143.

(102)محمد عابد الجابري ، العولمة والهوية الثقافية،ص143.

(103)احمد صدقي الدجاني ، المصدر السابق ،ص144.

(104)المصدر نفسه،ص144.

(105)المصدر نفسه،ص144.

(106)منير شفيق،عالمية الثقافة الإسلامية أمام تحديات العولمة،مجلة الكلمة،السنة الخامسة،العدد9،بيروت،199ربيع8،ص105.



إن التحديات التي يواجهها المجتمع العربي مع العولمة تحديات شـاملة ، ليس على مسـتوى الثقافة فقط ، ولكن على المستويين الإقتصادي والسياسي ، لذلك فالمعركة شاملة ، ومن ثم فمن التبسيط ان نحصرها في الجانب الثقافي ، لأن العولمة تريد ان تقتحم علينا بلادنا لتفقدنا استقلالنا ، وثقافتنا ، وهويتنا(107).

هذه التحديات التي تواجه الثقافات الوطنية امام دعوات الكوكبة والعولمة الشـاملة تمثل في نظر اوسـاط واسـعة من المفكرين والمثقفين العرب إنعكاسا لتلك العلاقة غير المتكافئة بين الشعوب والأمم التي تحمل يافطة الثقافات الوطنية ، وتبذل جهداً في هذا السبيل(108).

المثقف العربي والثقافة العربيةعلى مفترق طرق...ماالعمل؟

ان الثقافة العربية اليوم أمام إختبارٍ خطيرٍ، وتحدياتٍ اخطر. فالخطاب الثقافي العربي التقليدي عفا عليه الزمن، فقد مبررات وجوده واصـبح في غالب الأحيان عائقاً امام تجدد وصـياغة بنية ثقافية فكرية جديدة تتناغم مع متطلبات العصـر الحالي، عصـر يعيد بناء الفكر والمعرفة من جديد . فالثقافة لم تعد ترفاً فكرياً او حكراً على النخبة او الصـفوة بعينها، إنما أصـبحت جزءاً من نسـقٍ اجتماعيٍ ،ورافداً اسـاسـياً من روافد التنمية البشـرية والاقتصـادية في المجتمعات الحديثة . والثقافة الدينامية والفاعلة هي الثقافة المبدعة والمتخصـصـة والناقدة التي تعتمد التحليل والتمحيص بعيداً عن محظورات القدسـية والتحريم الغيبي .ومثل هذه الثقافة تتطلب اطلاق حرية الفكر وتحريره من القيود والعوائق التي تعيق انطلاقه . لقد حكم المتغير السـياسـي حياتنا وواقعنا لعقودٍ واجيالٍ ،وآن الوقت ليحل المتغير الثقافي مكانه، خصـوصـا وإننا في عصر تحتد فيه التمايزات الثقافية والحضارية ، وترتفع الدعوات التي تركز على الصراعات الحضارية والثقافية بين الشعوب بديلاً لصراعات الآيديولوجيا والسياسة.

لقد حان الوقت لإسـتكشـاف التراث، بعدمرحلة تحقيق هذا التراث،والتنظير لمشـاريع قراءته، وهذا الإسـتكشـاف يعني إخضـاعه لمجموع الإشـكالات المطروحة في العلوم التأريخيةوالإجتماعية بأكثر أدوات القراءة تطوراً،ليسـهم في مزيدٍ من تحديد تلك الإشـكالات،وتوضـيح مفاهيمه وحقائقه، والإنتقال بتلك المعرفة الى الحد الادنى من العلمية على رأي محمد الحداد(109). هذه القراءة العلمية للنص وللواقع تهيأ لنا القدرة على فهم حركة التأريخ ،وإدراك شـروط الواقع والتطلع بوعي عميق الى المستقبل ،تربط ماضياً بحاضرٍ وحاضراً بمستقبلٍ، وتتوخى تحقيق تواصلٍ عمليٍ فعال مع الهوية

(107)سيار جميل،الثقافة الإسلامية والإختراق الثقافي في ظل العولمة،مجلة الكلمة،السنةالخامسة،العدد18،بيروت شتاء 1998،ص145.

(108)محمد محفوظ،المصدر السابق،ص 56-57.

(109)محمد الحداد،المصدر السابق،ص109.



بوصفها ثروة حضارية من الضروري تعزيزها عبر اضاءة قيم الحرية والعدل والمساواة والسلام ، وهي عناصر فاعلة في مكونات الحضارة العربية الإسلامية التي انتجت تراثاً هائلاً يحتوي هذه القيم البناءة والمضيئة .

ان الدعوة للمحافظة على الخصوصيات في عصر العولمة تتحقق عبر المواجهة وليس الانغلاق ،ومعالجة الحقول المعرفية والواقعية ،وإحداث الإصلاحات والتغييرات المطلوبة ،على ان تكون المعالجة شمولية في النظرة والتطبيق . وهذا يتطلب إعادة الإعتبار الى عناصر الثقافة الوطنية ومقوماتها ،وفي مقدمتها تفعيل اللغة العربية في الخطاب اليومي للناس في بيئتهم المباشرة . ولكن معركتنا لحفظ هويتنا وثقافتنا ستكون خاسرة مالم نتسلح بأدوات ثقافة العولمة ذاتها : تلك الأدوات التي تعتمد على إسس أقتصاديةٍ وعلميةٍ ،وتقنيةٍ متينة، ذلك لأن التركيز على الثقافة وحدها إختزال وتبسيط لحركة عالمية معقدة جدا، ذات آثارٍ فاعلة في مجالات الأقتصاد والسياسة والعلم والبحث العلمي والتعليم والثقافة .وهذه المواجهة ستكون فعالة اذا ماتم إدماج البعد الثقافي في العملية التنموية بكاملها، وذلك في سياق يؤكد اهمية التفاعل بين الثقافة والتنمية ، ويرسخ الوعي بالأهمية الجوهرية التي تتمتع بها الثقافة في وضع سياسات تنموية ثقافية تضمن تحقيق تنمية بشرية مستدامة تتأسس على القيم الثقافية الوطنية الثرية وتنفتح على ثراء التنوع الثقافي الإنساني وتطور الحياة .

أما المثقف بإعتباره أداة الثقافة، ومنتجها ،والمعبر عن وظائفها وآلياتها ، فالمطلوب منه مواكبة حركة الحاضر وماتتطلبه من جهوزية تكون بمستوى التحديات والتطلعات البعيدة عن الصورة النمطية للثقافة ودورر المثقف كحارس للآيديولوجيات ،وبائعٍ للاوهامِ ،وشرطيٌ للافكارِ. والنظر من افقٍ اوسع لدور المثقف ، نظرة تتجاوز العلاقات المحددة التي تفرضها عليه إنتماءاته الأولية للبيئة والمجتمع وخطاب الثقافة المحلي ، ولمتنه الإيديولوجي. لتضع تصورا بديلاً لوظيفته التقليدية ،لإخراجه من عزلته الفكرية والثقافية التي تركت اثراً بليغاً على طريقة التفكير ونوعية الإنتاج الثقافي وبالتالي الى الفهم الجامد لكينونة الثقافة ولمغزاها الانساني كخطاب عالمي.

التحديات أمامنا كبيرة وخطيرة ...ومواجهتنا لها تعتمد على مدى قدرتنا على الإستجابة الواعية والفعالة لها، والوقت في عصرنا عنصر حاسم وقاطع . عصر لامكان فيه للمتفرجين والضعفاء . فعسى ان نلحق بقطار التاريخ الذي لايعرف الوقوف عند محطات الضعفاء والمتفرجين . وهنا يكون المثقف أداة التغيير وجوهره . ولن تتحقق رسالة أي أمة ، ولن يتسنى لمشروعها الحضاري أن يرى النور دون ذلك التغيير. وتأريخنا الحضاري الطويل يمنحنا القدرة على الصمود امام رياح الغزو الثقافي العاتية، مهما تنوعت اشكالها ، وتعددت ادواتها.



المصادر والمراجع

– باللغة العربية

– الموسوعات والقواميس

– أبن منظور ، لسان العرب ،الجزء السادس،دار المعارف ،د.ت.

– الكتب

_البيطار ، نديم ، المثقفون والثورة.الأنتجلنسيا كظاهرة تأريخية،بيروت ،2001 .

– العروي ،عبد الله ،ثقافتنا في ضوء التأريخ، بيروت ، 1984 .

– الهرماسي ، محمد عبد الباقي ، المدخل الثقافي الإجتماعي الى دراسة الدولة، ورقة قدمت الى ندوة : الأمة والدولة والإندماج في المجتمع العربي، تحرير غسان سلامة وآخرون، ج1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ،1989.

– اليحياوي ،يحي ،في العولمة والتكنولوجياوالثقافة.مدخل الى تكنولوجيا الثقافة، دار الطليعة، بيروت،2002.

– – بركات ،حليم ، المجتمع العربي المعاصر،بحث إستطلاعي إجتماعي،بيروت،1984.

– تياغوننكو،ف.ل واخرون،التركيب الطبقي للبلدان النامية،ترجمة داود حيدر ومصطفى الياس،ط2 ،دمشق،1947.

– زريق ،قسطنطين ،نحن والتأريخ : مطالب وتساؤلات في صناعة التأريخ وصنع التأريخ ،دار العلم للملايين ، بيروت،1959 .

– عبد الرضا ،نبيل جعفر ، العولمة وإنعكاساتها على صناعة النفط الخليجية،مقتبس في : المجتمع والإقتصاد امام العولمة، مجموعة مؤلفين،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ،2004.

– لبيب ،هاني ، العولمة وقضية الحماية الدينية في مصر، مقتبس في:المجتمع والإقتصاد امام العولمة،مجموعة مؤلفين،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،2004.

– ماركس ،كارل وفردريك إنجلز،الآيديولوجيا الألمانية،ترجمة الدكتور فؤاد ايوب،دمشق،1976،ص48. –

محفوظ، محمد ، نقد المشروع الثقافي الغربي وطموحات العولمة،مجلة الكلمة، السنة الخامسة ،العدد19 ،بيروت ، ربيع 1998.

– الهرماسي، محمد عبد الباقي ، المدخل الثقافي الإجتماعي الى دراسة الدولة، ورقة قدمت الى ندوة : الأمة والدولة والإندماج في المجتمع العربي، تحرير غسان سلامة وآخرون، ج1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ،1989.



– البحوث والدراسات

– أحمد ، وليد خالد ،محددات الدلالة اللغوية والمفاهيمية لمفردة الإنتجلنسيا،صحيفة الزمان،24 ديسمبر2012.

– الأطرش ،محمد ،العرب والعولمة: ماالعمل، مجلة المستقبل العربي، السنة 20،العدد 229،آذار- مارس1998.

– آل جميع ،حبيب،العولمة في المجال الثقافي.وجهة نظر نقدية ،على موقع :

www.annabaa.com

– الأنصاري ،نديم ،المثقف العربي والسلطة ،مجلة الوحدة،العدد10بيروت،يوليو1985.

– "إنعكاسات العولمة على الثقافة العربية "، صحيفة الشرق الاوسط ،2فبراير 2001.

– "تعريف الثقافة "، على موقع : www.ar.wikipedia

– التميمي ،عبد المالك ،بعض إشكاليات الثقافة والنخبة المثقفة في مجتمع الخليج العربي المعاصر،مجلة المستقبل العربي، السنة 12،العدد134،بيروت ، نيسان .

– الجابري ، محمد عابد ، أجيال المثقفين في الإسلام،صحيفة الشرق الأوسط، 8 فبراير 1995 .

– الجابري ،محمد عابد ، العولمة والهوية الثقافية عشرة أطروحات ، على موقع :

www.aljabrialabed.net/n06_09jab_awlama.htm

– جميل ،سيار ،الثقافة الإسلامية والإختراق الثقافي في ظل العولمة،مجلة الكلمة،السنةالخامسة،العدد18،بيروت شتاء 1998.

– الخطيب ،خالد ،ماهو تعربف الهوية ، على موقع : www.ejaaba.com

– محفوظ ،محمد ، نقد المشروع الثقافي الغربي وطموحات العولمة،مجلة الكلمة،السنة الخامسة،العدد19،بيروت،ربيع 1998.

– المريط، مصطفى ، مفهوم الثقافة بين الفكرين الغربي والعربي،من إلتباس المفهوم الى أفق البناء الحضاري،على موقع : www.nama-center.com

– الموسوي،انور غني ، العولمة الثقافية والموقف العربي، صحيفة المثقف،العدد 3037، كانون الاول 2014.

– بسيسو ، عبد الرحمن ، الثقافة والهوية او الثقافة ومعركة الدفاع عن الهوية ، على موقع :

www.home.birzeit.edu/cds1arabic/news



- بنعبدلاي ، المختار ،الثقافة العربيةومعطيات الواقع الراهن وآفاقها المتطورة،مجلة الوحدة،العدد101-102،بيروت،فبراير-مارس 1993 .

- بن نبي ، مالك ،،مشكلة الثقافة،دار الفكر،دمشق،2011.

- التميمي ،عبد المالك ،بعض اشكاليات الثقافة والنخبة المثقفة في مجتمع الخليج العربي المعاصر،مجلة المستقبل العربي، السنة 12،العدد134،بيروت ، نيسان .

- حلاوة، كريم ، المثقف العربي واشكالية الدور المفقود، مجلة الوحدة، العدد66،بيروت،مارس 1990.

- - حلايفة، غادة ، ماهو تعريف الثقافة، ، على موقع : .. www.mawdoo.com

- سعيد ،زينب ، في تحديد مفهوم المثقف ،ص3. على موقع :

www.siironline.org

- شفيق ،منير ،عالمية الثقافة الإسلامية أمام تحديات العولمة،مجلة الكلمة،السنة الخامسة،العدد9،بيروت،ربيع 1998.

- شيركو ،م ،المثقف...بين التجريد والنشاط السياسي، صحيفة الإتحاد،18 شباط 2000.

- عادل ،شيهب ،الثقافة والهوية- إشكالية المفاهيم والعلاقة ، على موقع :

www.aranatbropo.com

- عامر ،مخلوف ، دور المثقف العربي والمتغيرات ، مجلة المستقبل العربي، السنة 14،العدد154 ، بيروت ، كانون الاول-ديسمبر 1990 .

- عرابي،عبد القادر ،أزمة المثقف العربي.المحنة الدائمة.دراسة في نشأة المثقف العربي وسوسيولوجيته، مجلة المستقبل العربي،السنة18،العدد196،بيروت،1995.

- علوش ،ناجي ،المثقف العربي والنضال القومي، مجلة الوحدة، العددان 101-102 ،بيروت ،تموز 1985.

- غريب ،حسن خليل ،إلاختلاف على الهوية الثقافية والهوية القومية أزمة سياسية تعيق حركة التحرر العربي،على موقع :

www.al-moharer.net.

- فندي ،مأمون ،مثقف الدقائق الاخيرة ، صحيفة الشرق الأوسط،10 مايو 2002.

- لبيب ،طاهر ،تساؤلات حول المثقف العربي والسلطة ، مجلة الوحدة،العدد 101-102،بيروت ، تموز1985.



- وطفة ،علي اسعد ،المثقف النقدي مفهوماً ودلالةً،مجلة الطريق، العدد11، بيروت، 5أيلول 2015.

- الصحف

- "صحيفة الإتحاد"،السليمانية /العراق،18شباط2000.
- "صحيفة الزمان"، لندن ،24ديسمبر2012 .
- "صحيفة الشرق الأوسط" ، لندن،8فبراير1995.
- "صحيفة الشرق الأوسط"،لندن2فبراير2001.
- "صحيفة الشرق الأوسط" ، لندن،10مايو2002.

- باللغة الانكليزية

- الموسوعات والقواميس

- "Encyclopedia Britannica".
- "www .ar. Wikipedia"

"Oxford Dictionary of sociology",2nd.edit,Oxford university -press,London,1998.

- الكتب

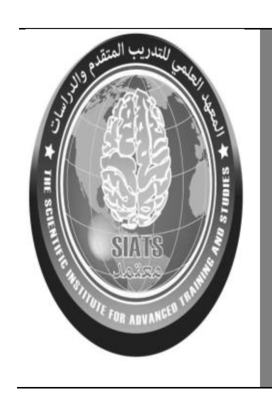
- Shells .Edward , Political change under developed countries ,New York,1962.

Taylor .Edward, Primitive culture, New York, 1924.

-Winston, W. ,Technology and sovereignty, Foreign Affairs,Vol.67, n2, winter 1988-1989.







SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد4 ، العدد1، كانون الثاني، يناير 2018م.

e-ISSN: 2289-9065

THE ROLE OF FAITH IN BUILDING CIVILIZATION / PILLARS OF FAITH AS A MODEL

دور العقيدة في بناء الحضارة / أركان الإيمان نموذجا .

الدكتور/ رائد سعيد أحمد بني عبد الرحمن

جامعة اليرموك – كلية الشريعة – المملكة الأردنية الهاشمية

raed1881979@gmail.com

1439هـ – 2018م



ARTICLE INFO

Article history:
Received 22/8/2017
Received in revised form7 /9 /2017
Accepted 5/8/2017
Available online 15/1/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

This research is about identifying and showing the role of Islamic faith in building the civilization / pillars of faith as a model, the research aims to identify the real factors of building civilizations and to show the real role of the Islamic faith through the pillars of faith in building civilization. To achieve this goal, the researcher studied the six pillar of faith and its role in building civilization; it is known that belief is one of the important factors in the building of civilizations in general, as there is no civilization without a faith that drives building of this civilization. As for the methodology of the researcher's research in the study has gone descriptive analytical approach, and the results of the study were; first: The need to expand the meanings of the term faith to include the term harness and building the universe as well as moral and civilization building, second: is the great role of the pillars of faith in building human civilization, and how to drive the pillars of faith to seriousness and work, and to achieve serenity and tranquility. The recommendations call for holding conferences and symposia to demonstrate the faith role and the true contribution of the faith to building civilization, to show the characteristics of Islam and its role in the civilizational witnesses of nations, how to fight extremism and to renounce violence in all its forms and manifestations. Second: to take advantage of the advantages of globalization by showing the truth of Islam and inviting the other party to enter Islam .



الملخص

يعنى هذا البحث ببيان وإبراز دور العقيدة الإسلامية في بناء الحضارة / أركان الإيمان نموذجا" ، وقد هدف البحث إلى الوقوف على العوامل الحقيقية لبناء الحضارات ، وبيان الدور الحقيقي للعقيدة الإسلامية من خلال أركان الإيمان في بناء الحضارة . وقد سلك الباحث لتحقيق هذا الهدف دراسة أركان الإيمان الستة ودورها في بناء الحضارة ، ومن المعلوم أن العقيدة من العوامل المهمة في بناء الحضارات عموما ، إذ لا حضارة بدون عقيدة تدفع إلى بناء تلك الحضارة . وأما بالنسبة لمنهج البحث الذي سلكه الباحث في دراسته فقد سلك المنهج الوصفي التحليلي ، وأما نتائج الدراسة أولا : ضرورة توسيع مدلولات مصطلح العقيدة لتشمل مصطلح التسخير ، وعمارة الكون ، والبناء القيمي والحضاري . ثانيا : الدور الكبير لأركان الإيمان في بناء الحضارة الإنسانية ، وكيف تدفع أركان الإيمان إلى الجدية والعمل ، وتحقيق السكينة والطمأنينة ، وأما التوصيات : الدعوة إلى عقد المؤتمرات والندوات لبيان الدور العقدي والإسهام الحقيقي للعقيدة في بناء الحضارة ، وبيان خصائص الإسلام ودوره في الشهود الحضاري للأمم ، وكيفية محاربة التطرف ، ونبذ العنف بكافة أشكاله وصوره . ثانيا : الاستفادة من إيجابيات العولمة ببيان حقيقة الإسلام السمح ، ودعوة الطرف الآخر للدخول في الإسلام .

الكلمات المفتاحية :

العقيدة ، الحضارة ، دور ، عوامل ، الإسلام ، أثر .



مقدمة

إن المتأمل في الواقع التاريخي يجد أن المسلمين قد أقاموا حضارة إنسانية شهد لها أعداؤها وأهلها ، وهذه الحضارة لم تقتصر على الجانب المادي فحسب إنما شملت الجانب المعنوي أيضا ، وهذه الحضارة التي أقامها المسلمون لم تكن لتقوم وتؤثر في غيرها لو لم تتوفر فيها مقومات الحضارة الإنسانية وعلى رأسها "العقيدة الإسلامية " . هذه العقيدة التي جاء بها الإسلام لإثبات العبادة لله وحده لا شريك له ، وإخراج الناس من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة خالق هذا الكون وهو – الله – عز وجل .

الموضوع :

- تعلق هذا الموضوع برسالة الإسلام، التي أكرم الله تعالى بها نبيه –محمد صلى الله عليه وسلم– .
- الدفاع عن رسالة الإسلام وخصائصه .
- بيان وإبراز دور العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء الحضارة الإنسانية .
- معرفة أبرز مقومات الحضارة .

منهج الدراسة :

اقتضت طبيعة البحث أن يستخدم الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي ، فيقوم الباحث في دراسته من خلال الاستقراء والتحليل ببيان دور العقيدة الإسلامية في بناء الحضارة الإنسانية .

الدراسات السابقة :

من خلال البحث في المكتبة الإسلامية فقد وجد الباحث دراسات عامة تتحدث عن الحضارة من جانب ، وأثر العقيدة الإسلامية على الفرد والمجتمع من جانب آخر ، ولم يجد الباحث في حدود بحثه دراسة مستقلة تتحدث عن دور العقيدة في بناء الحضارة ، لكن وجد بعض الدراسات العامة التي لها علاقة بالموضوع ، ومن أبرز هذه الدراسات:

1 . قصة الحضارة ، ويليام جيمس ديورانت ، فتحدث في كتابه عن عوامل الحضارة وعناصرها الاقتصادية والسياسية والخلقية والعقلية ، كما تحدث عن فضل حضارة الشرق الأدنى على الحضارة الغربية .



2 . الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم ، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني ، فتحدث صاحب الكتاب عن وسائل الحضارة الإسلامية ووسائلها ، وكان من أبرز القضايا التي تناولها الأسس الفكرية والنفسية في بناء الحضارات .

مشكلة الدراسة .

جاءت هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة والاستفسارات الآتية .

1. ما معنى الحضارة ؟ .
2. ما معنى العقيدة الإسلامية؟ وما هي المصطلحات الداخلة في مصطلح العقيدة الإسلامية ؟ .
3. ما هو دو العقيدة الإسلامية في بناء الحضارات من خلال أركان الإيمان ؟ .

وقد جاء هذا البحث مشتملا على مبحثين وخاتمة على النحو الآتي :

المبحث الأول: التعريف بالمفردات الواردة في البحث وفيه مطالب :

المطلب الأول : معنى العقيدة الإسلامية .

المطلب الثاني : معنى الحضارة .

المبحث الثاني: دور العقيدة الإسلامية في بناء الحضارة الإنسانية.

وفي نهاية الدراسة أبرز النتائج التي توصل الباحث إليها من خلال الدراسة.

وبعد: فهذا عمل البشر فما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي الضعيفة والمقصرة والشيطان والله ورسوله منه براء .



المبحث الأول: التعريف بالمفردات الواردة في البحث وفيه مطالب :

المطلب الأول : معنى العقيدة الإسلامية .

العقيدة لغة مأخوذة من العقد وهو نقيض الحل وتأتي في جميع استعمالاتها بمعنى الربط ، الإلزام ، التوثق ، الربط بشدة ، الإحكام ، العهد [1] وغيرها من المعاني اللغوية لهذا المصطلح ، يقال : عقدت الحبل أي شددته وربطته بحزم . قال تعالى : ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ[2]. ومعنى ذلك أي أوفوا بالعهود . وقال تعالى : ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ[3] .أي بما عزمتم وألزمتم أنفسكم ، وكأن المعنى اللغوي يشير إلى أن العقيدة هي العهد الذي يجب أن يبقى عليه الإنسان ، فيلزمه ولا يتخلى عنه . وأما العقيدة اصطلاحا : فمعناها الحكم الجازم الذي لا يتطرق إليه الشك والريب لدى معتقده [4]. وهذا الحكم قد يكون حقا وقد يكون باطلا .فكل أمة من الأمم لها عقيدة تؤمن بها ، وتسير عليها . وأما العقيدة الإسلامية كمصطلح مركب فالناظر في كلام العلماء يجد أنهم قد عرفوا هذه المصطلح ب : ((الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وأُلوهيته وأَسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأصول الدِّين، وما أَجمع عليه السَّلف الصَّالح، والتسليم التام لله تعالى في الأَمر، والحكم، والطاعة، والإتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم)) [5]. وتسمى بأسماء متعددة مثل : التوحيد ، الفقه الأكبر ، الإيمان ، الشريعة . والناظر في تعريفات العلماء للعقيدة الإسلامية يجد أنهم قد حصروا مفردات وموضوعات العقيدة الإسلامية في مفردات عقدية معينة تتناول :

1. المسائل العقدية التي تتعلق بالإلهيات مثل : الوحدانية ، أقسام التوحيد ، دلائل وجود الله.
2. المسائل العقدية التي تتعلق بالنبوات مثل : دلائل صدق الرسول ، إثبات النبوات ، المعجزات .

---

[1] . تهذيب اللغة ، : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ج2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 2001م . لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1414هـ .

[2] . القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية رقم 1 .

[3] . القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية رقم 89 .

[4] . القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، الدكتور سعدي أبو حبيب ، دار الفكر ، سورية ، ج1 ، ص256 ، ط2 ، 1988 م . انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، ج2 ، ص421 ، المكتبة العلمية ، بيروت

[5]. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) ، عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، تقديم : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، نشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ،ج1 ، ص 49 ، ط1 ، 1422هـ .



3. المسائل العقدية التي تتعلق بالسمعيات مثل : البعث ، الجزاء، اليوم الآخر . وحقيقة الأمر أن هناك مفردات في غاية الأهمية يجب أن تدخل في مفردات العقيدة ولها علاقة وثيقة في بناء الحضارات منها : مفهوم الاستخلاف ، موضوع تسخير الله – عز وجل – الكون للإنسان ، موضوع العدالة الاجتماعية وعلاقته في بناء المجتمعات . فهذه المفردات لا نجد لها أثرا في مفردات العقيدة الإسلامية عند طرح العلماء لهذا الموضوع ، مع أن هذه المفردات يجب أن تدرج ضمن موضوعات العقيدة ، وهذا ما سوف نتحدث عنه عند الحديث عن دور العقيدة الإسلامية في بناء الحضارات [6].

المطلب الثاني : معنى الحضارة (Civilization) .

إن مصطلح الحضارة من المصطلحات الأكثر شيوعا واستخداما ، ومع ذلك هناك تعريفات متعددة للحضارة ، حيث لم يتفق العلماء على تعريف محدد لها ، ومع ذلك فإن هذا المصطلح له تدرج تاريخي . فالحضارة لغة عندما تطلق فإن إطلاقها ضد البداوة[7] وفي هذا قد جاء قول القائل [8]:

فمن تكن الحضارة أعجبته ... فأي رجال بادية ترانا

وأما لفظ الحضارة في المعنى الاصطلاحي المعاصر فهي أكثر شمولا واتساعا من المعنى اللغوي ، وعلى هذا فلا تقتصر الحضارة على المدنية فقط ، فيرى ويليام جيمس ديورانت أن الحضارة هي عبارة عن نظام اجتماعي يساعده على زيادة إنتاجه الثقافي في أربعة عناصر تشمل : الموارد الإقتصادية ، والنظم السياسية ، والتقاليد الخلقية ، ومتابعة العلوم والفنون

---

[6] . دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية ، عبد المجيد عمر النجار ، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، العدد الأول ، 1995 م .ص3 .

[7] . مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ج2 ، ص76 ، دار الفكر ، 1979م .

[8] . الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، ج1/ ص55 ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3، 1997م .



[9]. وعرف البعض الحضارة بأنها : ((الحصيلة الشاملة للمدنية، والثقافية، والفكر، ومجموع الحياة، في أنماطها المادية والمعنوية)) [10].

فلفظ الحضارة يشمل نتاج أي أمة من الأمم سواء كان هذا الرقي ماديا أو معنويا . وكل أمة من الأمم لها حضارتها التي تعتز وتفتخر بها ، والحضارة الإسلامية كمصطلح مركب تشمل نتاج الأمة الإسلامية في جميع جوانب الحياة على الصعيد العلمي ، والأدبي ، والاقتصادي ، والعمراني ، لكن هذه الحضارة استمدت مقوماتها من الإسلام ذاته . ولعل مصطلح الحضارة له ما يقابله في كتاب الله تعالى وهو مصطلح الاستخلاف الذي أمر الله تعالى به الإنسان والقائم على عمارة الكون .

المبحث الثاني : دور العقيدة في بناء الحضارة (أركان الإيمان أنموذجا) .

تمهيد

يعتبر عصر النبي صلى الله عليه وسلم هو العصر الذهبي بالنسبة للعصور المتقدمة والمتأخرة ، إذ جاء النبي صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام الخالدة ، التي أخبر الله تعالى عنها : ﭽ ۀ ہ ^ ۂ ۃ ﮬ ﮩ ﮪ ﮭ ے ے ۓ ﮯ ﭼ [11].

وهذه الرسالة الإسلامية قد غيرت مجرى البشرية وحياة العرب آنذاك إذ لم تكن لهم حضارة تأخذ بهم إلى بر الأمان ، وبنظرة فاحصة إلى حياة العرب قبل الإسلام ، نجد أنهم كانوا في أسوأ حال ، ففي جانب العقيدة امتاز العصر الذي يعيشون فيه بالعصر الوثني [12]، وانتشار الخرافات ، فكانوا يعبدون الأصنام ، بل كثرة وتعدد هذه الأصنام وقد وصف

---

[9] . قصة الحضارة ، ويليام جيمس ديورانت ،تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر،ترجمة: الدكتور زَكي نجيب محمُود وآخرين، ج1 ، ص3 ، دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ، 1988 م .

[10] . الحضارة الإسلامية ، أحمد عبد الرحيم السايح ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السنة العاشرة – العدد الثالث– ذو الحجة 1397هـ – نوفمبر تشرين ثاني 1977م .

[11] . سورة سبأ ، آية رقم 28 .

[12] . السيرة النّبوية – عرض وقائع وَتحليل أحداث ، علي محمد محمد الصلابي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، السابعة، 1429 هـ - 2008 م ، 22/1 .



لنا البخاري في صحيحه حالة العرب آنذاك فجاء من حديث أبي رجاء العطاردي قال: ((كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرا آخر هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به)) [13]. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى مجتمع بعيد كل البعد عن الحضارة ، إذ كان يعيش في ظلمات الجهل ، وعبادة الأصنام والأوثان ، فجاء النبي بعقيدة صافية ارتقت بهذا المجتمع ببناء حضارة عظمى وصلت إلى مشارق الأرض ومغاربها . فما دور العقيدة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم ببناء الحضارة ؟ وسوف نبين في المطالب التالية دور العقيدة الإسلامية في بناء الحضارة من خلال مسألة واحدة من مسائل العقيدة الإسلامية ألا وهي مسألة أركان الإيمان ، إذ يصعب علينا في هذا البحث أن تناول مسائل العقيدة جميعا ودورها في بناء الحضارة .

المطلب الأول : الإيمان بالله ودوره في بناء الحضارة .

من الأصول المتفق عليها أن أي بناء يريد أن يبنيه الإنسان لابد فيه من أصول يرتكز عليها ، والحضارة الإسلامية التي قامت سواء فيما يتعلق بالجانب المادي أو المعنوي ارتكزت على أصول كما بينا سابقا من أبرزها "العقيدة الإسلامية " . ومن القيم العظمى التي ينبغي للإنسان معرفتها أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أراد أن يبني حضارة الإسلام ، دعى إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، إذ أنه جاء إلى مجتمع يعبدون فيه الأصنام التي لا تضر و لا تنفع ، فبدأ دعوته صراحة إلى ما يحرر الإنسان من عبوديته لغير الله ، ويستسلم وينقاد لله عز وجل ، فكانت دعوته إلى الإيمان بالله وحده لاشريك له . حيث جاء في الحديث عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد، عن جامع بن شداد، عن طارق بن عبد الله المحاربي، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق ذي المجاز وعليه حلة حمراء، وهو يقول: ((يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)) [14]. فدعاهم الرسول إلى قول هذه الكلمة ، ولكن رفضوا قولها لأنهم يعلموا علم اليقين أن هذه الكلمة يترتب عليها نقلة نوعية تتمثل بالعمل وهي تركهم لعبادة الأصنام والأوثان . فهذه الكلمة لا

[13] . صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الأولى، 1422هـ ، رقم 4367 .

[14] . صحيح ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ،ج1 ، ص 82 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، رقم الحديث 159 ، قال الأعظمي : إسناده صحيح .



ينفع فيها القول وحده بل لابد من العمل . . ويمكن لنا أن نبين دور الإيمان بالله تعالى في بناء الحضارة الإسلامية من خلال ما يلي :

أولا : سلك القرآن في دعوته للإيمان بالله تعالى مسلكا فريدا للوصول إلى معرفة الله عز وجل فخاطب القرآن الإنسان في كثير من آياته ودعاه إلى التفكر والنظر والتأمل حيث قال تعالى :ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ[15]. وقوله تعالى : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ[16].والقرآن مليء بالآيات التي تدعو إلى التأمل والتفكر في هذا الكون بما فيه للوصول إلى الإيمان بالله تعالى .

ثانيا : الشعور بمبدأ المساواة الذي يتولد من الإيمان بالله تعالى ، وهذه القضية من الموضوعات المهمة في قضايا العقيدة ، ومعناها أن الإيمان بالله تعالى يقتضي أن البشر متساوون فلا فرق لعرق على عرق ، ولا للون على لون ، وهذا أشار إليه القرآن الكريم حيث قال تعالى :ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ[17] . وقال تعالى :ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ[18] .فالشعور بمبدأ المساواة بين بني البشر فيه دعوة واضحة وصريحة لإقامة حياة مشتركة فيما بينهم ، وهذا جزء من بناء الحضارة ولا يمكن للحضارة أن تبنى بدون علاقات البشر فيما بينهم ، فجاءت العقيدة الإسلامية وقررت هذا المبدأ العظيم . وهذا ما قرره النبي صلى الله عليه وسلم عندما أنكر على أبي ذر حيث نادى على بلال رضي الله عنه بقوله يا ابن السوداء . فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال : ((يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم،

جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم))[19] .فالرسول أنكر على أبي ذر تعييره لبلال رضي الله عنه ، والسبب أن الإسلام قد عامل

---

15 . القرآن الكريم ،سورة الذاريات ، آية رقم 21 .

16 . القرآن الكريم ، سورة العنكبوت ، آية رقم 20 .

17 .سورة الإسراء ، آية رقم 70 .

18 . سورة الحجرات ، آية رقم 16 .

19 . صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، كتاب الإيمان ، باب المعاصي من أمر الجاهلية ، ج1 / ص 15 ، حديث رقم 30 .



الجميع بمبدأ المساواة ، الذي له دور كبير في إقامة الحياة الإنسانية بين البشر ، والذي هو جزء مهم في بناء الحضارة ، بل إنه عنصر أساسي في بناء الحضارة .

ثالثا : تقديم التصور الشامل عن الكون والإنسان والحياة ، فالعقيدة الإسلامية تقدم تصورا شافيا عن الكون من الذي أوجده ؟ وعن الإنسان من الذي خلقه ؟ وعن الحياة هل هي أبدية أم غير ذلك؟ وهذه هي الأسئلة الكبرى التي حيرت العقول .هذه المفاهيم هي محور العقيدة الإسلامية وتحديدا الإيمان بالله تعالى ، ونظرة الإنسان إلى هذه المفاهيم تساعد على البناء الاجتماعي والحضاري للمجتمع . فحسب نظرة الإنسان لهذه المحاور العقدية يكون مجال الإسهام في بناء الحضارة . كل هذه الأسئلة قدمت العقيدة الإسلامية إجاباتها الوافية والصحيحة.هذا يجعل الإنسان يعيش في سكينة وطمأنينة وسعادة . فمن آمن بالله تعالى حق الإيمان آمن بخلق الله للكون وللإنسان والحياة . وهذا يدفع الإنسان إلى العمل والجد والاجتهاد والقيام بحقيقة الاستخلاف في هذه الأرض وهذا ما يساعد في بناء الحضارة الإنسانية.فالتصور الشامل للقضايا الكلية يعين على عمارة الكون والإبداع والإنتاج ، وكم نرى من عائق أمام التقدم الحضاري لأنهم فيه تيه وظلام بسبب عدم إيمانهم بالله تعالى كما صور ذلك بعض الشعراء فقال [20]:

جئت لا أعلم من أين ، ولكنني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟ لست أدري .

رابعا : الطمأنينة والسكينة التي يحصل عليها الإنسان عند الإيمان بالله تعالى ، فإيمان الإنسان بالله تعالى مصدر للطمأنينة والسكينة وهذا ما أشار إليه الله تعالى : **ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﯤ ﯥ**

[20] . الديوان ، إيليا أبو ماضي ، الطلاسم ، 8 .



ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ[21] . فالإيمان بالله تعالى حرر الإنسان من عبودية البشر وتأليههم إلى عبودية الله تعالى ، فجعلت هذه العقيدة تقبل على خالقها وليس على البشر الذين لا حول لهم ولا قوة . فكثير

من الديانات الوثنية قالت بتأليه البشر ،وتسرب الأمر إلى الديانة النصرانية المحرفة الذين قالوا بتأليه عيسى عليه السلام ، وقد رد القرآن الكريم عليهم فقال الله تعالى :ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[22].فمسألة تأليه البشر تعني عدم الحرية للإنسان وبالتالي عدم الإبداع وهذا يؤثر في بناء الحضارة . لكن إيمان الإنسان بالله تعالى وأن بقية البشر هم بشر وعبيد لله تعالى يساعده على الإسهام في هذه الحضارة وهذا ما حصل في عهد الرسالة عندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى مجتمع مكة فوجدهم يعبدون الأوثان والأصنام وقد أنكر القرآن الكريم عليهم فقال تعالى : ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ[23]. لقد كانت عبادتهم لهذه الآلهة معيقا أساسيا لتقدمهم الحضاري ، والوصول إلى الشهود الحضاري فلما جاء الإسلام معلنا أن هناك ربا واحدا لا شريك له ، انتقلت البشرية من عبادة هبل واللات والعزى وغيرها من الآلهة إلى عبادة خالق هذا الكون ومدبره وهو الله تعالى .

المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة ودوره في بناء الحضارة .

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان ولا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بهذا الركن العظيم ، وقد دل على هذا الركن العظيم الكثير من نصوص الكتاب والسنة ولست بهذا البحث بصدد الحديث عن طبيعة الملائمة وصفاتهم

---

[21]. القرآن الكريم ، سورة الفتح ، آية رقم 4 .

[22] . القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية رقم 171 .

[23] . القرآن الكريم ، سورة يونس ، آية رقم 17 .



وأعمالهم ، إنما الحديث منصب على بيان دور الإيمان بالملائكة في بناء الحضارة وخاصة أن عالم الملائكة عالم غيبي لا نراه بالحواس فما أهمية الإيمان بهم في بناء الحضارة ؟ . لابد أن نقرر أنه من الصعوبة أن ندرك دور الإيمان بالملائكة في بناء الحضارة إلا من خلال القضايا التالية :

القضية الأولى : الإيمان التام والمطلق بأن المتصف بمعاني الربوبية والخلق والتدبير هو الله تعالى ، فالإيمان بالملائكة يؤدي إلى زيادة الإيمان بصفات الله تعالى من الخلق والتدبير ، وهذا يجعل الإنسان مقبل على الله تعالى بالعمل والجد والاجتهاد .ثانيا : الإيمان بالملائكة يقتضي الإيمان بملائكة يتعاقبون الإنسان ويكتبون عليه كل شيء كما قال تعالى : چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ج چ[24]. وهذا يترتب عليه ألا يصدر من الإنسان إلا ما كان حسنا ، والابتعاد عما هو قبيح ، فيبتعد عن كل ما فيه معصية سواء في حق الله تعالى أو حق البشر ، ويقبل على كل ما يحقق النفع لمجتمعه ولأمته[25]. وهذا كله يسهم في أن يستقيم المسلم على شرع الله تعالى ، ويساعد في بناء مجتمع خال من المعصية ، بعيد عن كل أسباب الفحش ، ولا يخفى على أحد ما لهذا من دور كبير في بناء الحضارة .

ثالثا : الشعور بالسكينة والطمأنينة والأنس ، وهذا الشعور يتولد عند الإنسان لأنه يعلم أن الله تعالى جعل من عالم الملائكة من يقوم بحفظ بني آدم ورعايتهم ، وهذا يؤثر إيجابا على المسلم فيقبل على العمل والجد والاجتهاد سواء كان نتاجا ماديا أم معنويا .

المطلب الثالث : الإيمان بالكتب السماوية والرسل ودورهما في بناء الحضارة .

وهذا المطلب يتحدث عن دور ركنين عظيمين من أركان الإيمان في بناء الحضارة وهما الإيمان بالكتب السماوية ، والإيمان بالرسل الذين أنزلت عليهم هذه الكتب . وهما جزء لا يتجزأ من المنظومة الكاملة لمنظومة الإيمان التي أمرنا الله تعالى أن نؤمن بها جميعا ، ويظهر دورهما في بناء الحضارة بما يلي

---

[24] . القرآن الكريم ، سورة ق ، آية رقم 18 .

[25] . انظر الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة ، صالح بن فوزان الفوزان ، 22 .



أولا : أن جميع الكتب السماوية دعت إلى عقيدة واحدة ، وهي عقيدة التوحيد التي جاء بها جميع الرسل كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[26]. وهذه العقيدة فيها دعوة إلى أن خالق هذا الكون هو الله تعالى ، وبالتالي الذي يستحق العبادة هو الله تعالى ، وهذا يستلزم أن يتوجه الإنسان بكل طاقاته إلى عبودية من خلق هذا الكون وأبدعه في أحسن صورة . وهذه نقطة جوهرية في بناء حضارة إنسانية يتوجه أصحابها إلى عبادة إله واحد وهو الله تعالى ، وليس كما هو موجود في الديانات الوثنية الذين يؤمنون بعدد كبير من الآلهة

كما هو موجود في الهندوسية [27] والبوذية [28].

ثانيا : اجتماع البشر وهو جزء من الحضارة لابد فيه من شريعة يتحاكمون إليها ، وهذه الشريعة من عند الله تعالى المتمثلة بالكتاب السماوي الذي ينقاد إليه المؤمن ويؤمن من خلاله أن هناك ثوابا وعقابا وفي هذا يقول ابن خلدون في مقدمته : ((الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه ، وأنه لابد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب))[29].

ثالثا : نسمع بالمقولة المشهورة ((الإنسان مدني بطبعه)) [30]. وعنى ذلك كما هو معلوم أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش لوحده وبمعزل عن الآخرين ، فلابد من التعايش من الآخرين والإنسان هو العامل المهم في بناء الحضارة سواء كانت مادية أو معنوية . فكان لابد من تنظيم لشؤون حياة هذه الإنسان المدني ، فجاءت الكتب السماوية من عند

---

[26]. القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، آية رقم 25 .

[27]. وتسمى بالهندوكية أو البرهمية وهي ديانة أغلب الهند يقولون بعقيدة التثليث براهما من حيث أنه موجد ، وفشنو من حيث أنه حافظ ، وسيفا المهلك . من أبرز عقائدهم الكارما ، وتناسخ الأرواح ، والانطلاقة ، يصل عدد معتنقي الهندوسية ما يقارب المليار. انظر أديان الهند الكبرى ، أحمد شلبي ، ص 37 ، ص59 ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 11 ، 2000 م .

[28]. ديانة ظهرت في الهند كردة فعل للهندوسية ، وسيت بذلك نسبة إلى بوذا من أبرز العقائد الموجودة في هذه الديانة النيرفانا . انظر أديان الهند الكبرى ، أحمد شلبي ، ص192 .

[29] . مقدمة ابن خلدون ، عبدالرحمن محمد بن خلدون ، 130 .

[30] . مقدمة ابن خلدون ، عبدالرحمن محمد بن خلدون ، تحقيق وتقديم وتعليق : عبدالسلام الشدادي ، ج1 ، ص 67 ، ط1 ، الدار البيضاء ، 2005م .



الله تعالى قد حوت في أحكامها وتشريعاتها تنظيما كاملا لحياة الإنسان ، وأي حضارة تسمى عند الأمم بدون تنظيم للحياة في جميع شؤونها الفردية والأسرية والاجتماعية ؟ . فلو لم يكن هناك كتبا سماوية من عند الله لتنظيم حياة البشر لأدى ذلك إلى الفوضى ، وهذا يتنافى مع قيام الحضارات .

رابعا : النفس البشرية أيا كانت لها حاجاتها ومطالبها ، ولا يمكن للإنسان أن يقوم بعمارة الكون ويساهم في بناء الحضارة إلا إذا أشبعت النفس البشرية هذه الحاجات ، والكتب السماوية هي القادرة على أن تفي الإنسان بإشباع حاجاته ومتطلباته . والتخبط الموجود في الديانات الوثنية التي انعدمت فيها الكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى أكبر دليل على ذلك ، مما أدى إلى عدم تقدمهم الحضاري .

خامسا : الكتب السماوية هي التي دعت الإنسان إلى التفكر والتأمل في هذا الكون ، حتى يكون قادرا على استغلال هذا الكون والقيام بعمارته كما أراد الله تعالى . والقرآن الكريم مليء بالآيات التي دعت إلى التفكر في هذا الكون كما قال الله تعالى : ﭽ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ﭼ[31]. وقوله تعالى : ﭽ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ﭼ[32] . فهناك دعوة صريحة وواضحة للتأمل والتفكر في هذا الكون الفسيح ، حتى يستفيد الإنسان من هذا الكون . فإذا استفاد الإنسان من هذا الكون على نحو صحيح ، فقد قام بعمارة الأرض وساهم في بناء الحضارة .

سادسا : لابد من الإشارة إلى دور الدين المتمثل في الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه في نشوء الحضارة وهذا ما عبر عنه المفكر الإسلامي مالك بن نبي في كتابه القيم شروط النهضة ورأى أن الحضارة تتكون من عناصر ثلاث هي [33]:

الأول : الإنسان .

---

[31] . القرآن الكريم ، سورة يونس ، آية 101 .

[32] . القرآن الكريم ، سورة الرعد ، آية رقم 3 .

[33] . شروط النهضة ، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي ، 73، 129،137 ، دار الفكر ، سوريا ، 1986م .



الثاني : التراب (الثروة) .

الثالث : الوقت أو الزمن .

فالقاعدة عند مالك بن نبي لتكوين أي حضارة بشرية الإنسان + التراب + الوقت = حضارة بشرية . لكن أين دور الدين المتمثل بالكتاب السماوي الذي حوى فيه العقيدة ؟ . دور الدين هو بتعاليمه المنظمة لحياة البشرية جمعاء يعتبر هو المنتج الحقيقي للحضارة .

المطلب الرابع: الإيمان باليوم الآخر ودوره في بناء الحضارة الإسلامية .

الإيمان باليوم الآخر هو جزء لا يتجزأ من المنظومة الإيمانية التي أمرنا الله تعالى أن نؤمن بها ، لكن ما دور هذا الركن العظيم من أركان الإيمان في بناء الحضارة ؟ . نستطيع أن نوضح دور الإيمان باليوم الآخر في بناء الحضارة من خلال الصور الآتية :

أولا :دعا الإسلام المسلم أن يستخدم عقله في عمارة الكون والإنتاج ، وحظر عليه التفكير في

قضايا غيبية حتى لا تبدد طاقة العقل فيما لا نفع فيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :((تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله)) [34]. ومعنى ذلك إذا أردت أن تكونا نافعا ومنتجا عن طريق عقلك فتأمل في عظمة الله تعالى في

هذا الكون ، ولا تفكر في القضايا الغيبية لأن عقل الناس قاصر لا يستطيع أن يصل فيها إلى نتيجة ، ومن هنا جاء الإيمان باليوم الآخر الذي يتضمن جملة كبيرة من القضايا الغيبية التي يجب على المسلم أن يؤمن بها كما جاءت في

كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم . هذا كله يساعد المسلم على أن ينشغل في تحقيق عمارة الكون بما فيه فائدة .وبفضل العقيدة التي جعلت المسلم يستخدم عقله بالشكل الصحيح اهتدى مسلم إلى المنهج التجريبي والذي

[34] . شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط 1 ، 2003م ، حديث رقم 19.



استفاد منه الغرب في بناء حضارتهم ، فالتقدم الذي حصل في أوروبا كله بسبب هذا المنهج الذي أخذوه عن المسلمين [35].

ثانيا : الإنتاج والجدية في العمل . فالإيمان باليوم الآخر تجعل المسلم يندفع لعمارة الأرض وتحقيق مبدأ الاستخلاف الذي أراده الله تعالى ، والباعث عليه هو الإيمان باليوم الآخر حيث يعلم علم اليقين أن الله تعالى سوف يجازيه على عمله كما قال تعالى : ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ[36] .

ثالثا : الأخلاق الفاضلة ودورها في بناء الحضارة ، فالدين الذي جاء به الرسل دعا إلى مكارم الأخلاق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)) [37].وبنظرة فاحصة نجد أن الأخلاق هي صمام الأمان للمجتمعات ، وهذا يسهم في بناء أي حضارة من الحضارات . فأي حضارة تكون إذا أكل القوي الضعيف ، واستبيح الزنا ، وأحلت السرقة ، وفعلت المحرمات ؟ . فالإيمان باليوم الآخر يجعل المسلم مقبلا على الأخلاق الفاضلة طاعة لله تعالى ، مبتعدا عن الأخلاق الذميمة لأنه يعلم أن هناك يوما سوف يحاسب الله تعالى فيه العصاة والطائعين .

رابعا : إن قيام أي حضارة من الحضارات واستمرارها يتطلب إصلاحا للمجتمعات على كافة الصعد ، وهذا منبثق من عقيدتنا الإسلامية التي أخبر الله تعالى فيها أن هذه الأمة هي أفضل الأمم كما قال تعالى : ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ

ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ[38]. والناظر في هذه الآية القرآنية يجد أن الله تعالى قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأهميته في حياة الأفراد والجماعات الذين هم جزء لا يتجزأ من الحضارة الإنسانية ، فاستمرار الحضارة الإنسانية بحاجة إلى من يقوم بواجب الأمر بالمعروف والتهي عن المنكر الذي فضلنا به على غيرنا من الأمم . والذي يدفع الإنسان إلى القيام بهذا الواجب هو عقيدته الإسلامية المتمثلة في الإيمان بالله تعالى ، والإيمان باليوم الآخر الذي يجازي الله تعالى فيه هذا الإنسان على عمله .

---

[35] . انظر مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص71 ، دار الشروق .

[36] . القرآن الكريم ، سورة السجدة ، آية رقم 17 .

[37] . المسند ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، مسند أبي هريرة رضي الله عنه ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ج14 ، ص513 ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 2001م ، حديث رقم 8952، وقال الشيخ شعيب : صحيح، وهذا إسناد قوي ، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان ، فقد روى له مسلم متابعة ، وهو قوي الحديث .

[38]. سورة آل عمران ، آية رقم 101 .



المطلب الخامس: الإيمان بالقدر ودوره في بناء الحضارة .

أولا : الإنتاج والعمل ، فمن آمن بقدر الله تعالى كان ذلك سببا له في الإقبال على العمل وعدم القعود ، والسبب لأنه يعلم أن البشر لا قدرة لهم على نفعه أو ضره ، فيجتهد ويعمل وبهذا لا يتكل على أحد ، ويقوم ببناء المجتمع . وهذا ما أشار إليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم :((واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)) [39].فالإيمان بالقدر من أكبر الدواعي والحوافز التي تحفز الإنسان أن يقبل على العمل بجدية ونشاط [40].

ثانيا : تحرير العقل من الخرافات والأباطيل ، ولا يخفى دور العقل البشري في بناء الحضارة ، فإذا سيطرت الخرافة على العقل البشري فإن ذلك عائقا أمام تقدمه ونهضته وبناء حضارته ، وهذا ما حصل في أوروبا في العصور الوسطى المظلمة عندما سيطرت الكنيسة بخرافاتها وأساطيرها على العقل الأوروبي آنذاك . وأما الإيمان بالقدر فإنه يحرر الإنسان من أي خرافة أو أسطورة ممكن أن تتسرب إليه ، لأنه يعلم أن القدر سر من أسرار الله تعالى ، وهذا يساعد العقل البشري على التفكير السليم لما فيه فائده له ولمجتمعه [41].

ثالثا : الإيمان بالقدر باعث على الأخذ بقانون السببية ، ولذلك دعا الإسلام إلى التوكل الذي فيه الاعتماد على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب ، ونهى عن التواكل الذي لا يأخذ المسلم فيه بالأسباب ويدعو إلى التكاسل وعدم العمل الذي ينتهي إلى الفشل ، فالأخذ بقانون السببية جعل المسلمين يبحثون عن أسباب التمكين في هذه الأرض ، والوصول إلى الحضارة والرقي وهذا نابع عندهم من إيمانهم بالقدر ، والناظر إلى واقع المسلمين يجد أنهم استطاعوا أن يحققوا حضارة شهد لهم فيها الجميع .

---

[39] . جامع الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي ، تحقيق ، بشار عواد معروف ، ج4 ، ص248 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م ، حديث رقم 2516. وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقد صحح الحديث الشيخ الألباني .

[40] . القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه ، د عبدالرحمن المحمود ، 447 ، دار الوطن ، الرياض ، ط2 ، 1997م .

[41] . الإيمان بالقضاء والقدر ، محمد بن إبراهيم الحمد ، ص99 ، ط2 ، دار الوطن ، الرياض .



رابعا: الشجاعة والإقدام في جميع المواقف ، فالمؤمن بالقدر لا يجزع ولا يخاف من المصيبة التي تصيبه فينهار ويقعد عن العمل . المسلم يقبل بكل شجاعة وإقدام على العمل في هذا الكون وفق ما يحقق مرضاة الله تعالى مهما نزلت به من

مصائب ، وألمت به من حوادث إيمانا بقدر الله تعالى ، وهذا يساعده في بناء مجتمعه وبناء حضارته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)) [42].

خامسا: الصبر فمن آمن بقدر الله تعالى كان ذلك عونا له على أن يصبر على ما قدره الله تعالى عليه في هذه الحياة الدنيا ، ولا شك أن هذا الصبر يعين المسلم على القيام بدوره في هذا المجتمع ، ومن ثم الإسهام في بناء الحضارة . فالمسلم المؤمن بقدر الله تعالى تجد همته عالية ، وإنتاجه كبير وقد جاء عن بعض السلف الصالح قولهم : ((وجدنا خير عيشنا بالصبر)) [43].

مما سبق يتبين أن العقيدة الإسلامية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم من خلال أصولها وأركانها استطاعت أن تساهم في بناء الحضارة ، والارتقاء البشري في المجتمع الذي يعيشون فيه . فجاءت العقيدة الإسلامية وأمرت المسلم أن لا يشغل تفكيره في عالم الغيب لأنه تبديد لطاقة العقل فيما لا فائدة ولا نفع فيه وفي هذا جاء التوجيه النبوي ، والسبب في ذلك أنه دعا الإنسان إلى تعمير الكون وبناء حضارته .

الخاتمة :

وفي نهاية هذا البحث فتم التوصل إلى النتائج التالية :

أولا : ضرورة توسيع مدلول مصطلح العقيدة الإسلامية ليشمل مصطلحات مهمة مثل : التسخير ، الاستخلاف ، عمارة الكون ، البناء القيمي والحضاري .

---

[42] . صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، حديث رقم 2999 .

[43] . عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، 1 / 94 ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط3 ، 1989م .



ثانيا :الدور الكبير للعقيدة الإسلامية في بناء الحضارة ، فلا يتصور حضارة قائمة بدون عقيدة تقوم على بنائها وتغذيتها .

ثالثا : مصطلح الحضارة يشمل كل نتاج مادي أو معنوي ، ولا يقتصر مصطلح الحضارة على النتاج المادي فقط .

رابعا : الدور الكبير لأركان الإيمان في بناء الحضارة الإنسانية .

خامسا : الإيمان بالله تعالى يسهم في بناء الحضارة الإنسانية من خلال :

- تقرير مبدأ المساواة بين البشر .
- تقديم التصور الشامل والصحيح عن الكون والإنسان والحياة .
- الطمأنينة والسكينة التي يشعر بها الإنسان .

سادسا : الإيمان بالملائكة يسهم في بناء الحضارة الإنسانية من خلال شعور المسلم بالسكينة والطمأنينة ، حيث وكل الله تعالى ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار لحفظ الإنسان ، وملائكة رقباء عليه .

سابعا : الإيمان بالكتب السماوية المنزلة على أنبياء الله تعالى تسهم كذلك في بناء الحضارة من خلال ما تقدمه هذه الكتب من تنظيمات وتشريعات ضرورية لبناء الحضارة .

ثامنا : الإيمان باليوم الآخر والدور الذي يقدمه في بناء الحضارة من خلال الجدية والعمل الصحيح في هذه الحياة ، لأن الباعث الحقيقي على العمل هو الإيمان باليوم الآخر الذي يجازي الله فيه الطائعين ، ويعاقب العاصين .

تاسعا : الإيمان بالقدر مهم في بناء الحضارة الإنسانية من خلال الإيمان بقانون السببية الذي يبعث على العمل والأخذ بالأسباب .

قائمة المصادر والمراجع .



1- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1408 هـ - 1988 م .

2- أديان الهند الكبرى ، الدكتور أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 11 ، 2000 م .

3- الإيمان بالقضاء والقدر ، محمد بن إبراهيم الحمد ، ط2 ، دار الوطن ، الرياض .

4- الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة ، صالح بن فوزان الفوزان ، بدون طبعة وتاريخ .

5- تهذيب اللغة ، : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ج2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 2001م .

6- جامع الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي ، تحقيق ، بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م .

7- الحضارة الإسلامية ، أحمد عبد الرحيم السايح ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السنة العاشرة – العدد الثالث- ذو الحجة 1397هـ - نوفمبر تشرين ثاني 1977م .

8- دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية ، عبد المجيد عمر النجار ، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، العدد الأول ، 1995 م.

9- ديوان الطلاسم ، إيليا أبو ماضي ، الطلاسم ، بدون طبعة وتاريخ .

10- السيرة النبوية – عرض وقائع وَتحليل أحداث ، علي محمد محمد الصلابي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، السابعة، 1429 هـ - 2008 م ، 22/1 .

11- شروط النهضة ، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي ، دار الفكر ، سوريا ، 1986م .

12- شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط 1 ، 2003م .

13- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الأولى، 1422هـ .

14- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.



15-عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، 1 / 94 ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط3 ، 1989م .

16- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، الدكتور سعدي أبو حبيب ، دار الفكر ، سورية ، ط2 ، 1988 م .

17- قصة الحضارة ، ويليام جيمس ديورانت ،تقديم: الدكتور محيي الدّين صابر،ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ، 1988 م .

18- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه ، د عبدالرحمن المحمود ، دار الوطن ، الرياض ، ط2 ، 1997م .

19-الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، 1/ 55، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3، 1997م .

20- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1414هـ .

21-مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص71 ، دار الشروق .

22- المسند ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، مسند أبي هريرة رضي الله عنه ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 2001م .

23- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، المكتبة العلمية ، بيروت.

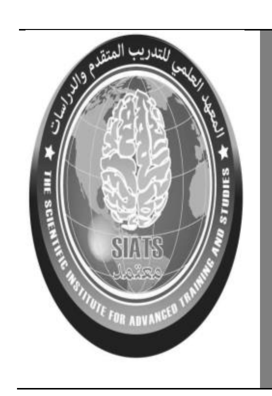
24-مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، 1979م .

25- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد بن خلدون ، تحقيق وتقديم وتعليق : عبدالسلام الشدادي ، ط1 ، الدار البيضاء ، 2005م .



26- الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) ، عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، تقديم : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، نشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1422هـ .





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد4 ، العدد1، كانون الثاني، يناير 2018م.

e-ISSN: 2289-9065

(THE HOLY QURAN AND ITS ROLE IN THE TREATMENT OF CONTEMPORARY SOCIAL DISEASES)

القرآن الكريم ودوره في علاج الأمراض الاجتماعية المعاصرة

د/ سعيد بن ناصر آل مقبل

جامعة الطائف/ كلية الشريعة والأنظمة

المملكة العربية السعودية

SSAAMM66@GMAIL.COM

1439هـ – 2018م



ARTICLE INFO
Article history:
Received 22/9/2017
Received in revised form711//2017
Accepted 5/12/2017
Available online 15/1/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The greatest purpose of downloading the Quran is to take people out of the darkness to the light, and may ponder over its Verses and then out of that method of governing human life in all affairs, and the Quran came to this true approach that preserves the society of sensory and moral diseases

In this research: (The Holy Quran and its Role in Treatment of Contemporary Social Diseases)

It will be clear to us how the Quran has surrounded the society with an insurmountable fence of safety for those who took it and walked on its approach, and it also shows the methods and methods indicated by the Holy Quran in the treatment of the diseases of the societies as a whole and in this proof of the validity of the Quran for all times and places

: Search according to the following plan

Introduction

First Research: The Holy Quran Method in prevention of contemporary social diseases. It has three requirements

First requirement: prevention of heart diseases

Second requirement : Prevention of crime, cruelty and drugs

Third requirement :Prevention of prohibited transactions and usury (Riba)

Second Research: The Method of the Holy Quran in the recitation of the social diseases and the prevention and warning of them. It included the following two requirements :

First requirement: Warnings of worldly punishments

Second requirement: Warning of hereafter punishments.

Third Research: The Holy Quran Method in Treatment of Social Illnesses in the Light of the Holy Quran. It included the following four requirements:



First requirement : Opening hope way by repentance and exhortation

Second requirement : Call to Allah with wisdom and Promotion of Virtue and Prevention of Vice

Third requirement: Treatment by education and good example in Society

Fourth requirement: Treatment by Establishing Legitimate Borders



الملخص

الحمد لله رب العالمين الذي شرع لنا ديناً قويماً وهدانا صراطاً مستقيماً وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة فله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وسراً وعلانيةً ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد

فإن المقصد الأعظم من إنزال القرآن إخراج الناس من الظلمات النور، وليدبروا آياته ثم الخروج من ذلك بمنهج يحكم الحياة البشرية في جميع شئونها ، ولقد جاء القرآن بهذا المنهج القويم الذي يحفظ المجتمع من الأمراض الحسية والمعنوية

وفي هذا البحث: (القرآن الكريم ودوره في علاج الأمراض الاجتماعية المعاصرة)

سيتبين لنا كيف أن القرآن أحاط المجتمع بسياج منيع من الأمان لمن أخذ به وسار على نهجه، ويتضح -أيضا- الطرق والأساليب التي دلّ عليها القرآن الكريم في علاج أمراض المجتمعات قاطبة، وفي هذا إثبات لصلاحية القرآن لكل زمان ومكان، ففيه هداية ونجاة وسعادة الثقلين جميعا، ويتضح هذا من خلال عناوين البحث في الخطة التالية:

المقدمة

المبحث الأول : منهج القرآن الكريم في الوقاية من الأمراض الاجتماعية المعاصرة.

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الوقاية من أمراض القلوب .

المطلب الثاني : الوقاية من الجرائم والفواحش والمخدرات .

المطلب الثالث : الوقاية من المعاملات المحرمة والربا .

المبحث الثاني : منهج القرآن الكريم في تقبيح الأمراض الاجتماعية والتنفير والتحذير منها .

وشمل المطلبين التاليين:

المطلب الأول: التحذير من العقوبات الدنيوية .



المطلب الثاني: التحذير من العقوبات الأخروية.

المبحث الثالث : منهج القرآن الكريم في علاج الأمراض الاجتماعية المعاصرة .

وشمل أربعة مطالب :

المطلب الأول : فتح باب الأمل بالتوبة النصوح والحث عليها .

المطلب الثاني : الدعوة إلى الله بالحكمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المطلب الثالث : العلاج بالتربية والقدوة الحسنة في المجتمع .

المطلب الرابع : العلاج بإقامة الحدود الشرعية .



مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي شرع لنا ديناً قويماً وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، فله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وسراً وعلانيةً، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد :

فإن المقصد الأعظم من إنزال القرآن إخراجُ الناس من الظلمات إلى النور، يقول عز وجل:

{الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [إبراهيم:1]، وليدّبرُّوا آياته ثم الخروج من ذلك بمنهج يحكم الحياة البشرية في جميع شؤونها قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } [ص: 29]

فكلام الله عز وجل يهدي للتي هي أقوم، فمن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تنتهي عجائبه، من قال به صدق ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم،

يقول الله تعالى: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } [الإسراء: 9]، ولقد جاء القرآن بالمنهج القويم الذي يحفظ المجتمع من الأمراض الحسية والمعنوية، ومن ذلك التركيز على حفظ الضرورات الخمس: الدين والنفس والعرض والعقل والمال، وإيضاح السبُل التي تُحفظ بها، وسد كل الطرق التي تفضي إلى انتهاك تلك الضرورات أو انتقاص شيء منها. ففي حفظها ورعايتها حفظ للمجتمع وصيانته من الأمراض والفساد والخراب والفوضى .

فالقرآن الكريم جلّى لنا طرق وقاية المجتمع من الوقوع فيما فيه نقص أو ضرر أو فساد، وهذا من أنفع الوسائل للسلامة من المكاره؛ لأن التخلص من الضرر بعد الوقوع فيه أصعب على العبد والمجتمع، كما وضح السبُل التي يتخلص بها المجتمع من الأمراض الاجتماعية والفساد، وكيفية علاج المرض إذا وقع .



وفي هذا البحث: **(القرآن الكريم ودوره في علاج الأمراض الاجتماعية المعاصرة)**

سيتبين لنا كيف أن القرآن أحاط المجتمع بسياج منيع من الأمان لمن أخذ به وسار على نهجه، بل إن منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوة أقوامهم وقاية لهم من عذاب الله تعالى وتحذيراً لهم من مغبة العصيان والكفر بالله . ويتضح -أيضا- الطرق والأساليب التي دلّ عليها القرآن الكريم في علاج أمراض المجتمعات قاطبة، وفي هذا إثبات لصلاحية القرآن لكل زمان ومكان، ففيه هداية ونجاة وسعادة الثقلين جميعاً .

ونجد في هذا العصر الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي المختلفة والمتعددة التي تقرب وتطور علاقة الإنسان بالإنسان وتفتح الثقافات على بعضها ويتم من خلالها تبادل العلوم والمعارف، وينكشف العالم كأنما يُنظر إليه في صفحة واحدة، فقد تجاوزت تلك الوسائل حدود المكان وتخطت اختلاف اللغات، ولكل واحدة منها خصائصها ومميزاتها والتي يشترك فيها مئات الملايين من البشر، وتشير إحصاءات عام 2012م أن واحداً من كل سبعة أشخاص من إجمالي سكان العالم يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي. [1]

ولا شك أن لها من الفوائد والايجابيات الكثير على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والإعلامي، ومع ذلك فإن الإغراق في استخدامها يجعل لها من السلبيات وعليها من الملاحظات ما يزاحم كثيراً من القيم والمُسَلّمَات في المجتمع، مما يحولها إلى أمراض اجتماعية، مثل: التفكك الاجتماعي، وهدر الوقت، ونشر الأفكار الهدامة والشائعات والأكاذيب، وإثارة المشاكل الأسرية والزوجية، وتعطيل حقوق المسلمين بعضهم على بعض، ومنها ما ولّدته من حواجز بين الأبناء والآباء، وأخرى مالية وأخلاقية وفكرية وغيرها.

أهمية الموضوع وأهدافه :

تكمن أهمية الموضوع في أمور عدة، منها :

1. كثرة الآيات التي تتحدث عن هذا الموضوع .

1() انظر: جمال سند السويدي ، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية ص31.



2. أن القرآن الكريم دعا إلى حفظ المجتمعات ووقايتها .

3. ضرورة البعد عن كل ما فيه ريبة كما جاء في حديث النعمان بن بشير عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال " ... ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه "[(2)]

4. أن القرآن الكريم جاء بسدّ الذرائع المفضية إلى ما فيه ضرر.

5. بيان أن الابتعاد عن سلوك الطرق المؤدية إلى معصية نجاة للعبد وحفظ للمجتمع.

6. القيام بالواجبات الشرعية وقاية للنفس والأهل والرعية والمجتمع من العقوبات الدنيوية ومن العقوبات الأخروية.

7. الكشف عن مسالك الشيطان في إغواء الإنسان وإهلاك المجتمع .

8. تجلية عظمة الإسلام وعالميته للعالم بحلوله الناجعة للأزمات والكوارث والأمراض التي تتعرض لها المجتمعات في أي حين، وأنه صالح لكل زمان ومكان .

9. إيضاح منهج القرآن الوقائي والعلاجي لأمراض المجتمع المعاصرة .

خطة البحث

تشمل خطة البحث على مقدمة ، وثلاثة مباحث، وخاتمة .

- **المقدمة**

المبحث الأول : منهج القرآن الكريم في الوقاية من الأمراض الاجتماعية المعاصرة.

وتحت هذا المبحث عدة مطالب :

المطلب الأول : الوقاية من أمراض القلوب .

المطلب الثاني : الوقاية من الجرائم والفواحش والمخدرات .

المطلب الثالث : الوقاية من المعاملات المحرمة، والربا .

المبحث الثاني : منهج القرآن الكريم في تقبيح الأمراض الاجتماعية، والتنفير والتحذير منها .

2() أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 20)، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (52)، ومسلم في صحيحه (3/ 1219) كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، رقم(107) .



المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الوقاية من الأمراض الاجتماعية المعاصرة.

نجد أن القرآن الكريم سدّ الطرق المفضية إلى كل محرم، أو مرض حسي، أو معنوي؛ بالنهي عن الوقوع في أسبابه، والاقتراب منه؛ حتى لا يؤدي به إلى مواقعته وارتكابه. قال ابن القيم: لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها؛ فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قَصْد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل؛ فإذا حرم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه



يحرمها ويمنع منها تحقيقاً لتحريمه وتثبيتاً له ومنعاً أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم، وإغراء للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء. (3)

المطلب الأول : الوقاية من أمراض القلوب .

القلب مِلِك الجوارح إذا صلح صلحت، وإذا فسد فسدت، فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله (4)، قال الرسولρ: " ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب "(5)

والقلب محل نظر الرب –جل وعلا- وبه تتحقق عبادات كثيرة وقربات جليلة، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول اللهρ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(6). ولذا اهتم القرآن الكريم بسلامة القلب وطهارته؛ ليبقى مطمئناً بالإيمان متحصناً بالقرآن فلا يؤثر فيه شبهة ولا شهوة قال تعالى: {وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 87 – 89] ، قال ابن القيم فالقلب السليم: هو الذى سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة ومحبة وتوكلا وإنابة وإخباتاً وخشية ورجاء. وخلص عمله لله. (7)

وهناك من الأمراض الكثيرة التي تفتك بالقلب؛ فيضعف بها الإيمان وربما يضمحل، وينقص بسببها التوحيد وربما يذهب، وأخطرها وأشدها فتكاً مرض الشرك والشك والبدع فبها يفسد قلب المرء ويضيع دينه ويُران على قلبه فيستحق أن يحجب في الآخرة قال تعالى: { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين:14، 15].

3() ابن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين (3/ 108) .

4() انظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 5) .

5() أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 20)، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (52)، ومسلم في صحيحه (3/ 1219) كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، رقم(107)

6() أخرجه مسلم في صحيحه (4/ 1987) كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، رقم(34)

7() انظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 7)



ويحصل في الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي دعوة إلى الانحراف الفكري والعقدي، ففي دراسة ميدانية للمجتمع السعودي تبين أن هناك اشتراكات لمواقع دينية غير إسلامية وإن كانت بنسب قليلة إلا أنه يُخشى تناميها، وقد جاءت تلك المواقع على النحو التالي:29,□% نصرانية، و□,10%يهودية، و□,06% بوذية، و12,□% هندوسية، و□,12% اللادينية.(8) وصدق الله: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} [البقرة: 109]

وإذا حلّ الانحراف العقدي في القلب وتلبس بالشرك والبدع كان مرتعاً لكل مرض، فلا ذنب أعظم من الشرك فيتجرأ على الحدود، وينتهك الحرمات، ويجاهر بذلك في المجتمع ولا يبالي، ويشيعه بين الناس ولا يكترث، كما صور لنا القرآن الكريم هذه الصورة بقوله تعالى: {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المدثر: 43 – 46]

فإذا استحكم المرض في القلب ظهر على الجوارح فيسري إلى غيره من أفراد المجتمع ثم يتناقله الناس فيعمّ المجتمع قاطبة، ولذا قرن الله بين القلب والجوارح في كثير من الآيات قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: 36] .

وحتى نعلم كيف نحفظ ديننا مطمئنةً به قلوبُنا نتأمل دعاء إبراهيم عليه السلام بأن يباعده وبنيه عن الشرك؛ فلا يراه ولا يسمعه ولا يقترب منه يقول تعالى ذكره: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: ٣٥]، قال ابن جرير: يقال منه: جَنَبْته الشرّ فأنا أَجْنُبُه جَنْبا وجَنَّبته الشر، فأنا أجَنِّبُه تجنيبا، وأجنبته ذلك فأنا أُجْنِبه إجنابا، ...ومعنى ذلك: أبعدْني وبنيّ من عبادة الأصنام . ...، عن مجاهد قال: فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده ، قال: فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته. (9)

8() انظر: محمد المنشاوي، جرائم الإنترنت في المجتمع السعودي ص 253، وعدد عينة البحث (9891) فرداً .

9() ابن جرير الطبري، جامع البيان (17 / 17)



وأثنى الله على مجتنبي عبادة الطاغوت المنيبين لله، وبين أن لهم البشرى، وهي ما يسرهم عند ربهم في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ } [الزمر: ١٧]. (10) وأمر اجتناب الأوثان قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج: ٣٠].

وإذا خاض الخائضون واستهزأ المستهزئون وجحد الجاحدون فاعتزل مجالسهم، ولا تقعد معهم، فبجلوسك معهم تكون مثلهم في مخالفة أمر الله، قال تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} [النساء: ١٤٠] ، وقال: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: ٦٨]

ومما يحفظ الدين وتُقام به أحكامُه وحدُودُه البقاء تحت إمام واحد في الإمامة الكبرى والاجتماع عليه، وذلك سدا لذريعة التفرق والاختلاف والتنازع، وطلباً لاجتماع القلوب وتأليف الكلمة، فما ابتليت به المجتمعات اليوم من ضياع أحكام الدين إلا بسبب التفرق والاختلاف، قال ابن القيم: حِفْظُ المجتمعِ من الفساد واختلال الأمن: نهيه عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة – وإن ظلموا أو جاروا– ما أقاموا الصلاة، سداً لذريعة الفساد العظيم والشر الكثير بقتالهم كما هو الواقع؛ فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعاف أضعاف ما هم عليه. (11)

ونجد في هذا العصر حال الأمة الإسلامية الذي ضعف تمسكها بدينها، وقل تطبيق أحكامه مع كثرة البدع، وذلك بسبب التفرق والاختلاف، قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران: ١٠٥ – ١٠٦]

10() انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (5/ 255)

11() ابن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين (3/ 126).



أورد ابن جرير في تفسيرها بسنده عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قوله: "ونحو هذا في القرآن أمر الله –جل ثناؤه– المؤمنين بالجماعة فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله". (12)

وقال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]. ذكر ابن جرير –رحمه الله– بسنده عن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال : (خط لنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يومًا خطًّا، فقال : هذا سبيل الله، ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطًا، فقال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها، ثم قرأ هذه الآية : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}) (13)

وقد نهى الله عز وجل عن التنازع، فقال عز وجل: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦] ، وتوعد سبحانه الذين يخرجون عن سبيل المؤمنين، فقال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء: ١١٥].

ولعلنا نقتصر على بعض أمراض القلوب التي تسري إلى المجتمعات فتمرضها، لنتعرف على الارتباط بين عمل القلب وظهوره على الجوارح ومن ثَم انتشاره في المجتمع، ومن ذلك سوء الظن بالمسلمين قال ابن حجر: قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}[الحجرات: ١٢]، ومن حَكَم بِشَرٍّ على غيره بمجرد الظن حمله الشيطان على احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في إكرامه، وإطالة اللسان في عرضه وكل هذه مهلكات. وقد «قال: ρ لمن أبصره يكلم زوجته صفية...: إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا»(14) فأشفق عليهما فحرسهما وعلى أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة؛ حتى لا يتساهل العالم الورع في أحواله ظنا منه أنه لا يظن به إلا الخير

12() ابن جرير الطبري، جامع البيان (7/ 93).

13() أخرجه أحمد في مسنده (4/ 155) برقم (4142)،والترمذي في سننه (4/ 635) برقم (2454)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي .

14() أخرجه البخاري في صحيحه (3/ 49) رقم (2035)، باب هل يخرج المعتكف لحاجة ، ومسلم في صحيحه (1712/4)، رقم(24) ، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به.



إعجاباً منه بنفسه، وهي زلَّة عظيمة؛ إذ أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا بد له من منقص ومبغض، فتعين الاحتراز عن تهمة الأعداء والأشرار فإنهم لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر، وكل من رأيته سيئ الظن بالناس طالبا لإظهار معايبهم فاعلم أن ذلك لخبث باطنه وسوء طويته، فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه، فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب وفيها تنبيه على باقيها.(15)

وعن أبي هريرة– رضي الله عنه– أنّ رسول الله ρ قال: «إيّاكم والظنّ ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث، ولا تحسّسوا ولا تجسّسوا ، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا») (16)

ومن الأمراض الاجتماعية المتعلقة بالقلوب والتي أشار لها الحديث السابق داء الحسد ولذا كان مما يستعاذ بالله منه قال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ }[الفلق: ١ – ٥]، فالحسد معول هدم للأمم ومنبع الشرور العظيمة ومفتاح العواقب الوخيمة للمجتمعات. قال معاوية رضي الله عنه: كلّ الناس أقدر على رضاه إلّا حاسد نعمة فإنّه لا يرضيه إلّا زوالها، ولذلك قيل:

كلّ العداواتِ قد تُرْجَى إمَاتَتُها ... إلّا عداوةَ من عاداك عن حسدِ (17)

وجميع أمراض القلوب لها تأثير على المجتمع في تفككه وخرابه وتدني مستوى أخلاق أفراده.

المطلب الثاني : الوقاية من الجرائم والفواحش والمخدرات .

من أخطر أمراض المجتمعات الاعتداء على الأرواح البريئة، وسفك الدماء المعصومة، وانتهاك المحرمات، والوقوع في الفواحش، وارتكاب الزنا، وفساد العقول بالمخدرات والخمور .

15() الزواجر عن اقتراف الكبائر (1/ 143) .

16() أخرجه البخاري في صحيحه (7/ 19) رقم(5143)، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، ومسلم في صحيحه (4/ 1985) رقم(28)، باب تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها .

17() الغزالي، إحياء علوم الدين (3/ 189)



ولعل بداية الكثير من تلك الجرائم التأثر بما يُطْرَح ويُعرض في مواقع الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، فتهوّن فعل الجريمة وتعلم كيف ارتكابها، وفي دراسة أن سبب ارتياد مواقع الجريمة المنظمة إنما هو فضول بنسبة 44,7%.[18] وفي دراسة أخرى أن نسبة 23,9% تعرضوا لمنظمات تنشر أفكار ومبادئ متطرفة ودعوات تخريب وقتل[19]. والله تعالى يقول: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } [النساء: ٢٩] ، قال القرطبي: وأجمع أهل التأويل على أن المراد بهذه الآية النهي أن يقتلَ بعضُ الناس بعضاً. ثم لفظها يتناول أن يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل في الحرص على الدنيا وطلب المال بأن يحمل نفسه على الغرر المؤدي إلى التلف. ويحتمل أن يقال: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ } في حال ضجر أو غضب، فهذا كله يتناول النهي. [20]

ومن حرص الشارع على الأنفس المعصومة نهي الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُتَعَاطَى السيفُ مسلولاً[21]، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى الإصابة بمكروه، أو ينزغ الشيطان في يده فيقع المحذور ويقرب منه.

وقاتل النفس المعصومة كأنما قتل جميع الناس، قال تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: ٣٢]، وقد تناولت الصحف العربية والأجنبية حوادث انتحار لبعض مستخدمي الفيسبوك من الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 14-25 عاماً. [22]

ومن الأمراض المهلكة التي فتكت بكثير من المجتمعات: الزنا، قال ابن عاشور: وعناية الإسلام بتحريم الزنا لأن فيه إضاعة النسب وتعريض النسل للإهمال إن كان الزنا بغير متزوجة وهو خلل عظيم في المجتمع، ولأن فيه إفساد النساء على أزواجهن والأبكار على أوليائهن، ولأن فيه تعريض المرأة إلى الإهمال بإعراض الناس عن تزوجها، وطلاق زوجها إياها، ولما ينشأ عن الغيرة من الهرج والتقاتل، ...فالزنا مئنة لإضاعة

18() انظر: محمد المنشاوي، جرائم الإنترنت في المجتمع السعودي ص 221، وعدد عينة البحث (9891) فرداً .

19() انظر: جمال سند السويدي ، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية ص88، ونتائج بحث: نوال قيسي، جرائم الإنترنت الموجهة ضد مستخدمي الإنترنت، حيث كانت العينة (1055) مستخدم

20() القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (5 / 156)

21() أخرجه أبو داود في سننه (4/ 231)، رقم(2588) والترمذي في سننه (4/ 464) رقم(2163) ، باب في النهي أن يتعاطى السيف مسلولا. وصححه الألباني .

22() انظر: جمال السويدي ، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية ص76 .



الأنساب ومظنة للتقاتل والتهارج فكان جديراً بتغليظ التحريم قصداً وتوسلا. ومن تأمل ونظر جزم بما يشتمل عليه الزنا من المفاسد ولو كان المتأمل ممن يفعله في الجاهلية فقبحه ثابت لذاته، ولكن العقلاء متفاوتون في إدراكه وفي مقدار إدراكه، فلما أيقظهم التحريم لم يبق للناس عذر. (23)

ويحرص أعداء الإسلام على تحقق تلك المفاسد عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت بنشر الرذيلة وتحسينها، وإشاعة الفاحشة وتهوينها، فيقدر عدد المواقع الإباحية بـ(70000) موقع، وبنسبة 15% من مستخدمي الإنترنت البالغ عددهم (9600000) مليون شخص تصفحوا المواقع الإباحية في شهر أبريل عام 1998م . وبنسبة53,7% من مرتكبي الجرائم الجنسية في السعودية كان لهم اهتمام بالأفلام الجنسية ووجهت لهم دعوات من المواقع الإباحية. (24) ومنهج القرآن النهي عن القرب من تلك المواقع حتى لا يقع في أوحالها قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأنعام: ١٥١]

قال الشنقيطي: كذلك حافظ القرآن العظيم على أنساب الناس، فمنع الزنا صيانة للأنساب، وتطهيرا للفرش من التقذير؛ لئلا تتقذر فرش المجتمع، وتختلط أنسابه؛ ولذا قال: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: ٣٢]. (25)

وحتى لا يقع المجتمع في حمأة الرذيلة والتقحّم في الفواحش وارتكاب الزنا سدّ الطرق المفضية إلى ذلك فأمر بغض البصر قال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} الآية، إلى أن قال تعالى: {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} [النور: ٣٠ – ٣١] قال ابن القيم: فمنعهن من الضرب بالأرجل وإن كان جائزا في نفسه لئلا يكون سبباً إلى سمع الرجال صوت الخلخال فيثير ذلك دواعي الشهوة منهم إليهن. كما نهى المرأة إذا خرجت إلى المسجد أن تتطيب أو تصيب بخورا، وذلك لأنه ذريعة إلى ميل الرجال

23() ابن عاشور، التحرير والتنوير (15/ 90)

24() انظر: محمد المنشاوي، جرائم الإنترنت في المجتمع السعودي ص 221، وعدد عينة البحث (9891) فرداً . و انظر: نتائج بحث: جرائم الإنترنت الموجهة ضد مستخدمي الإنترنت.

25() محمد الأمين الشنقيطي، العذب النمير (2/ 181).



وتشوفهم إليها، فإن رائحتها وزينتها وصورتها وإبداء محاسنها تدعو إليها؛ فأمرها أن تخرج تفلة، وأن لا تتطيب، وأن تقف خلف الرجال، وأن لا تسبّح في الصلاة إذا نابها شيء، بل تصفق ببطن كفها على ظهر الأخرى كل ذلك سداً للذريعة وحماية عن المفسدة. ونهى المرأة أن تسافر بغير محرم، وما ذلك إلا أن سفرها بغير محرم قد يكون ذريعة إلى الطمع فيها والفجور بها.

وأبطل الشارع أنواعاً من النكاح الذي يتراضى به الزوجان سداً لذريعة الزنا؛ كالنكاح بلا ولي؛ وتحريم نكاح التحليل الذي لا رغبة للنفس فيه في إمساك المرأة واتخاذها زوجة بل له وطر فيما يقضيه بمنزلة الزاني في الحقيقة وإن اختلفت الصورة، ... فإذا تدبرت حكمة الشريعة وتأملتها حق التأمل رأيت تحريم هذه الأنواع من باب سد الذرائع، هي من محاسن الشريعة وكمالها.[26]

وحرم الإسلام الخمر لتأثيرها على العقل مناط التكليف فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [المائدة: ٩٠] قال الشنقيطي: فالخمر أم الخبائث، ولمحافظة دين الإسلام على العقول حرم كل ما يضر بالعقل، فحرم شرب الخمر، وأوجب النبي – صلى الله عليه وسلم – الحد في شربها.[27] كما نهى عن التداوي بالخمر وإن كانت مصلحة التداوي راجحة على مفسدة ملابستها، سداً لذريعة قربانها واقتنائها ومحبة النفوس لها، فحسم عليها المادة حتى في تناولها على وجه التداوي، وهذا من أبلغ سد الذرائع.[28]

وكم شتتت المخدرات من أسر وفرقت من مجتمع وقطعت من صلات ومزقت من صداقات لانشغال المتعاطي بما أهمه وأشغل باله، فيضيّع نفسه وأهله وعمله، وربما أقعدته بمرض وعطلت جميع مقوماته وقدراته فكان كَلّاً على المجتمع، قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: ٩١]، قال ابن جرير: إنما يريد لكم الشيطان شرب الخمر والمياسرة بالقداح، ويحسن ذلك لكم، إرادة منه أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في شربكم الخمر ومياسرتكم

26() بتصرف: ابن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين (110/3– 123).

27() محمد الأمين الشنقيطي، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (2/ 181).

28() ابن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين (3/ 120–121).



بالقداح، ليعادي بعضكم بعضا، ويبغض بعضكم إلى بعض، فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان، وجمعه بينكم بأخوة الإسلام.(29) وقد ذكرت الدراسة أن هناك مواقع متخصصة لتجارة المخدرات وكيفية تعاطيها وترويجها وصناعتها، وأن نسبة 2,9% تم تعرضهم للدعوات من المواقع الخاصة بتجارة المخدرات والترويج لها(30).

المطلب الثالث : الوقاية من المعاملات المحرمة والربا .

المال قوام الحياة وكثير من الأمراض الاجتماعية تقع بسبب المعاملات المالية كالربا الذي شدد القرآن الكريم على تحريمه لما له من أضرار أخلاقية؛ فيُكسب صاحبه البخل والشح، وغيرها، ناهيك عن التضخم الاقتصادي، ووضع مال المسلمين بين أيدي خصومهم، بالإضافة إلى أضراره الاجتماعية فيسبب العداوة والبغضاء بين الأفراد والجماعات من تفكك وطبقية ومحو التكافل والمساعدة ويحدث التقاطع والفتنة، لاسيما في عصر سهل التعامل به وببعض البيوع المنهي عنها عبر الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى تحويل الأرصدة وغسيل الأموال حيث يقدر المتخصصون المبالغ التي يتم تنظيفها في العالم سنوياً بحوالي (400) أربعمائة مليار دولار، ومن المتوقع أن ينفق الأمريكيون ما يزيد على(600) مليار دولار سنوياً في أندية القمار(31). قال الله عز وجل: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}[البقرة: ٢٧٦]، والتعامل بالربا يدلّ على ضعف التّقوى أو عدمها، وهذا يؤدي إلى عدم الفلاح ويوقع في خسارة الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[آل عمران: ١٣٠] .

29() ابن جرير الطبري، جامع البيان (10/ 565).

30() انظر: محمد المنشاوي، جرائم الإنترنت في المجتمع السعودي ص77، وجرائم الإنترنت الموجهة ضد مستخدمي الإنترنت، حيث كانت العينة (1055)مستخدم .

31() انظر: محمد المنشاوي، جرائم الإنترنت في المجتمع السعودي ص 69-73، وعدد عينة البحث (9891) فرداً . وقد تتزايد هذه المليارات نظراً أن 70% من الشركات تستخدم التقنيات الاجتماعية، ونحو 90% منها أقرت أنها حققت مكاسب من استخدام هذه التقنيات . انظر: جمال سند السويدي ، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية ص77 .



ومن الجرائم المالية التي تفتك بالمجتمع السرقة قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: ٣٨] ، فالسرقة تهدر الأموال وتضيع الحقوق وتخل بالأمن وتسبب الفوضى في المجتمع؛ فيتسرب هاجس الخوف لأفراده؛ فينعدم الاستقرار والطمأنينة وتحصل التهم والمنازعات مما يؤدي إلى التقاطع والتهاجر، كما حرم الشارع الحكيم أكل أموال الآخرين بأي طريقة محرمة وباطلة، قال تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}[البقرة: ١٨٨] ، قال الواحدي: أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل، قال ابن عباس: يعني: باليمين الباطلة والكاذبة يقطع الرجل بها مال أخيه المسلم.

والأكل بالباطل على وجهين: أحدهما: أن يكون على جهة الظلم، من نحو الغصب والخيانة والسرقة، والثاني: على جهة الهزء واللعب، كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك. (32)

المبحث الثاني : منهج القرآن الكريم في تقبيح الأمراض الاجتماعية والتنفير والتحذير منها .

الدين الإسلامي لم يأمر البشرية بشيء إلا وفيه مصلحتها وسعادتها، في الدنيا والآخرة، ولم ينهها عن شيء إلا فيه شقاوتها وخسارتها في الدنيا والآخرة ولقد بغّض القرآن الكريم الأمراض الاجتماعية وقبحها؛ لتشمئز وتنفر منها النفوس السوية، وترفضها القلوب الحية بحيث يبغضها الفرد ويأباها، وهذا من أساليب القرآن الكريم في تقريب المفاهيم ليعيها المخاطب ويفهما، مما يدعوه إلى الانقياد إلى أمر الله وحكمه .

المطلب الأول: التحذير من العقوبات الدنيوية .

نجد أن القرآن الكريم يحذر من الأمراض الاجتماعية ويقبحها، ومثال ذلك: الربا فجعل المتعامل به محارباً لله ورسوله ρ، قال الله عز وجل: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ}[البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩] ، وآكل الربا يُوقع صاحبه في اللعنة، عن جابر قال: (لعن رسول ρ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه)، وقال: (هم سواء). (33)

32() الواحدي، التفسير الوسيط (1/ 289)

33() أخرجه مسلم في صحيحه (3/ 1219) رقم(106) باب لعن آكل الربا ومؤكله، وبنحوه أحمد في مسنده (10/4)، وابن ماجه في سننه (3/ 381) رقم (2277) ، والنسائي في السنن الكبرى (8/ 340) رقم (9334) .



وقد يكون الربا سبباً في حرمان آكله من الطيبات، كما أن فيه مشابهة لأعداء الله اليهود في خُلق مشين، قال الله تعالى: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}[النساء:١٦٠ – ١٦١]

ومن الأمراض الاجتماعية التي قد تحصل عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي: الوقوع في أعراض المسلمين والنيل منهم وغيبتهم، فقبح القرآن الغيبة غاية التقبيح، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ }[الحجرات: ١٢]، قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره للمؤمنين أيحب أحدكم أيها القوم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتا، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه، لأن الله حرم ذلك عليكم، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فاكرهوا غيبته حيا، كما كرهتم لحمه ميتا، فإن الله حرم غيبته حيا، كما حرم أكل لحمه ميتا.(34)

قال الشنقيطي: ثم بين للإنسان خبث عرض أخيه وقال له: كأنك إن أكلت عرض أخيك فأكلت لحمه، ووقعت في عرضه كأنك أكلته ميتا بعد أن أنتن، وصار فيه الدود، وصرت تبتلع لحمه، وهذا غاية التقبيح من الوقوع في أعراض الناس، والكلام فيهم بالغيبة.(35)

وأيضاً نرى أن الإسلام ينهانا عن الإسراف والتبذير الذي صار في هذا الزمان سمة لبعض المجتمعات، ومن هنا نجد القرآن يذم المبذرين بأبشع أنواع الذم فيجعلهم إخوة للشياطين قال: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا }[الإسراء: ٢٦ – ٢٧]

قال السعدي: لأنَّ الشيطان لا يدعو إلا إلى كلِّ خصلة ذميمة، فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك، فإذا عصاه دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها ويمدح عليه، كما في

34() ابن جرير الطبري، جامع البيان (22/ 308)

35() محمد الأمين الشنقيطي، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (2/ 541).



قوله عن عباد الرحمن الأبرار: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}[الفرقان: 67].[36] ومن أعظم الزواجر نفي محبة الله للمسرفين والمبذرين: قال تعالى: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[الأنعام:141].

المطلب الثاني: التحذير من العقوبات الأخروية.

بيّن القرآن الكريم العقوبة الأخروية لأمراض المجتمع ونفّر منها، فنجد أنه شبَّه آكل الربا بالمجنون الذي لا يحسن من الأمور شيئاً، ويتصرف ببلادة وبلاهة بقوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}[البقرة: ٢٧٥]

ومن منهج القرآن أن يبين لنا سننه في إهلاك الأمم الجاحدة والعاصية والمسرفة التاركة لأمر الله المعرضة عن حكم الله وشرعه عندما تحل بهم الأمراض الاجتماعية والأدواء المجتمعية، قال تعالى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: ٤٠] ، وقال تعالى عن قوم لوطυ: {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (168) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (169) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (171) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (172) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (173) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ } [الشعراء: ١٦٧ – ١٧٤]

ومن الأمراض المعاصرة: الانتحار وما ذاك إلا بسبب ضعف الإيمان بالقضاء والقدر واليوم الآخر والله سبحانه يقول: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[النساء: ٢٩]

وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ρ قال: من تَرَدَّى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبدا، ومن تحسى سما فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا .[37]

ومن أعظم العقوبات في الآخرة الحسرة والندامة، ولقد ذكر لنا القرآن الكريم حسرة وندامة مضيعي أوقاتهم فيما لا ينفع بل في باطل وإعراض عن الحق، فيتمنون الرجوع إلى الدنيا ليستغلوا أوقاتهم قال تعالى: {وَلَوْ

36() السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 456).

37() أخرجه البخاري في صحيحه (7/ 139) ، رقم (5779)، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث، ومسلم في صحيحه (1/ 103) رقم(175) ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.



تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } [الأنعام: ٢٧ – ٢٩] وقال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } [المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠]، والحياة ليست عبثاً وضياع أوقات قال تعالى: {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (113) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (114) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون: ١١٢ – ١١٥].

ومن أقرب الأمثلة لضياع الأوقات شبكات التواصل الاجتماعي والإنترنت وما يصحبها من معاصي ومنكرات ومخالفات شرعية، فنحو 43% ممن تتراوح أعمارهم من 20-29 يقضون أكثر من 10 ساعات أسبوعياً في تصفح مواقع التواصل الاجتماعي. (38)

المبحث الثالث : منهج القرآن الكريم في علاج الأمراض الاجتماعية المعاصرة .

لا شك أن القرآن متضمن أدوية القلب، وعلاجه من جميع أمراضه، ومقومات سلامة المجتمعات وصلاحها كافة، قال الله عز وجل: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}[يونس: 57] وقال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}[الإسراء: 82] . فجعل سبحانه كلامه موعظة للناس عامة، وهدى ورحمة لمن آمن به خاصة، وشفاء تاماً لما فى الصدور، فمن استشفى به صح وبرئ من مرضه، فهو علاج لكل الأمراض الحسية والمعنوية ، وإذا ملئ القلب بالقرآن والإيمان لم يكن للأدواء الفتاكة إليه سبيلا. (39) وكان له نوراً قال الله تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }[الأنعام: 122] . وبالقرآن تحصل طهارة القلب وزكاته التي حرمها المنافقون المرجفون في المجتمعات، قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: 41] .

38() انظر: جمال سند السويدي ، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية ص85 .

39() انظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (15/1، 44)



قال ابن القيم: وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والانابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة والتي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى الى حصول الايمان وذوق حلاوة القرآن.[40]

وقبل الشروع في بيان منهج القرآن العلاجي يجب علينا أن نتعرف على أسباب تلك الأمراض الاجتماعية، فتجنبها والابتعاد عنها من العلاج ، وفيما يلي أهمها :

1- البعد عن الله تعالى وضعف الوازع الديني.
2- الجهل وقلة العلم .
3- ضعف مراقبة الله عز وجل والخوف منه .
4- التأثر بالإعلام ووسائل التواصل المعاصرة ومحاكاة ما يُعرض فيها .
5- تقليد غير المسلمين والتشبه بهم .
6- قصور التربية .
7- ضحالة الثقافة الدينية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية .
8- خلل المجتمع وسوء البيئة المحيطة .
9- الصحبة السيئة والمخالطة الفاسدة .
10- غياب القدوة الصالحة وندرتها.
11- ضعف الدعوة إلى الله وقلة تبصير الناس بأمور دينهم .

40) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (1/ 187)



12- عدم إقامة حدود الله عز وجل وعدم إصدار العقوبات والتعزيرات الرادعة.

المطلب الأول: فتح باب الأمل بالتوبة النصوح والحث عليها .

رحمة الله وسعت كل شيء، ففتح سبحانه باب التوبة لمن زل وغفل فوقع في خطأ وارتكب جُرماً، حتى لا يبقى على خطئه ويصرّ على معصيته ويستمر على فساده، فإصلاحه خير من بقائه متلبساً بمرضه مصراً عليه، ففي هذا حِماية للمجتمع من الأمراض، وحسم لمادة المرض وقطع لنزعة الشرّ، كيف لا وقد وسعت التوبة حتى الكافر، قال تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ}[الأنفال: ٣٨] ، ورحمة الله لا تضيق بالمقبلين وفضله يعمُّ المنافقين إذا تابوا وأنابوا، قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}[النساء: ١٤٥ – ١٤٦]، والأمل مفتوح والرجاء في رحمة الله مرجو، ومن يحول بين العبد وربه ومن يحول بين العبد والتوبة، فلا يأس من مغفرة الله ولا قنوط من رحمته ، يحب توبة التائبين، ويستر على المذنبين، ويطمّع المخطئين في رحمته وجنته .

ورغم عظم ذنب آكل الربا فقد فتح له باب التوبة بأخذ رأس المال والانتهاء من المعاملات الربوية قال تعالى: {وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ }[البقرة: ٢٧٩]، ويغفر الله للعبد زلته ويتجاوز عن هفوته ، إذا تحرّى رحمة الله ولم يصرّ ويجاهر بمعصيته، فيسلك طريق المتقين المصلحين، قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[آل عمران: ١٣٥]، ورغم الذنوب العظيمة التي اقترفها العبد وأثرت أيما تأثير على المجتمع إلا أنه سبحانه فتح له باب التوبة ، قال تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا } [الفرقان: ٦٨ – ٧١]، وعن ابن عباس، أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمدا ρ، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو لحسن، ولو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} ونزل: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا



مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣][41]، فرغم الفساد وإشاعته في المجتمع من قتل وكفر وفواحش وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك والإغراق فيها إلى حد الإسراف إلا أن الله فتح باب التوبة وقَبِلَ عباده .

المطلب الثاني : الدعوة إلى الله بالحكمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إن مرتكبي الجرائم ومقترفي الكبائر بحاجة إلى من يوقظهم من سباتهم، وينبههم من غفلتهم، ويبصرهم من عماهم، ويعلمهم من جهلهم ، لوقوعهم في أعمال تؤثر على المجتمع فتتحول إلى أمراض فتاكة وأدواء قاتلة تقضي على خصائص المجتمع الآمن ومقومات استقراره، فيغدو كالغابة القوي يتسلط على الضعيف، وتضيع الحقوق وتتفكك الأواصر وتُلغى الروابط ، فكم من واقع في معصية ومجاهر بها وداع إليها لا يعي خطورة ما وقع فيه، وجَهِل أثره على المجتمع وغفل عن عظيم جرمه ولم يعلم حكمه، فكان لزاماً دعوته إلى الله بالحكمة واللين ليؤخذ على يده، ويؤخذ بيده إلى النور والصلاح والإصلاح، ولذا كانت الدعوة إلى الله عملا عظيماً ؛ لأنها تؤدي إلى فهم الدين والعمل به، قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[فصلت: ٣٣] ، قال العلّامة ابن القيّم: إذا كانت الدّعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلّها وأفضلها فهي لا تحصّل إلّا بالعلم الّذي يدعو به وإليه، بل لا بدّ في كمال الدّعوة من البلوغ في العلم[42]، وتكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[النحل: ١٢٥] ، وهذا منهج الأنبياء عليهم السلام في دعوة أقوامهم وحرصهم على تطهير المجتمعات من الشرك والأمراض والمعاصي، قال تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ

41() أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 113)، رقم(193) ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

42() ابن القيم، مفتاح دار السعادة (1/ 154)



تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ٨٥ – ٨٦]

وهذا مثال عملي على دعوة الأنبياء بالحكمة ومعالجة الأمراض الاجتماعية عن أبي أمامة: «أن فتى من قريش أتى النبي ρ فقال: يا رسول الله، ائذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه، فقالوا: مَهْ مَهْ، فقال: " ادنه "، فدنا منه قريباً، فقال: " أتحبه لأمك؟ " قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ". قال: " أفتحبه لابنتك؟ ". قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: " ولا الناس يحبونه لبناتهم ". قال: " أفتحبه لأختك؟ " قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: " ولا الناس يحبونه لأخواتهم ". قال: " أتحبه لعمتك؟ ". قال: لا والله يا رسول، جعلني الله فداك. قال: " ولا الناس يحبونه لعماتهم ". قال: " أتحبه لخالتك؟ ". قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: " ولا الناس يحبونه لخالاتهم ". قال: فوضع يده عليه، وقال: " اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه ". قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء».[43]

ومن أساليب الدعوة النصيحة التي يحصل بها الإصلاح ويقوّم الاعوجاج وتحارب الأمراض الاجتماعية، فكانت مهمة رُسُل الله عليهم الصلاة والسلام قال تعالى عن نوح υ: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[الأعراف: ٦٢]، وعن هودυ:{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ }[الأعراف: 68] .

والنصيحة في السر أدعى للقبول منها في العلانية، فليس الغرض التشهير والفضيحة والطعن في المنصوح، فهذا نوح عليه السلام اجتهد في دعوة قومه سراً وجهرا ؛ لما فيها من التلطف والتحبب إليهم. والتلميح والتعريض قد ينفع أكثر من التصريح إذا كان المنصوح لبيباً ، وتكون باللين مع الحجة الواضحة والإقناع ،كما خاطب إبراهيم υ أباه، قال الله تعالى على لسانه: {يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا}[مريم: ٤٣]

43() الأصبهاني، أخرجه في: الترغيب والترهيب لقوام السنة (2/ 230)، والهيثمي في: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (129/1) وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح .



والنصيحة تشمل النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ،فعن تميم الداري τ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" الدين النصيحة ". قلنا :لمن؟ قال " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " (44)

قال ابن حجر رحمه الله: فالنصيحة لله بوصفه بما هو له أهل وطاعته والخضوع له ولكتابه تعلمه وتعليمه وتفهم معانيه وإقامة حدوده والعمل بما فيه، ولرسوله تعظيمه ونصره حياً وميتاً وإحياء سنته والاقتداء به والذب عنه ومحبته، ولأئمة المسلمين إعانتهم وجمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة إليهم ودفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ولعامة المسلمين الشفقة عليهم والسعي فيما يعود نفعه عليهم وتعليمهم ما ينفعهم وكف وجوه الأذى عنهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه .(45)

ومن النصيحة توعية الفرد والمجتمع عن الجرائم الالكترونية، والتحذير من سلبياتها وغرس القيم العليا والرقابة الذاتية والمعارف العلمية في نفوسهم.

والقرآن الكريم يقرر أيضاً أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما فيه من التواصي بالخير والحث عليه والتحذير من الشر وبيان خطره، ففيه قوام المجتمعات وحمايتها من الأمراض أن تحل فيها وإذا وقعت أن تسري في أفرادها، قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران: ١١٠] ، وقال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ }[هود: ١١٦]، ينهون أهل المعاصي عن معاصيهم، وأهل الكفر بالله عن كفرهم به، وأهل الفساد عن فسادهم، فَيَطْهُرُ المجتمعُ من الأمراض ، وأما المجرمون فمجرمون على أنفسهم ومجتمعهم وأسرهم وديارهم، فإن العذاب لما حلَّ حَلَّ بالجميع: قُلِبتَ الديار وتضرر المجتمع والأفراد والأسرة والدواب والشجر والحجر من تلك المعاصي التي كانوا يفعلونها. فما كان ليهلكها بظلم وأهلها مصلحون .

44() أخرجه مسلم في: صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة رقم (55).

45() بتصرف: ابن حجر: فتح الباري 138/1 ، وانظر: ابن رجب: جامع العلوم والحكم 222/1 .



قال الإمام أبو حامد الغزاليّ: إنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدّين، وهو المهمّ الّذي ابتعث الله له النّبيّين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطّلت النّبوّة واضمحلّت الدّيانة وعمّت الفترة وفشت الضّلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتّسع الخرق وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلّا يوم التّناد وقد كان الّذي خفنا فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .[46]

ومما يسمح بانتشار الأمراض الاجتماعية ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتقاعس عن الوقوف في وجه المفسدين ومدافعة شرهم وكيدهم للمجتمعات قال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}[المائدة: ٧٨ – 81] ، وقال صلى الله عليه وسلم :«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[47].

المطلب الثالث : العلاج بالتربية والقدوة الحسنة في المجتمع .

التربية الإسلامية لها الأثر الكبير في تنمية الأخلاق وتعديل السلوك، فها هو القرآن الكريم يعاتب الصحابة ψ، عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ}[الحديد: 16] إلا أربع سنين.[48]، يربيهم القرآن على محاسن الأخلاق والبعد عن مساوئها من خلال القصص القرآني كوصايا لقمان لابنه .

والقدوة من حيث هي متابعة من المقتدي للمقتدى به في فعله، ويراد منها في المعنى الأسوة والتقليد والمحاكاة والتشبه، والقدوة من حيث المقتدى به نوعان: قدوة صالحة وقدوة سيئة، ولا يقتدي المرء إلا بمن أحبه وأعجب به وأكبره في نفسه، وتكون القدوة في الأقوال والأفعال والمواقف .

46() الغزالي، إحياء علوم الدين (2/ 306)

47() أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 69)، رقم (78)، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان.

48() أخرجه مسلم في صحيحه (4/ 2319) رقم (24) ، باب في قوله تعالى: [ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله]



فالقدوة الحسنة لها الأثر البالغ في التأثير على الآخرين، فالداعية المتصف بالصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة والآداب الإسلامية لاشك أنه سيكون له الأثر الكبير في الناس عامة وفي أصحاب المعاصي والمخالفات خاصة في اقتدائهم وتأسيهم به، وكذلك المربي الناجح الذي يربي بالفعال أكثر أثراً ممن يربي بالأقوال ، وهذا ملموس من الأب والمعلم .

وإذا كثر القدوات في المجتمع قلّ المخالفون ومرتكبو الجرائم والمتلبسون بالأمراض الاجتماعية.

وقد أمر الله المؤمنين أن يتخذوا رسول لله صلى الله عليه وسلم أسوة وقدوة لهم في عقيدتهم وأخلاقهم وسلوكهم وعبادتهم قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[الأحزاب: ٢١]، ومن دقيق المعنى في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه جعل الأسوة في رسول الله ρ ولم يحصره في وصف خاص من أوصافه أو خلق من أخلاقه أو عمل من أعماله الكريمة وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الاقتداء أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وسيرته كلها فيقتدى به صلى الله عليه وسلم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ويقتدى بأفعاله وسلوكه من الصبر والشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه كما يشمل الاقتداء بأنواع درجات الاقتداء من الواجب والمستحب وغير ذلك مما هو محل الاقتداء .[49]

فالقدوة محط أنظار الناس فإن كانت خيرة طيبة ينظر إليها المقصرون فيرون رأي العين الحياة السعيدة والاطمئنان الأسري وصفاء القلب والتعاون الاجتماعي والاعتدال الاقتصادي فتتطلع إليها النفوس وتتقرب إلى معرفتها والجلوس معها، وسلوك مسلكها والاقتداء بها.

والنفوس مجبولة على الانتفاع والاقتداء بمن وافق فعله قوله ، وفي المقابل عدم الاقتداء بمن خالف عمله قوله، ولذا قال شعيب عليه السلام لقومه: {يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[هود: ٨٨]

والقدوة الأولى رسولنا صلى الله عليه وسلم في أخلاقه من كرم وصبر ورحمه ولين وقوة في الحق وغضب لمحارم الله ورأفة ورحمة بالمؤمنين، وفي عبادته من حسن أداء وخشوع وطول قيام وتلذذ بها، وفي زهده وخوفه

49() انظر: ابن حميد، القدوة مبادئ ونماذج ، ص 5 .



من الله، وحتى في تعامله مع المشركين، ولذا وصفه الله بأبلغ وصف فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤] ثم ذكر الله عز وجل رسله الذين اصطفاهم واختارهم، وقد أمر الله نبيه أن يتخذهم قدوة فبعد أن ذكر بعضهم في سورة الأنعام قال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ }[الأنعام: ٩٠]. ولنتأمل كيف كان سلوكه ρدعوة إلى الإسلام وتربية لأصحابه فبلّغوا هذا الدين في كثير من الأمصار بالقدوة الحسنة .

والعزلة عن المجتمع والانقطاع عنهم تُفقد الاستفادة من التربية والقدوة الحسنة وهذا يكون بالعكوف على شبكات التواصل الاجتماعي والإنترنت فيضعف إدراكهم لتوجيهات الآباء ويقل تأثرهم بقيم الأسرة والمجتمع .

المطلب الرابع : العلاج بإقامة الحدود الشرعية .

زجر القرآن الكريم الفساد وأهله ومقت كل أمر لا يستقيم به المجتمع، وحكم بالعدل في جميع الأمور، ومن ذلك إقامة الحدود الشرعية التي يحصل بها الفلاح في الدنيا والآخرة، وبتركها يحل الخسار، قال تعالى: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: 49، 50] وما يعيشه العالم اليوم من ظلم وطغيان، وتمسك بقوانين لا تتوافق مع مصالح المجتمعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية والأخلاقية مما أدى إلى انهيار الأسرة وتفككها وفقد التواصل والترابط والتكافل، حتى فقد الإنسان آدميته في بعض المجتمعات، مما يزيدنا يقيناً أنه لا يصلح أي مجتمع إلا بنظام إسلامي، قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ}[المائدة: ٤٨]

ولقد صور لنا ذلك جعفر بن أبي طالب τ في جوابه للنجاشي الفرق بين مجتمع يغلب عليه الطغيان ومجتمع مبني على العدل، فقال: أيها الملك كنا قوماً أهلَ جاهلية، نعبدُ الأصنام ونأكل المَيْتَة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونُسيء الجوار ويأكلُ القوِيُّ منَّا الضعيفَ، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينَا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقَه وأمانته وعفافه. فدعانا إلى الله، لنوحّدَه ونعبده ونخلعَ ما كنَّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه



من الحجارة والأوثان، وأمَرَنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكفّ عن المحارمِ والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزّور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام... . (50)

فكان في شرع الله تعالى إقامة الحدود التي بها تحفظ بها الأنفس وتحقن الدماء وتؤدى الحقوق وتصان الأعراض وتقل الجرائم، ولا يُسطى على الأموال والممتلكات؛ وبتعطيل حدود الله في الأرض ينتشر الفساد والمفسدين في المجتمعات قال تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء: ١٦]، وفي بيان خطورة المفسدين على قلتهم قال تعالى: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} [النمل: ٤٨]، فلا شك أن إقامة الحدود الشرعية ردع للمجرمين والمفسدين وقطع لدابرهم وإيقاف لجرأتهم على انتهاك حقوق المجتمع ومنع تسلطهم، وليكونوا عبرة لغيرهم، قال أبو هريرة τ إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة. (51)

ولقد سمى الله القصاص حياة قال تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[البقرة: ١٧٩]، قال ابن القيم: وذلك لأن القاتل إذا توهم أنه يقتل قَصَاصاً بمن قتله كفّ عن القتل وارتدع، وآثر حب حياته ونفسه. فكان فيه حياة له ولمن أراد قتله.

ومن وجه آخر: وهو أنهم كانوا إذا قتل الرجل من عشيرتهم وقبيلتهم قتلوا به كل من وجدوه من عشيرة القاتل وحيّه وقبيلته. وكان في ذلك من الفساد والهلاك ما يعم ضرره، وتشتد مؤنته، فشرع الله تعالى القصاص، وأن لا يقتل بالمقتول غير قاتله. ففي ذلك حياة عشيرته وحيّه وأقاربه. ولم تكن الحياة في القصاص من حيث إنه قتل، بل من حيث كونه قصاصا، يؤخذ القاتل وحده بالمقتول لا غيره، فتضمن القصاص الحياة في الوجهين. (52)

50() أخرجه أحمد في المسند (2/ 357)، وانظر: ابن هشام السيرة النبوية (1/ 336) . .

51() المحاملي، الأمالي رواية ابن مهدي الفارسي (ص: 35)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (463/1).

52() ابن القيم، تفسير القرآن الكريم (ص: 145) .



وحتى لا يعتدي أحد على أحد وليسود الأمن والأمان قال تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة: ٤٥]

بل حارب القرآن شتى أنواع الفساد ليبقى المجتمع سالماً من الأمراض المهلكة قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: ٣٣]

إن تحديد المسؤولية الجنائية عن جرائم الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي والعقوبات المترتبة عليها وإيضاحها أصبح ضرورياً، ولذا عقد المؤتمر الخامس عشر في البرازيل عام 1994م والذي وضع عدة توصيات حول جرائم الإنترنت ومراقبتها، وإن في الشريعة الإسلامية ما يغني عن تلك القوانين، فالشريعة كفيلة بتحديد الجريمة والعقوبة المترتبة عليها سواء كانت حداً أو تعزيراً، ومع ذلك فلابد من أسس تنظيمية لتحديد الجهة المخولة للتعامل مع جرائم الإنترنت، ولقد كشفت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بعض الإجراءات الأمنية لاستخدام شبكة الإنترنت في السعودية لردع مرتكبي الجرائم والحد منها. [53]

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وبعد:

فقد منّ الله عليّ بكتابة هذا الموضوع الذي يعالج شيئا من أمراض المجتمع معتمداً على كتاب الله وإظهار منهج القرآن وحاجة البشرية إلى تطبيقه ليسعدوا في الدنيا والآخرة.

ونخلص من هذا البحث إلى ما يلي :

1- أن سبب الأمراض الاجتماعية هو البعد عن كتاب الله والعمل به.

2- اختلاف الأمراض في المجتمعات بحسب قربها وبعدها عن القرآن الكريم .

3- أن بداية نشوء الأمراض الاجتماعية من أمراض القلوب وعللها .

4- أن الإسلام حفظ الكليات الخمس: الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وحارب كل ضرر يمسها.

53() انظر: محمد المنشاوي، جرائم الإنترنت في المجتمع السعودي ص 40-46 بتصرف.



5- أن القرآن الكريم قبّح أمراض المجتمعات ونفر منها .

6- إقامة الحدود الشرعية حفظ للمجتمعات من مزالق الظلم والطغيان والتفكك .

7- وقوع الأزمات الطاحنة والكوارث المدمرة والاحتراب والتشرذم والخلاف في المجتمعات بسبب البعد عن منهج القرآن الكريم وتعاليمه.

8- منهج القرآن الكريم وأحكامه صالحة لكل المجتمعات، فهو الحلّ لما تعانيه من الأمراض.

9- ضرورة بإظهار منهج القرآن الكريم في رعاية المجتمعات وحفظها في مختلف وسائل الإعلام ولكل المجتمعات .

وأخيراً أشكر الله أولاً وأخراً ، فله الفضل والمنة على ما وفق وأعان وسدد ..

ومهما بُذل من الجهد فإن القرآن لا تنتهي عجائبه ولا تنقطع فرائده ولا تنضب كنوزه ، وأرجو من الله أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع بما يناسبه ، و لا أدعي الكمال ، وما كان من صواب فمن الله .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ،،،،

فهرس المراجع

1) ابن قيم الجوزية ، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: مشهور بن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ

2) ابن قيم الجوزية ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المحقق: محمد الفقي،الناش: مكتبة المعارف،الرياض .

3) ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

4) ابن ماجه محمد القزويني، السنن ، المحقق: شعيب الأرنؤوط وغيره،الناشر: دار الرسالة العالمية،الطبعة: الأولى، 1430 هـ

5) أبو الحسن الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: مجموعة من المحققين،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ

6) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين،الناشر: دار المعرفة – بيروت

7) أبو داود سليمان السِّجِسْتاني، السنن، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل ،الناشر: دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، 1430 هـ



8) أبو عبد الله البغدادي الحسين المحاملي، أمالي المحاملي، المحقق: حمدي السلفي،الناشر: دار النوادر ،الطبعة: الأولى 1427 هـ - 2006 م

9) أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي

10) أحمد بن حجر، الزواجر عن اقتراف الكبائر ، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1407هـ -

11) أحمد بن حنبل ، المسند، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م

12) أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى ،حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي،أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م

13) إسماعيل بن محمد الأصبهاني، الترغيب والترهيب، المحقق: أيمن بن صالح بن شعبان، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى 1414 هـ - 1993 م

14) جمال سند السويدي ، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية ، ط 1، 2013م

15) زين الدين بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م

16) صالح بن حميد، القدوة مبادئ ونماذج، الناشر: موقع وزارة الأوقاف السعودية

17) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،المحقق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ

18) محمد الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض،الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)

19) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : 1415 هـ -

20) محمد الأمين الشنقيطي، العذب النَّمير من مجالس الشّنقيطي في التفسير، المحقق: خالد بن عثمان السبت،الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة،الطبعة: الثانية، 1426 هـ

21) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ،الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس،سنة النشر: 1984 هـ

22) محمد المنشاوي، جرائم الإنترنت في المجتمع السعودي، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية ، الرياض 1434هـ . pdf



23) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة،الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م

24) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير ،الناشر: دار طوق النجاة ،ط:1، 1422هـ

25) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر،الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م

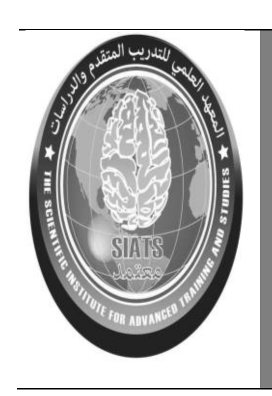
26) محمد بن عيسى، الجامع الكبير - سنن الترمذي،المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت،سنة النشر: 1998 م

27) مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،المحقق: محمد عبد الباقي،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

28) نوال بنت علي قيسي، بعض جرائم الإنترنت الموجهة ضد مستخدمي الإنترنت ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .pdf

29) نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ.





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد4 ، العدد1، كانون الثاني، يناير 2018م.

e-ISSN: 2289-9065

THE CONTRIBUTIONS OF ARABS AND MUSLIMS IN THE SCIENCE OF BLINDNESS

إسهامات العرب و المسلمين في علم التعمية

أنس الأعرابة

طالب دكتوراه، معهد دراسات الشرق الأوسط

جامعة سكاريا–تركيا

anass-laaraba@outlook.fr

1439هـ – 2018م



ARTICLE INFO

Article history:
Received 22/9/2017
Received in revised form22/9 /2017
Accepted 5/10/2017
Available online 15/1/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

Every nation has its own cultural heritage on which its elements of identity are built. And it hopes to derive from it the conditions of its renaissance. The Arab and Islamic nation has a huge and diverse heritage that has accumulated over many centuries, in which Arabs and Muslims have excelled and made their mark in various modules of science and knowledge. They were also exceptional in writing many books which reflected tremendous contribution of Arab and Islamic civilization to the development of human knowledge as a whole.

With all the efforts of the contemporary scholars to study and review this vast heritage, and their attempt to benefit from it as much as possible, owing to the range of difficulties and obstacles; numerous of those valuable writings and manuscripts remained in the shelves and antique bookstores.

This humble research is an attempt to identify one the most important Arabic and Islamic sciences that have been long ago marginalized and forgotten. This is about cryptography. This science was originated and developed by Arabs. They contributed and excelled in it and wrote many works on it.

Cryptography is the science that studies the ways and the methods of storing information by transforming this information from its natural form into an incomprehensible form, and finding the appropriate way to transform the information from the first to the second or vice versa.



الملخص

لكل أمة من الأمم تراث حضاري ترتكز عليه،وتبني عليه مقومات هويتها، وتأمل أن تستقي منه شروط نهضتها.وللأمة العربية والإسلامية تراث ضخم ومتنوع تراكم على طول قرون عديدة أبدع فيه العرب والمسلمون وأدلوا بدلوهم في مختلف أصناف العلوم والمعرفة،وبرعوا في انتاج مؤلفات ومصنفات عكست مدى الإسهامات الكبيرة للحضارة العربية الإسلامية في تطور المعرفة الإنسانية بأكملها.

ومع كل المجهودات التي يبذلها الباحثون المعاصرون لدراسة وتحقيق هذا التراث الضخم،ومحاولة الإستفادة منه قدرالإمكان،ظلت العديد من الكتابات القيمة والمخطوطات حبيسة الرفوف والمكتبات العتيقة،نظرا لمجموعة من الصعوبات والعوائق.

هذا البحث المتواضع هو محاولة للتعريف بأحد أهم العلوم العربية الإسلامية التي طالها التهميش والنسيان،ويتعلق الأمر بعلم التعمية،هذا العلم الذين يدين للعرب ولادة ونشأة أسهموا وبرعوا فيه وصنفوا فيه المصنفات الكثيرة.

والتعمية هوالعلم الذي يبحث في طرق وأساليب إخفاء المعلومات و ذلك بتحويل هذه المعلومات من شكلها الطبيعي المفهوم إلى شكل غير مفهوم، مع إيجاد الطريقة المناسبة لتحويل المعلومات من الحالة الأولى إلى الثانية أو العكس.



مقدمة

لجأ الإنسان منذ القدم إلى انتهاج أساليب متعددة لإخفاء بعض ما يكتبه أو ما يتحدث به، ليبقى سرا لا يعرفه إلا من أُرسل إليه، و حتى إن وقع المكتوب بيد ناس آخرين لا يفهمون معناه،وقد كان للعرب والمسلمين مساهمات كثيرة في هذا المجال، بل هم أول من وضعوا أسسه و مناهجه و صاغوا قواعده، و ألفوا و نظروا فيه المؤلفات العديدة، ليتطور فيهما بعد إلى مايسمى اليوم بعلم التشفير .

لكن الملاحظ أن المؤرخين و الباحثين المعاصرين لم يهتموا كثيرا بهذا التراث العربي الإسلامي الضخم فباستثناء الكتاب الجماعي " علم التعمية و استخراج المعمى عند العرب" -الذي صدر في 3 أجزاء- لا نجد أي أبحاث أو دراسات جدِّية في موضوع مساهمات العرب و المسلمين في علم التعمية .

و البحث في موضوع التعمية جد شاق و مضني فهو يتطلب التعمق في دراسة ، المخطوطات و معرفة كبيرة باللغة العربية و اللسانيات وعلم الصوتيات، ناهيك عن الطرق الإحصائية والرياضية .كما أن هذا الموضوع يستنفد وقتا وجهدا كبيرين و دراستُه تستوجب تشارك العديد من الاختصاصات و الحقول المعرفية.

إن هذا البحث هومحاولة متواضعة و بسيطة لرصد أهم مراحل و عوامل نشوء و تطور علم التعمية عند العرب، مع تسليط الضوء على إسهامات اثنين من أهم علماء علم التعمية العرب و هما الكندي و ابن الدريهم

و قد قسمت هذا البحث الى 3 فصول رئيسية يتعلق الأول ب تطور علم التعمية عند العرب و علاقته مع العلوم الأخرى، أما الفصل الثاني فهو عن الكندي و جهوده في إرساء قواعد هذا العلم و الفصل الثالث خصصتنه لابن الدر هيم و بعض طرقه في علم التعمية.

الفصل الأول: تطور علم التعمية عند العرب و علاقته مع العلوم الأخرى

يُعتبر علم التعمية واحدا من علوم كثيرة تُدين للعرب ولادة ونشأة و تطورا، وهو ليس كغيره من العلوم التي ترجم العرب بعض أصولها وطورها كالرياضيات والفيزياء و الفلسفة وإنما هو علم عربي قُحٌّ ،كان للعرب الفضل الكبير في وضع أسسه وإرساء قواعده،وتطويره إلى أن بلغ مرحلة ناضجة ،كما أنهم أول من كتب في طرائق التعمية الرئيسية التي ما إنفك العالم يستخدم بعضها حتى الآن وهم أو لمن وضع المنهجيات الأساسية في استخراج المعمى.[1]

كما أن بروز هذا العلم و تطوره عند العرب ارتبط بمجموعة، من العوامل الثقافية والحضارية و السياسية بل إن تشكله كعلم قائم بذاته كان عبر مسارات تاريخية متعددة تعلق بالأساس بتفاعله مع علوم أخرى .

ويمكن تقسيم تاريخ علم التعمية إلى مرحلتين كبيرتين:

–حقبة الإستعمال و التداول: و هي الفترة المغرقة في القدم والتي استخدم فيها الشعوب القديمة وخاصة المصريون القدامى التعمية بتبديل بعض أشكال الكتابة لديهم بأخرى، و المقصود هنا بتاريخ هذه الحقبة تتبع استعمال الإنسان التعمية لإخفاء بعض المعلومات التي يكتبها أو يرسلها، على نحو يجعل معرفة الآخرين لها جد صعبة و تمتد هذه الفترة من حوالي عام 1900 قبل الميلاد –على ضفاف النيل– و حتى القرن الأول الهجري الثامن الميلادي حيث بدأ العرب بمعالجة التعمية باعتبارها علما [2]

و يمكن القول أنه خلال هذه المرحلة كانت التعمية جد بسيطة، ولم ترتقي لتكون علما قائماً بذاته له أسسه ومناهجه وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الأمريكي David Kahn الذي أرخ لعلم التعمية في كتابه" The Code Breakers":

"لم نجد في أي من الكتابات التي نقبنا عنها أي أثر واضح لعلم استخراج المعمى حتى الآن. و على الرغم من وجود بعض الحالات المعزولة العرضية مثل: الرجال الإيرلندين الأربعة،أو دانييل،أو أي مصريين يمكن أن يكونوا قد استخرجوا

---

[1] محمد مراياتي، يحيى مير علم. محمد حسن الطيان علم التعمية و استخراج المعمى،3 أجزاء، مطبوعات مجمع اللغة العربية،دمشق،ط1، 1987،الجزء 1 ، ص،9.

[2] المرجع نفسه،ص، 46



بعض كتابات المقابر الهيروغليفية،فإنه لا يوجد شيء في علم استخراج المعمى . وبالتالي فإن علم التعمية الذي يشمل علمي التعمية واستخراج المعمى لم يولد حتى هذا التاريخ[القرن السابع]...ولد علم التعمية بشقُّيه بين العرب، فقد كانوا أول من اكتشف طرق استخراج المعمى و كتبها و دونها..."[3]

اعتمد كهن في مقولته هذه على ما اطلع عليه في كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندى (821هـ/1418م) حيث أفرد القلقشندى فصلاً كاملا أسماه "إخفاء ما في الكتب من السرِّ" عوّل فيه على كلام رجل يدعى ابن الدر يهم، وأكثر النقل عن رسالته المسماة "مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز و التي سيأتي الحديث عنه لاحقا[4]

يبدو أن علم التعمية نشأ و تطور على أيدي العرب و المسلمين، و لو أن ممارسته كحاجة فرضها الواقع منذ زمن طويل. كما أن المؤرخ ديفد كهن ميز بين التعمية و استخراج المعمى و الواضح هنا أنه يقصد الجانب النظري والجانب التطبيقي من هذا العلم .

–حقبة معالجة التعمية و استخراجها علميا: و خلال هذه الفترة تم وضع القواعد الأساسية لهذا العلم وحلُّت المبادئ والطرق المستخدمة فيه و جرى تقويمها و هيكلتها و تدوين نتائجها.

ابتدأت هذه الحقبة "الممتدة" بالخليل ابن أحمد الفراهيدي،و ابن كيسان، و ابن وحشية النبطي و أبي حاتم السجستاني،و توجت بعمل يعقوب الكندي الذي أوفى فيه على الغاية دقة و شمولا و تحليلا و تصنيفا و استعمالا، و قد استمرت هذه الحقبة حتى تاريخنا المعاصر بين جمود و ازدهار ، فقد بدأ هذا العلم يفقد بريقه بعد عصر الكندي إلى أن أتت الهجمات المغولية و الحملات الصليبية ،فازدهر من جديد في القرنين 13و14 فكثرت الكتب المصنفة فيها على أيدي ابن دنيز و ابن عدلان و ابن الدريهم [5]ثم خفقت ثانية لتظهر في الغرب بترجمات و اقتباسات عن الكتب العربية مع

---

[3]المرجع نفسه،ص،47

[4]العرب والتشفير تعريب وتطوير: أسامة بن حجر الغامدي.مقال في مدونة ابن جحر ،أكتوبر 2012. تاريخ الفحص14-01-2016
http://www.ibn-hajar.com/2012/10/cryptology.html

[5]علم التعمية و استخراج المعمى ...،مرجع سابق،ص.48



شيء من الزيادة و التطوير في نهاية القرن 15و بداية القرن 16 على أيديليون باتيستا ألبرتيL.B.Alberti ، ويوهانس تريتميوس.J.Trithemius وجيوفاني بيلاسو G.B.Belaso وبليز دي فيجنير.B.Vigenere ثم خفَّ العمل مرة أخرى في هذا العلم مرة أخرى ليظفر من جديد قبيل الحرب العالمية الأولى[6] ثم يستمر اليوم بما يسمى التشفير .

كانت هذه نظرة عامة عن تطور علم التعمية ومراحله الكبرى، و تجدر الإشارة إلى أن هذا العلم ازدهر و تطور بسبب ظروف تاريخية و حضارية معينة ،مرت بها الحضارة العربية الإسلامية و التي يمكن إجمالها في الآتي:

1ـ إزدهار حركة الترجمة الى اللغة العربية في العالم العربي و الإسلامي ،خاصة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة فقد تُرجم عدد كبير من المؤلفات السريانية و النبطية واليونانية والفارسية ...بل تجاوز العرب هذا الى محاولة ترجمة بعض ما كان مكتوبا باللغات البائدة ،مما دعا الى دراسة تلك اللغات ،وقد كانت بعض من هذه الكتابات معمَّاة مثل كتب الكيمياء و السحر و الفلسفة فضاعف ذلك من رغبة العرب على فهم تلك الأمور المعماة [7]و من هنا ساهمت الترجمة الى حد كبير في بداية الاهتمام بعلم التعمية و استخراج المعمى .

2ـ إن انتشار اللغة العربية في مساحات واسعة من العالم، أبدى الحاجة الماسة إلى دراسة هذه اللغة ووضع قواعد لها ونجد أن الكثير من اللغويين العرب برعوا كذلك في علم التعمية كالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) فقد نسب إليه كتاب في التعمية اسمه" طبقات النحويين واللغويين".و من "المعطيات اللغوية الهامة في مجال التعمية ما أسماه الكندي "كمية... و كيفية" فالأولى تتعلق بتواتر الحروف و أطوال الكلمات-سواء كانت جذورا أم مزيدة- و تواتر الحروف في مواقع الكلمة و الأصيل و الزائد منها ...الخ و الثانية تتعلق بنسج الكلمة العربية و بنيتها أي ما يمكن أن يأتلف من

---

[6]تاريخ التعمية، مقال منشور في مجلة عالم المعرفة الإلكترونية تاريخ الفحص 14-01-2016تاريخ التعمية.http://www.marefa.org

[7] وضع النون المصري ثوبان بن إبراهيم مؤلفا في أقلام القدماء سماه "حل الرموز و برء الأقسام في كشف أصول اللغات و الأقلام"كما صنف أبو القاسم أحمد العراقي رسالته " حل الرموز و فتح أقفال الكنوز" – علم التعمية ... مرجع سابق ص 57.



الحروف فيها، و ما لا يمكن أن يأتلف بالتقديم والتأخير...الخ"[8] هذا بالإضافة إلى تطوير علم اللسانيات و النحو و الصرف و وضع المعاجم .

3- الاهتمام بعلم الرياضيات و تطوير المعارف و التحليلات البرهانية كان من العوامل التي أدت إلى تطور علم التعمية، فحاجة العرب و المسلمين إلى حساب يتعلق بالإرث و تقسيم الأراضي و الزكاة و أعمال الهندسة والفلك وغيرها من العلوم ساهم بشكل كبير في تطور علمي الحساب و الجبر، كما أن علم التعمية ما كان ليتطور لولا استخدام الأرقام العربية و عمليات الضرب و القسمة.[9]

4- انتشار القراءة و الكتابة و القراءة في العالم العربي و الإسلامي، كان من الأسباب الغير المباشرة التي أدت إلى تقدم علم التعمية و يشهد العديد من المؤرخين بهذا الأمر أمثال دافيد كهن فعدم انتشار الكتابة و القراءة على نحو واسع في الحضارات القديمة كان أحد مسببات عدم قيام علم التعمية.[10]

يُمكن القول إن تضافر هذه العوامل كلها ساهم بشكل كبير في تطور علم التعمية واستخراج المعمّى كما أن الاستقرار الذي عرفه العالم العربي و الإسلامي خلال ق 3 للهجرة كان له بعيد الأثر في نشأة و ازدهار عدة علوم أخرى ساهمت بشكل مباشر في وضع الأسس العامة و المناهج الأساسية في علم التعمية.

---

[8] المرجع نفسه ص59-60.

[9] المرجع نفسه،68.

[10] المرجع نفسه.26.



الفصل الثاني: الكندي (185هـ/256هـ): ووضع المبادئ الأساسية في علم التعمية

هو أبو يوسف يعقوب بن بن قيس الكندي[11]، وُلد بالكوفة ونشأ بالبصرة وانتقل إلى بغداد، كان عالما بالطب والفلسفة والحساب والفيزياء والكيمياء وغيرها من علوم عصره، وقد وصفه ابن النديم (توفي 438هـ) في الفهرست بقوله: "فاضل دهره، وواحد عصره في معرفة العلوم بأسرها، ويسمى فيلسوف العرب"[12]، وقد عده ابن أبي اصيبعة (توفي سنة 688هـ) "مع حنين ابن إسحاق وثابت ابن قرة وابن فرخان الطبري حذَّاق الترجمة المسلمين"[13]، كما كان رائدا في تحليل الشفرات، حيث اشتهر بجهوده في علم التعمية من خلال رسالته المسماة "رسالة في استخراج المعمى"

يُمكن اعتبار مصنف الكندي في استخراج المعمى من أقدم ما أُلِّف في هذا الباب فموسوعية هذا الرجل الذي جمع بين إدارة بيت الحكمة، و التأليف في مختلف الفنون طبعت مصنُّفه هذا بالدقة المنهجية و الجِدَّة .

ليس بالمقدور في هذا البحث إدراج كل الطرق التي حددها الكندي لاستخراج وفك الخطابات المعماة بل سنكتفي بالإشارة إلى بعضها، فإلى جانب التعمية البسيطة و المركبة بتبديل الحروف برموز أو بأرقام أو بشكلين مجتمعين أو بتغيير وضع الحروف في النص لإرباك كل من حاول استخراجها بالتمويه عليه يستند الكندي إلى طريقتين قصد استخراج الملبس و هما التحليل الكمي و الكيفي[14]

يَعتبر الكندي أن لكل لغة تواتر خاص بها فالمنهج الكمي في استخراج المعمى يُستدعي معرفة اللسان الِذي خطت به الرسالة المراد فك معناها، و معرفة تواتر الحروف في استعمال هاته اللغة لاستخراج المعمى كما يعرض الكندي لكيفية استعمال نظرية تواتر الحروف أو ما عُرف لاحقا في أوروبا ب "fréquence des lettres".بإحصاء الرموز أو الأشكال أو الحروف المتكررة في نص طويل نسبيا و من تم توظيف الحصيلة بمنهجية الإحصاء لاستخراج المعمى[15]

---

[11]- ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء،(غير محقق) دار الثقافة بيروت لبنان 1978-1979م، ص206

[12]- ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ص358

[13]- "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، مصدر سابق، ص 207

[14] طارق المدني، حول علم التعمية في التراث العربي الإسلامي.مقال ضمن كتاب الحرب و الإعلام في التاريخ،تنسيق عبد الحميد الصنهاجي، منشورات كلية الآداب وجدة رقم 92، سنة 2008،ص 30

[15] المرجع نفسه ،ص31.



يقول الكندي " فمِمَّا نحتال به لاستنباط الكتاب المعمى إذا عرف بأي لسان هو أن يوجد من ذلك اللسان كتاب قدر ما يقع في جلد أو ما أشبهه فنعد ما فيه من كل نوع من أنواع حروفه ، فنكتب على أكثرها عددا الأول ، و الذي يليه في الكثرة الثاني و الذي يلي ذلك في الكثرة الثالث و كذلك حتى نأتي على جميع أنواع الحروف فننظر الى أكثرها عددا فنسمه بسمة الحرف الأول و الذي يليه في الكثرة فنسمه بسمة الحرف الثاني و الذي يليه في الكثرة فنسميه بسمة الحرف الثالث ثم كذلك حتى تنفد أنواع صور حروف الكتاب المعماة التي قصد لاستنباطه" [16]

يُبيِّن هذا النّص كيفية استخراج المعمى بطريقة كمية تستند إلى مناهج إحصائية خالصة، و هي تستوجب التدقيق في حروف النص المراد فك معناه مع عد هذه الحروف و إيجاد الحروف الأكثر ورودا في النص بالترتيب و من خلال هذه الحروف يتم تكوين الجمل المعماة.

و يلجأ الكندي كذلك الى الحيل الكيفية أي معرفة الحروف المتنافرة و المؤتلفة و معرفة الثنائيات الكثيرة الواردة في اللغة العربية ك ما–لا–لم–من... ثم الثلاثيات كما–على... لفك ما استعصى من الكلمات الثنائية المرموزة بعد منهج تواتر الحروف[17]

يقول الكندي "فينبغي أن يستعمل في استنباط الحروف حيلة ثانية من الكيفية و هي أن يعرف ما في اللسان الذي قصد الاستنباط المعمى من الحروف التي يأتلف بعضها ببعض و الحروف التي لا يأتلف بعضها ببعض فإذا و قع النظر و ما تشهد عليه مراكب العدد في الكثرة و القلة على حرفين منها نظر هل هما مما يأتلف في دلك اللسان أم لا" [18]

تُعتبر هذه الطريقة من أهم الطرق في استخراج المعمى عند الكندي و هي تستوجب قواعد و قوانين لسانية و لغوية ذلك أن استخدام هذه الطريقة يبحث في الأساس في نسج الكلمات ،و ما يمكن أن تُبنى منه و ما لا يمكن مما ينضوي تحت علم قوانين الألفاظ المفردة ، وتتلخص هذه القوانين عموما بتقسيمه حروف اللغة العربية إلى أصلية و هي ستة عشرا حرفا لا تكون زائدة بوجه من الوجوه و متغيرة و هي اثنا عشر حرفا ، كما يشرح الكندي قوانين امتناع اقتران

---

[16] علم التعمية و استخراج المعمى ... مرجع سابق ص،216

[17] طارق مدني ...مرجع سابق،ص33

[18] المكان نفسه



اللغة العربية و يحصر هذه القوانين بالحروف الأصلية ثم يستعرضها حرفا حرفا حسب الترتيب الهجائي و يذكر مع كل حرف ما لا يقترن معه من الحروف، هذا و قد بلغ مجموع حالات التنافر بين الحروف (أو ما لا يقترن) التي أتى بها الكندي على ذكرها أربعا و تسعين حالة و هو عدد لا يُستهان به في تلك الفترة المبكِّرة من تاريخ الدراسات البنيوية اللغوية [19]

إن الطريقة الكيفية عند الكندي في استخراج المعمى، تقتضي بالأساس معرفة القواعد الدقيقة للغة العربية و اللسانيات و الصوتيات و هذه القواعد كلها و ضعها في رسالته ،و هي تعتبر منهج دقيقا في علم التعمية ، فإذا كان المنهج الكمي يتطلب القيام بعمليات إحصائية لعدد الحروف في نص معين، فإن المنهج الكيفي يقتضي معرفة طبيعة هده الحروف و نوعها و بنيتها اللغوية .

تجدر الإشارة أنه توجد طرائق أخرى عند الكندي لاستخراج المعمى دون الطريقتين المذكورتين و يمكن أن نورد أهم منهجيات علم التعمية عند الكندي في الأتي[20]

-التفريق الواضح بين طرق التعمية الأساسية: الإبدال والقلب والطرق الأخرى، وإرجاع مختلف الطرق إلى واحدة منها.

-توضيح المراد من التعمية المركبة.

-استعمال الطريقة التحليلية لاستخراج المعمى، باستخدام تواتر الحروف في اللغة ومراتبها.

-اعتماد تواتر الثنائيات contact, count عند استخدام اقتران الحروف مع بعضها البعض أو امتناعه بالتقدم والتأخير.

-استعمال فكرة الكلمة المحتملة.

-إجراء إحصائيات عملية على تواتر الحروف في اللغة العربية، والإشارة إلى مبادئ ذلك في كل اللغات.

---

[19] علم التعمية و استخراج المعمى... مرجع سابق ص 132-133

[20] المرجع نفسه ،ص، 137



الفهم الواضح لطبيعة الحروف والتمييز بين المصوتة والخرس والمصوتة الكبرى والمصوتة الصغرى.استنادا إلى ما سبق ذكره يمكن القول أن الكندي وضع المبادئ الأساسية في علم التعمية من خلال تصور شامل استند فيه على قواعد علمية مختلفة سواء اكانت رياضية أو لغوية و رسالته - "رسالة في استخراج المعمى" هي أنيس ومرجع كل من لحقه من العلماء العرب و المسلمين، الذين ارتكزوا على ما قدمه هذا العالم لفهم هذا العلم.

الفصل الثالث: جهود ابن الدريهم (712هـ/762هـ) في تطوير علم التعمية

هو علي ابن محمد ابن عبد العزيز المعروف بابن الدريهم الموصلي[21]. وُلد بالموصل تلقى العلم عن كثير من علماء عصره، كشمس الدين الأصفهاني (688هـ)، برع في كثير من العلم كالفقه والتفسير والحساب وحل الألغاز والأحاجي... كما كان له باع كبير ووفير من المؤلفات قال عنه الصفدي (764هـ): "كان أعجوبة من أعاجيب الزمان في ذكائه، وغريبة من غرائب الدهر تشرق سماء الفضل بذكائه..."[22]. كما يعتبر من رواد علم التعمية، حيث كتب فيه مصنفات مهمة كرسالته "مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز".

تبين رسالة ابن الدريهم "مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز" عناية هذا الأخير بعلم التعمية وتفنُّنَّه به، كما تعكس الجُهد الكبير الذي قدمه هذا العلاَّمة، فمن خلال رسالته يبرز ابن الدريهم ما يحتاجه المطَّلع على علم التعمية، كاللغة التي يرد حل قلمها، قواعد هذه اللغة، وعدد حروفها وتواتر الحروف فيها... كما يوضح ضروب التعمية معددا إياها بثمانية ضروب وهي:

-المقلوب-الإبدل بالحروف- زيادة عدد الحروف أو نقصانها-ابدال اعداد الجمل بالحروف-تعمية الحروف بالكلمات-جعل الحروف على أسماء الأجناس- استعمال اشكال أخرى للحروف- استعمال الأدوات.

---

[21]- صلاح الدين بن أيبك الصفدي أعيان العصر وأعوان النصر 8 أجزاء، تحقيق علي أبو زيد ونبيل أبو عمشة، محمد موعد، محمود سالم دار الفكر بدمشق-1998، ج3، ص 521

[22]- المكان نفسه.



و بالنسبة للطريقة الأخيرة تجدر الإشارة أن ابن الدر يهم استخدم أدوات عدَّة كرُقعة الشطرنج أو اللوح المثقّب بعدد حروف اللغة وخيط يحدد الرسالة.[23]

إلا أن أهم طريقة اشتهر بها ابن الدريهم هي التعمية باستعمال الجمَّل. وتميز كذلك بإقامة جدول يسهِّل إبدال كل حرف من الرسالة بالحرف الذي يليه أو بثالثة أو برابعة.[24]

وتعد هذه التقنية من التقنيات المهمة في علم التعمية و استخراج المعمى فابن الدر يهم كان على اطلاع بكل ما جاء به الكندي في هذا العلم فقام بتطويره و قدَّم نظريات جديدة تقوم على أسس علمية و منطقية.و تجدر الإشارة الى أن كثيرا من العلماء أخذوا عن ابن الدريهم و نظرياته في علم التعمية كالقلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا فالمعلوم أن هدا الاخير أورد فصلا كاملا عنونه ب في الإخفاء ما في الكتب من السر يبرز فيه بعض قواعد وأصول علم التعمية .

خاتمة

استنادا إلى ما سبق ذكره، يمكن القول أن علم التعمية نشأ و تطور على أيدي العرب و المسلمين بفعل مجموعة من العوامل الثقافية و الحضارية، تتعلق أساسا بحركة الترجمة و انفتاح العرب على علوم أخر

و تطويرها . بالإضافة الى الحاجة الماسة التي فرضتها ظروف العصر .كما أن بروز علم التعمية كعلم قائم بذاته له مناهجه و قواعده، كان مع الكندي خلال القرن الثالث للهجرة . فإذا كانالمؤرخ الأمريكي دافيد كهن قد نسب علم التعمية إلى العرب عموما فنحن ننسبه إلى الكندي و نقول إن علم التعمية و لد بولادة الكندي" فهذا الرجل وضع القوانين الأساسية لهذا العلم و عرض طرقا و مناهج كثيرة، لحل المعمى وقد رأينا طريقتين من هذه الطرق الأولى كمية تنبني على أسس إحصائية و رياضية، و الثانية كمية تستوجب معرفة طبيعة الحروف المكونة للنص المراد فك تعميته .

---

[23] طارق المدني... مرجع سابق، ص 34

[24] – "المكان نفسه



كما عَرضنا بإيجاز مساهمات ابن الدريهم في هذا المجال و الذي قدم هو أيضا طرق جديدة في علم التعمية تعلقت أساسا باستخدامه أدوات جديدة لم تكن تستعمل من قبل كما اشتهر ابن الدر يهم بجدوله الذي يسهل عملية استخراج المعمى.

و بالاظافة الى الكندي و ابن الدر يهم برع العديد من العرب و المسلمين في هذا العلم كابن عدلان و ابن الدنينير و غيرهما ممن أثروا مجال علم التعمية و ساهموا بكتابات قيمة في هذا المجال.

إن الفائدة من دراسة ما خلفه هؤلاء من تراث علمي، ترجع بالأساس الى اكتشاف أن ما وصل إليه التطور الهائل الذي عرفه العالم بداية من القرن 20 ، وتوسع نطاق التكنولوجيا و علم التشفير و الشبكة الرقمية و المعلوماتية. إنما مردُّه إلى الجهود الأولى التي قدمها المسلمون والعرب في هذا المجال واخترقوا جوانبه الخفية، فلا ينبغي إغفال أثر علماء التعمية العرب والمسلمين في إرساء أسس هذا العلم، ورسم المنهجيات المحكمة في استخراجه،في بناء الحضارة الإنسانية ووصولها إلى ما هي عليه الآن.لذلك ننهي هذا البحث بالأسئلة التي تطرح نفسها وهي: كيف استفاد الغرب من هذا العلم ؟و كيف طوروه؟ و أين نحن من هذا التراث العلمي الضخم ؟

-المصادر

-ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (غير محقق) دار الثقافة بيروت لبنان 1978-1979

-ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

-صلاح الدين بن أبيك الصفدي أعيان العصر وأعوان النصر 8 أجزاء، تحقيق علي أبو زيد ونبيل أبو عمشة، محمد موعد، محمود سالم دار الفكر بدمشق-1998.

-المراجع

-محمد مراياتي، يحيى مير علم. محمد حسن الطيان علم التعمية و استخراج المعمى،3 أجزاء، ط1، مطبوعات مجمع اللغة العربية،دمشق.



-المقالات

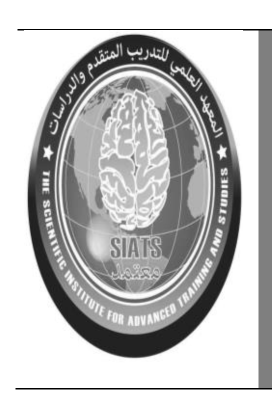
-طارق المدني، "حول علم التعمية في التراث العربي الإسلامي".مقال ضمن كتاب الحرب و الإعلام في التاريخ،تنسيق عبد الحميد الصنهاجي، منشورات كلية الآداب وجدة رقم 92، سنة 2008.

-الائحة الويبليوغرافية

-العرب والتشفير تعريب وتطوير: أسامة بن حجر الغامدي.مقال في مدونة ابن جحر ،أكتوبر 2012 :
"http://www.ibn-hajar.com/2012/10/cryptology.html

-تاريخ التعمية، مقال منشور في مجلة عالم المعرفة الإلكترونية :
"http://www.marefa.org. تاريخ التعمية"





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث

التخصصية

المجلد4 ، العدد1، كانون الثاني، يناير 2018م.

e-ISSN: 2289-9065

COEXISTENCE IN THE LIGHT OF THE HOLY QURAN

التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم

د/ رشيدة عبد السلام بوخبرة

جامعة محمد الخامس أبوظبي

الإمارات العربية المتحدة

rachida.boukhibra@um5a.ac.ae

1439هـ – 2018م



ARTICLE INFO

Article history:
Received 22/10/2017
Received in revised form 911//2017
Accepted 5/12/2017
Available online 15/1/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

God has ordered coexistence among each other for Muslims and made it a legitimate duty before it is a social necessity required by the nature of life for individuals and groups. He, The Almighty, urged the maintenance of dignity and the preservation of rights and forbade the abuse of sanctities and the transgression of property, as this is the basis of coexistence between different Muslim sections. Their different opinions and doctrines do not cast them outside of Islam, and they do not lose any of their rights. God, the Almighty, enjoined them to support each other and cooperate among themselves on righteousness and piety.

Our religion also recognizes the principle of peaceful coexistence with non-Muslims through the verses of the Holy Quran and Sunnah whether in hadeeths, deeds, and acceptance of both. Muslims have always adopted this principle as a custom in their countries and as their approach in others. Every member of the Islamic community is required under Islamic law to coexist with other individuals, regardless of the differences with them. The Holy Quran has paved the way for the basic principles of all peaceful coexistence forms, and encouraged tolerance and brotherhood to attain righteous succession on earth and civilization. The Qur'an has a coherent vision on the subject of peaceful coexistence among all people, with different tongues, colors, religions and creeds. Such a vision fosters security and peace within diverse communities and protects them from the rift, confrontation and clash of civilizations, which is the goal of the present study.

The study is comprised of three main parts. The first one uncovers the importance of peaceful coexistence at the level of individuals and communities. The second



topic identifies the bases of peaceful coexistence through the Holy Quran. The third section deals with the manifestations of this co-existence in the book of Allah Almighty, whether among Muslims themselves, or among themselves and others in the Muslim communities or in other societies. The research concludes with the most important results of this study, which generally agree that the Quran is a source of the means of peaceful cohabitation and compassion for humanity, a book in which property is preserved and the rights and dignity of all people are guarded.



الملخص

لقد أمر الله عز وجل المسلمين بالتعايش فيما بينهم، وجعله واجبا شرعيا قبل أن يكون ضرورة اجتماعية تتطلبها طبيعة الحياة بين الأفراد والجماعات، فحث سبحانه وتعالى على صيانة الكرامة وحفظ الحقوق، ونهى عن الاعتداء على الحرمات واستباحة الأعراض، وهو الأساس الذي يتحقق به التعايش بين فئات المسلمين المختلفة. فتباين آرائهم ومذاهبهم،لا يخرجهم من حمى الإسلام، ولا يهدر شيئا من حقوقهم التي أوجبها لهم. وقد أمرهم الله عز وجل بالتناصر والتعاون فيما بينهم على البر والتقوى.

كما أقر ديننا الحنيف مبدأ التعايش السلمي مع غير المسلمين من خلال آيات القرآن الكريم والسنة النبوية قولا وفعلا وتقريرا، وإذا كان هذا المبدأ سنة المسلمين في بلاد الإسلام، فإنه منهجهم كذلك في غيرها، فكل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي مطالب شرعا بالتعايش مع غيره من الأفراد، بغض النظر عن أوجه اختلافه معهم، وقد وضع القرآن الكريم المرتكزات الأساسية للتعايش السلمي بكل أنواعه، ودعا إلى التسامح والتآخي لتحقيق الخلافة وبناء الحضارة. فالرؤية القرآنية متكاملة حول موضوع التعايش السلمي بين الناس أجمعين على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وأديانهم ومذاهبهم. فهي ترعى الأمن والسلام داخل المجتمعات المتباينة الانتماءات والطوائف، وتحميها من التمزق والصدام وصراع الحضارات، وهذا ما حاولت هذه الدراسة بيانه. وقد جاءت في ثلاثة مباحث أساسية، أما المبحث الأول فكشف النقاب عن حقيقة التعايش السلمي وأهميته على مستوى الأفراد والجماعات، والمبحث الثاني حدد أسس التعايش السلمي من خلال القرآن الكريم، أما المبحث الثالث فبين مظاهر هذا التعايش في كتاب الله عز وجل، سواء فيما بين المسلمين أنفسهم، أو فيما بينهم وبين غيرهم في المجتمع الإسلامي أو في غيره من المجتمعات الأخرى، وذُيل البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة، والتي تتفق في مجموعها على أنه من القرآن الكريم تنبع سبل التعايش السلمي والرحمة للعالمين، وفي ظلاله تصان الأعراض وتحفظ الحقوق والكرامات للناس أجمعين.



مقدمة

إن الإسلام خاتم الرسالات الذي ارتضاه الله عز وجل للعالمين، يشمل أحكاما دقيقة يتفيأ ظلالها القريب منه والبعيد، لا سيما وأنها مبنية على حفظ كرامة الانسان، واحترام الحقوق، وقائمة على العدالة والمساواة والتعايش السلمي بين الناس أجمعين، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[1].

أهمية الموضوع:

إن المتأمل في مصطلح "التعايش السلمي" يدرك أن البشرية بفآتها المتباينة تتأرجح بين السلم والحرب، ونحن في وقتنا الحاضر في أمس الحاجة للرجوع إلى القرآن الكريم لمعرفة سبل التعايش الذي يعتبر المفهوم الأوسع والأهم لبناء مجتمع سليم قائم على المودة والوئام بين أفراده، بغض النظر عن جنسهم ومعتقدهم وثقافتهم.

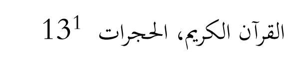
أسباب اختيار الموضوع:

أسباب كثيرة دفعتني لاختيار هذا الموضوع، من أهمها أننا وجدنا أنفسنا في مواجهة مواقف ضد الإسلام والمسلمين؛ تجلت في محاولة إظهار هذا الدين ومعتنقيه في صور مشوهة عديدة؛ من سماتها التشدد والغلو، ورفض التعايش مع الآخرين، ومن هنا كان اختياري لهذا الموضوع الذي يسعى إلى تجلية حقيقة التعايش السلمي في ديننا الحنيف. انطلاقا من المعين الصافي والمصدر الأول للتشريع، الذي أرسى من خلال آياته البينات أسس الحياة الكريمة، والتقدير الدائم للناس جميعا، من غير تمييز عنصري، أو صراع طائفي، أو غيرها من عوامل الشقاق والنزاع.

إشكالية البحث:

تتحدد مشكلة البحث بالسؤال الآتي:

ما هي الآليات التي يمكن الركون إليها في القرآن الكريم، لخلق مستلزمات التعايش السلمي بين الأفراد والمجتمعات؟ ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:


[1] القرآن الكريم، الحجرات 13



- ما مفهوم التعايش السلمي؟ وما أهميته؟
- ما هي أسس ودعائم التعايش السلمي في القرآن الكريم؟
- ما هي مظاهر التعايش السلمي وتجلياته في كتاب الله عز وجل؟

منهج البحث:

لقد سلكت في إنجاز هذا البحث المنهج التركيبي، لأن طبيعة الموضوع تقتضي ذلك، فقد انطلقت من المنهج الاستقرائي، فاستقريت الآيات الكريمة التي تتجلى لنا من خلالها أسس ومظاهر التعايش السلمي في القرآن الكريم، كما اعتمدت على المنهج التحليلي في تحليل ومناقشة القضايا العلمية التي تعرضت لها في ثنايا البحث، والمنهج المقارن للمقابلة بين الآراء وتصحيح المفاهيم كمفهوم الجهاد وغيره.

خطة البحث:

لقد انتظم عقد هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المبحث الأول فجعلته بعنوان حقيقة التعايش السلمي وأهميته، وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب، بينت في أولها حقيقة التعايش اللغوية، وفي الثاني كشفت عن حقيقته الاصطلاحية، أما المطلب الثالث فعقدته لبيان أهمية التعايش السلمي للفرد والمجتمع، وخصصت المبحث الثاني لبيان أسس التعايش السلمي من خلال القرآن الكريم، وقد تضمن أربعة مطالب، الأول منها يحمل عنوان تكريم الانسان وحفظ حقوقه، والثاني عنونته بإقرار سنة الاختلاف، أما الثالث فخصصته لحرية العقيدة، والأخير أفردته للحديث عن الحوار والتسامح باعتبارهما أساسين هامين من أسس التعايش السلمي في القرآن الكريم، .وجاء المبحث الثالث بعنوان مظاهر التعايش السلمي من خلال القرآن الكريم، وذلك ضمن ثلاثة مطالب فرعية عنونت أولها بالتعايش السلمي بين المسلمين في مجتمعهم، والثاني خصصته للتعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الإسلامي، أما المطلب الثالث والأخير فكشف عن حقيقة تعايش المسلمين مع غيرهم من المجتمعات الأخرى، وختمت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلاله.



المبحث الأول: حقيقة التعايش وأهميته

المطلب الأول: التعايش لغة

مصدر عاش يعيش عيشا، والعيش الحياة،"يقال عايشه بمعنى عاش معه، كقوله: عاشره. و في القرآن الكريم قوله عز وجل:{وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا}[2]، أي ملتمسا للعيش. والعيش المطعم والمشرب وما تكون به الحياة"[3].

وبالرجوع إلى الدلالة اللغوية للتعايش نجد في المعجم الوسيط: "تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي... وعايشه: عاش معه"[4].

هكذا يتضح لنا أن مصطلح العيش يتمحور حول معنى الحياة والمودة والألفة، وأن التعايش في مدلوله اللغوي العام وفق ما تقتضيه صيغة التفاعل يعني أن يعيش البعض مع البعض الآخر على ذلك.

المطلب الثاني: التعايش اصطلاحا

إن التعايش في مفهومه الاصطلاحي يعني أن يكون هذا العيش المتبادل قائما على المسالمة والأمان، والمهادنة والاطمئنان، وقبول الآخر بكل مكوناته ومعتقداته، ومنحه حقوقه والحفاظ على كرامته، ولذلك غالبا ما ينعت ب"السلمي" كما هو الشأن بالنسبة لهذا الموضوع، وإن كان هذا المصطلح وليد ظروف اجتماعية وسياسية حنت فيها البشرية إلى الأمن والسلام خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ورأت فيه البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المتباينة.

المطلب الثالث: أهمية التعايش للفرد والمجتمع

للتعايش أهمية كبرى في حياة الأفراد والمجتمعات، فبه تذلل الصعاب، وتيسر سبل التعاون وإحراز المنافع للفرد والمجتمع، كما أن التعايش يرسي قواعد الأمن والاستقرار في المجتمعات، فتصرف جهود أصحابها إلى العمل المثمر والإنتاج المتنوع، لبناء المجتمع والمساهمة في تقدمه وازدهاره، فما من حضارة أقامها الإنسان إلا وكان أساسها الأمن والاستقرار على جميع

---

[2] القرآن الكريم، النبأ: 11

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة السادسة سنة 1417هـ/1997م، مادة عيش 6/ 336

[4] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة للنشر والتوزيع. 6/ 639



المستويات، وفي مختلف المجالات، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:{ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[5] لدعم التواصل والوئام بين الناس جميعا، وإبعادهم عن التنافر والشقاق الذي يهدر الجهود، ويهوي بالفرد والمجتمع في مزالق التشتت والضياع.

المبحث الثاني:أسس التعايش السلمي من خلال القرآن الكريم

إن التعايش السلمي بين الناس في القرآن الكريم يقوم على أسس راسخة، وقيم عظيمة، تهدف إلى حفظ الأمن والاستقرار للأفراد والمجتمعات، وفق ضوابط قائمة على البر والتقوى، والرحمة والإحسان، ومن أهم هذه الأسس ما يلي:

المطلب الأول: تكريم الإنسان وحفظ حقوقه

خص الله عزَّ وجل الإنسان بالتكريم والتفضيل على سائر خلقه، فقد خلقه سبحانه وتعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته؛ إكرامًا واحترامًا، قال تعالى: "ولَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً"[6]. يقول الطاهر بن عاشور عند تفسيره لهذه الآية: "وَأَمَّا التَّفْضِيلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَالْمُرَادُ بِهِ التَّفْضِيلُ الْمُشَاهَدُ لِأَنَّهُ؛ مَوْضِعُ الِامْتِنَانِ؛ وَذَلِكَ الَّذِي جِمَاعُهُ تَمْكِينُ الْإِنْسَانِ مِنَ التَّسَلُّطِ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِيَّةِ بِرَأْيِهِ وَحِيلَتِهِ، وَكَفَى بِذَلِكَ تَفْضِيلًا عَلَى الْبَقِيَّةِ. والْفَرْقُ بَيْنَ التَّفْضِيلِ وَالتَّكْرِيمِ بِالْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ فَالتَّكْرِيمُ مَنْظُورٌ فِيهِ إِلَى تَكْرِيمِهِ فِي ذَاتِهِ، وَالتَّفْضِيلُ مَنْظُورٌ فِيهِ إِلَى تَشْرِيفِهِ فَوْقَ غَيْرِهِ، عَلَى أَنَّهُ فَضَّلَهُ بِالْعَقْلِ الَّذِي بِهِ استصلاح شؤونه، وَدَفْعُ الْأَضْرَارِ عَنْهُ وَبِأَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ، هَذَا هُوَ التَّفْضِيلُ الْمُرَادُ"[7].

إن الإنسان في الإسلام مكرم لكونه إنسانا دون مراعاة لأصله أو معتقده، أو غيرها من المحددات التي تنازعت البشرية بسببها، حتى أُهدرت الدماء وانهارت المجتمعات، وبناء على ذلك يرفض الإسلام كل أشكال الاعتداء على الإنسان، حتى إنه جعل قتل النفس الواحدة كقتل الناس جميعا، ويرفض القرآن الكريم كل أشكال التمييز العنصري، ويذكر البشرية بوشيجتي الربوبية والرحم اللتين ينتمون إليهما لربط العلاقات بين الناس، وحسن معاملة بعضهم لبعض. قال تعالى: { يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ

---

[5] القرآن الكريم، الحجرات13

[6] القرآن الكريم، الإسراء 70

[7] اين عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس سنة 1984م، 15/ 166



الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[8]، جاء في تفسير فخر الدين الرازي قوله: "فَالْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ هَذَا الْمَعْنَى أَنْ يَصِيرَ ذَلِكَ سَبَبًا لِزِيَادَةِ شَفَقَةِ الْخَلْقِ بَعْضِهِمْ عَلَى الْبَعْضِ"[9].

ومن تكريم الإنسان في الإسلام ضمان حقوقه وترتيبه على الإخلال بها حدودا وتعزيرات كما هو مبين في كتب الفقه والسياسة الشرعية، فالتعايش السلمي لا يقوم إلا على التساوي بين الناس، لأن التمييز العنصري أو التعالى على المخالف يؤدي إلى الصراع والاضطراب في المجتمعات البشرية، والتاريخ شاهد على توالي الصراعات والحروب التي كان سببها الصراع العرقي أو المذهبي أو غيره داخل المجتمع الواحد، وبين المجتمعات المختلفة.

المطلب الثاني: إقرار سنة الاختلاف

إن من آيات الله عز و جل أن جعل الناس مختلفين في ألسنتهم وألوانهم، وتصوراتهم ومعتقداتهم، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ}[10] ، وقال أيضا: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[11] ، ونفس المعنى نجده في قوله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[12].

إن الآيات الكريمة تدل في مجملها على أن الاختلاف بين الناس من سنن الربوبية في الكون، ولذلك خلقهم الله عزوجل، إلا ان هذا الاختلاف لا يجوز أن يكون سببا في التنافر والشقاق، بل ينبغي أن يكون محفزا على التعارف والتعاون على البر والمصالح المشتركة لإقامة العمران الإنساني. يقول الدكتور عباس الجيراري في هذا الصدد: "إن السر في ترك الاختلاف يرجع إلى أن الإسلام يدعو إلى الإيمان، الذي يقوم على النظر والتأمل والاختيار، ويرجع كذلك إلى أن الله تبارك وتعالى أتاح الفرصة لمن يومن ويعمل الصالحات كي ينال حسن الثواب والجزاء، بالقياس إلى من لايؤمن ولا يعمل الصالحات

---

[8] القرآن الكريم، النساء: 1

[9] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 1420هـ، 9/ 477

[10] القرآن الكريم، الروم: 22

[11] القرآن الكريم، هود: 118، 119

[12] القرآن الكريم، المائدة: 48



وما ينتظره من وعيد؛ لأن الإسلام حين يبيح الحرية الدينية، يعتبر أن النظر في الخلاف حولها متروك لله الذي يقول: {فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[13]}"[14].

ج– حرية العقيدة

في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى حرية الاعتقاد، وأن الله تعالى يحب أن يعبد طوعا لا كرها، منها قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[15]، قال ابن كثير : "أَيْ لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ بَيِّنٌ وَاضِحٌ، جَلِيٌّ دَلَائِلُهُ وَبَرَاهِينُهُ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكْرَهَ أَحَدٌ عَلَى الدُّخُولِ فِيهِ، بَلْ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ، وَنَوَّرَ بَصِيرَتَهُ، دَخَلَ فِيهِ عَلَى بَيِّنَةٍ، وَمَنْ أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُفِيدُهُ الدُّخُولُ فِي الدِّينِ مُكْرَهًا مَقْسُورًا"[16] ، وقوله عز وجل: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[17]. كما بين القرآن الكريم أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم هي البلاغ للرسالة الإلهية، قال تعالى: { وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[18]، وقال أيضا: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}[19]، وتتجلى حرية العقيدة في القرآن الكريم من خلال الآيات البينات التي تدعو إلى التدبر والتفكر في الكون، لسلوك الطريق الأمثل الموصل إلى العقيدة الصحيحة، وإلى السعادة الأبدية، منها قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[20]، وقوله عز وجل: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}[21]، إلا أن الفهم الخاطئ لحقيقة الجهاد أفرز صراعات دامية أزهقت أرواح الأبرياء والمستضعفين، وحالت دون التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، لذلك كانت الحاجة داعية لتصحيح مفهومه، ومعالجة شيئ من المفاهيم المنحرفة التي

---

[13] القرآن الكريم، البقرة: 113

[14] عباس الجيراري، مفهوم التعايش السلمي في الاسلام،منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة،سنة 1417هـ/1996م، ص 19

[15] القرآن الكريم، البقرة:256

[16] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة 1420هـ/1999م، 1/ 521

[17] القرآن الكريم، يونس: 99

[18] القرآن الكريم، الكهف: 29

[19] القرآن الكريم، الأنعام: 107

[20] القرآن الكريم، فصلت: 53

[21] القرآن الكريم، الذاريات: 20 – 22



ألصقت به، علما بأن الإسلام دين السلام، يهدف إلى نشر الأمن والاطمئنان، والقضاء على الخوف والقلق في نفسية الفرد والجماعة، ولذلك حرم التعدي بكل أنواعه، وشدد العقوبة عليه، واعتبره تعديا على الناس جميعا، فالجهاد في اللغة مصدر الفعل الرباعي "جاهد" على وزن فعال، بمعنى المفاعلة من طرفين، مثل "الجدال" مصدر "جادل". وأما الفعل الثلاثي للكلمة فهو "جهد" ويعني لغة بذل الجُهد، أي الوسع والطاقة، أو تحمل الجَهد، أي المشقة للوصول إلى غاية. وقيل إن الجهد بضم الجيم والجهد بفتحها لغتان [22]، ومنه قول الله تعالى: "جهد أيمانهم"[23]، أي بالغوا في اليمين واجتهدوا فيها. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "فغطني حتى بلغ مني الجهد"[24].

استعمل القرآن الكريم مفردة الجهاد بمعناها اللغوي في مواضع عديدة منها قوله تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين"[25]، وقوله عز وجل: "وجاهدوا في الله حق جهاده"[26] ، فالمعنى اللغوي للجهاد عام يعني الصبر وتحمل الأعباء للوصول إلى غاية معينة، والجهاد في الإسلام كما يقول الراغب الأصفهاني[27] على ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس. وقبل الحديث عن جهاد العدو الظاهر الذي تحكمه ضوابط شرعية دقيقة لا يجوز إلا في ضوئها، تجدر الإشارة إلى أن جهاد النفس وتزكيتها، واتخاذ الشيطان عدوا لها مقدم على ذلك كله، لأن الإنسان ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج. لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله"[28]، والمقصود بجهادها، بذل الوسع والطاقة لحملها على امتثال أوامر الله عز وجل واجتناب نواهيه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكيس

---

[22] – الخليل الفراهيدي، العين، دار الرشيد للنشر، سنة 1400هـ/1980م، ج 3/ص386
– لسان العرب لابن منظور ج 3/ ص 138

[23] القرآن الكريم، المائدة 53

[24] رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم3، ومسلم في صحيحه كتاب الايمان باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم 252.

[25] القرآن الكريم، العنكبوت 69

[26] القرآن الكريم، الحج 78

[27] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، سنة 1412هـ، ص 101

[28] رواه أحمد في مسنده من حديث فضالة بن عبيد رقم 23966.



من دان نفسه وعمل لما بعد الموت"[29]. وقد بين القرآن الكريم حقيقة النفس الإنسانية، وأشار في آيات عديدة إلى أن الالتزام بمنهج الله تعالى ثقيل عليها، فقال في شأن الصلاة: "وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين" [30]، ووصفها بالحب الشديد للمال فقال: "وأحضرت الأنفس الشح"[31]، وقال أيضا: "وتحبون المال حبا جما"[32]، ووصف الإنسان بقوله: "وكان الإنسان عجولا"[33] ، وبقوله: "إنه كان ظلوما جهولا"[34] .

إن النفس الإنسانية قابلة للفجور والتقوى، لذلك وجب على الإنسان أن يبذل قصارى جهده لتهذيبها وتزكيتها، فهي تحتاج إلى رياضة وتربية ومحاسبة؛ لتؤتي أكلها وتطمئن لتعاليم الشريعة وأحكامها. قال تعالى: "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"[35]، وهو جهاد كبير في ذات الله تعالى، قال عز وجل: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين" [36]، فحقيقة الجهاد في الله أن يسخر المسلم جميع ما آتاه الله من القوى والطاقات في سبيل حمل نفسه على طاعة الله وحسن عبادته، ومن هنا ورد في الحديث الشريف تسمية الحج بالجهاد، لما فيه من بذل الجهد وتحمل المشقة، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: "نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال صلى الله عليه وسلم: لكن أفضل الجهاد حج مبرور[37]"، كما أشار القرآن الكريم إلى أن السعي في طلب العلم يعتبر ضربا من الجهاد فقال تعالى: "فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"[38]، وهو ما أكده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"[39]. كما أن رعاية الوالدين، وخصوصا في حالة الكبر تعد نوعا من الجهاد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:"جاء رجل إلى نبي الله يستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ قال: نعم،

---

[29] رواه ابن ماجة في سننه، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم 4260، وأحمد في مسنده من حديث شداد بن أوس رقم17123.

[30] القرآن الكريم، البقرة 45

[31] القرآن الكريم، النساء 128

[32] القرآن الكريم، الفجر 20

[33] القرآن الكريم، الاسراء 11

[34] القرآن الكريم، الأحزاب 72

[35] القرآن الكريم، الشمس 7-8-9- 10

[36] القرآن الكريم، العنكبوت 69

[37] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم 1520.

[38] القرآن الكريم، التوبة 122

[39] رواه الترمذي في سننه، باب فضل طلب العلم، رقم 2647.



قال: ففيهما فجاهد"[40]. ومن رج يضرب في الأرض ويلتمس الرزق في خباياها مبتغيا من فضل الله، إن كان خرج يسعى ليعول أبناءه أو أبويه، أو ليعف نفسه عن مسألة الناس، فهو في جهاد معتبر يتقرب به صاحبه إلى الله تعالى إذا صلحت النية

ذلك هو المعنى العام للجهاد في ديننا الحنيف، وهو أوسع دائرة من القتال. فدائرة الجهاد تتسع للقتال ولغيره من أنواع الجهاد الأخرى، والمؤمنون مطالبون بأن يجاهدوا في الله حق جهاده. ومن الدلائل أن الجهاد لا يصرف دائما للقتال أنه ذكر في آيات القرآن المكي قبل أن يشرع القتال في المدينة المنورة، كقوله تعالى: "إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"[41]، فالآية تتحدث عن الذين هاجروا من بعد ما فتنوا، أي من بعد ما أوذوا وعذبوا، وهي تتحدث عن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة في العهد المكي، فالجهاد هنا جهاد الصبر والاحتمال، وتبليغ معاني الإسلام بالحال والمقال؛ كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم في الحبشة.

وذكر الله عز وجل الجهاد في سورة العنكبوت، وهي مكية فقال تعالى: "وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ"[42]، وختمت السورة بقوله تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ"[43] ، والمراد جهاد النفس والشيطان. وجاء في سورة الفرقان وهي مكية أيضا قوله تعالى: "وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا" [44]، حيث يأمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بجهاد الكافرين بالحجة والبيان وتبليغ القرآن، ووصف جهاده هذا بقوله: "جهادا كبيرا" للدلالة على أهميته وعظيم منزلته.

سبقت الإشارة إلى أن مفهوم الجهاد في الإسلام لا ينصرف دائما للقتال، فالجهاد مفهوم واسع. فهو سمو بالنفس وتزكيتها، ودفاع عن الحق ودعوة إليه باللسان، إلا أنه قد يكون أعمالا حربية، إلا أنها حرب دفاعية لا تجبر الناس على الدين، مصداقا لقوله تعالى: "لا إكراه في الدين" [45]، لأن أصل العلاقة مع غير المسلمين هي التعايش والسلام، وقد

---

[40] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، رقم3004، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، رقم 2549.

[41] القرآن الكريم، النحل 110

[42] القرآن الكريم، العنكبوت 6

[43] القرآن الكريم، العنكبوت 69

[44] القرآن الكريم، الفرقان 52

[45] القرآن الكريم، البقرة 256



دعا الإسلام المسلمين إلى التسامح والتعايش المشترك، وجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ترفض التشدد والتعصب، وتدعو المسلمين أن يتعايشوا مع بعضهم ومع الآخرين في ظل المبادئ والقيم الإنسانية. وقد أشار الطاهر بن عاشور عند تفسير قوله تعالى: "{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ" [46]، إلى أن القتال المأذون فيه هو قتال جزاء على اعتداء، إلى أن قال: "وكان هذا شرعا لأصول الدفاع عن البيضة"[47].

يرى جمهور الفقهاء أن هذا النوع من الجهاد فرض كفاية، إن لم يقم به من يكفي من الناس أثموا جميعا. فهو من فروض الكفايات في قول عامة أهل العلم، إلا أنه قد يصير فرض عين عند استنفار الإمام لفرد أو طائفة معينة، فلا يحل لهم التخلف إلا بعذر، لأن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر في قوله: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ"[48]، وهذا في كل ما يأمر به الإمام ويرى فيه مصلحة، وقال تعالى مخاطبا المؤمنين للتحريض على الجهاد في سبيل الله بطريقة العتاب على التباطئ في إجابة دعوة النفير إلى الجهاد: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ"[49] ، وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"[50]، وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: "الغزو غزوان، فأما من ابتغى وجه الله ، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبهه أجر كله"[51]. فإذا استنفر ولي الأمر فردا معينا ليقوم بمهمة عسكرية، وجبت طاعته كما تجب على الجماعة؛ إذ العلة واحدة.

وشرع هذا النوع من الجهاد في ديننا الحنيف لمنع الظلم ورد العدوان، وإنقاذ المستضعفين وإسعافهم، قال تعالى: "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا"[52].

---

[46] القرآن الكريم، الحج 39

[47] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/ 313

[48] القرآن الكريم، النساء 59

[49] القرآن الكريم، التوبة 38

[50] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، رقم 2783، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام، رقم 1353.

[51] رواه أأبو داود في سننه، باب في من يغزو يلتمس الدنيا رقم 2515، والنسائي في سننه، باب التشديد في عصيان الإمام رقم 4195.

[52] القرآن الكريم، النساء 75



هكذا نرى أن الجهاد عبارة عن قانون شرعه الله تعالى ليحمي الانسان من ظلم أخيه الإنسان، فهو حرب دفاعية تخضع لكل معايير الفضيلة، فلا يجوز فيها الإفراط في استعمال القوة إلا بقدر تحقيق الغرض، ولهذه الحرب ضوابطها الدقيقة في الحفاظ على المدنيين والضعفاء من الرجال والنساء والولدان، والمحافظة على الأشجار المثمرة والحيوانات، والمنع من إيذاء غير المقاتلين، والاحترام الشديد للمعاهدات. إلا أنه لابد من التنبيه في هذا الصدد بأن الجهاد في سبيل الله من مسائل السياسة الشرعية، وهو مرتبط بولي الأمر، فلا يجوز لأحد أن يحمل سلاحه معلنا الجهاد في سبيل الله، ويقوم

بإثارة الفتن والخروج على ولي الأمر، ثم يقوم بقتل من لا يرى رأيه، ويحكم بردتهم أو كفرهم، ويعتقد أنه يجاهد. فولي الأمر هو الذي يدعو إلى النفير ويدرب الجيش، وهذا ما أجمعت عليه الأمة، واعتبر الجهاد من أحكام الإمامة؛ لأنه

واجب خطير لابد أن يقوم على اجتماع الكلمة، وأن يكون على يد القائد الذي يتمتع بالسلطة النافذة، بحيث تنقاد له الجموع، وتستجيب له الجيوش، وهذا كله لايمكن وجوده إلا بولي الأمر، فلا يعلم خلاف بين أهل العلم في أن سياسة الجهاد إعلانا وتسييرا وإنهاء ونظرا لمآله وآثاره، كل ذلك داخل في أحكام الإمامة، لا يجوز لأحد من المسلمين أن يستقل بها دون إذن الإمام ومشورته.

وقد بين العلماء أن المطلوب الذي يؤدى به فرض الكفاية في عصرنا أن يكون للمسلمين جيش قوي مرهوب الجانب، ومسلح بأحدث الأسلحة، وعلى أعلى مستوى من التدريب، فينشر قواته في كل الثغور البرية والبحرية، بحيث لا يترك نقطة يخشى منها دون أن يهيئ لها أسباب الحماية والمنعة. فإعداد القوة الرادعة أمر الله تعالى به الأمة جميعا في قوله سبحانه: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"[53] ، وهذا أمر تتفق عليه كل دول العالم اليوم.

هكذا نخلص إلى أن كلمة الجهاد تشمل أنواعا كثيرة من السعي وبذل الجهد، فهي تبدأ من جهاد النفس وهواها، ومقاومة الشر بداخلها، وتستمر مع السعي الدؤوب لإقامة الحق وخدمة الوطن، والكفاح ضد الظلم والعدوان، لذلك على المسلمين أن يخلصوا في تعليم أبنائهم، وتنشئتهم على حب الوطن والاعتزاز به، والعمل على الارتقاء به علميا وحضاريا، وكذلك العمل على تنمية روح العمل الجماعي وتجنب العشوائية في الأعمال، فهذا كله يعد ألوانا مختلفة من

[53] القرآن الكريم، الأنفال 6



الجهاد، والذي لا يقتصر على جهاد الأعداء في الحروب. أما هذا الأخير فيرتبط بفقه السياسة الشرعية، إذ إن الركن الأساس لمشروعيته أن يصدر الأمر به من ولي الأمر وفق تقدير وتوقيت محددين، وليس أمر السلم والحرب بيد غيره، لئلا يتحول الأمر إلى عصابات إجرام وفوضى اجتماعية، وفتن داخلية وخارجية.

المطلب الرابع:الحوار والتسامح

إن الحوار مع المخالف، سواء من المسلمين أو غيرهم، أساس من أسس التعايش بين الأفراد والجماعات؛ لأننا بينا أن الله تعالى كرم بني آدم على كثير ممن خلق تفضيلا، وجعل العقل مناط التكليف وأصله، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين؛ يبينون رسالات الله عز وجل ويدعون إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلون بالتي هي أحسن، وأشرنا إلى أن حرية العقيدة أساس من أسس التعايش السلمي؛ لأن ديننا الحنيف يرفض الإكراه لنشر تعاليمه السمحة، فالحوار مبدأ راسخ في القرآن الكريم؛ يتجلى من خلال الآيات العديدة المكية منها والمدنية ،التي تدل بمنطوقها ومفهومها على أنه الوسيلة الناجعة لإيصال الحقيقة والتواصل بين الناس بمختلف مللهم ونحلهم، وترشدنا إلى أهميته في حياة الناس، وتعلمنا حسن الاستماع إلى الآخرين، كما شمل القرآن الكريم آيات كثيرة تخاطب العقل البشري وتدعوه إلى التفكر والتدبر بمختلف أنواعه.

بالنظر في آيات القرآن الكريم نلاحظ تنوع الصور والمواضيع التي تم حولها الحوار؛ فهناك آيات تحدثت عن الحوار الذي وقع قبل الإسلام للتدبر والاعتبار؛ من ذلك ما ذكر من حوار بين الباري عز وجل وملائكته الكرام في قصة خلق الإنسان، وسؤال الملائكة لرب العالمين، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[54]، فاستجابت الملائكة لأمر الله تعالى كما قال عز من قائل: {فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ31 }[55]، وقد سأل الله تعالى إبليس عن سبب عصيانه فقال سبحانه:{قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[56]، كما تحاور سيدنا نوح وهود

[54] القرآن الكريم، البقرة: 30

[55] القرآن الكريم، الحجر: 30، 31

[56] القرآن الكريم، الحجر: 32، 33



وإبراهيم وشعيب وموسى عليهم السلام مع أقوامهم، وقص علينا القرآن الكريم محاوراتهم، وجاء في القرآن الكريم حوار جرى بين رجلين أنعم الله تعالى على أحدهما بجنتين، آية في الجمال وتنوع الثمار، فسولت له نفسه فاغتر بما عنده، وأنكر الإيمان والدار الآخرة، فكان صاحبه المؤمن يحاوره بأدب، وينصحه بلطف، قال سبحانه وتعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا }[57]، وفي نهاية القصة ندم الرجل على ما اقترف، قال تعالى مخبرا عنه: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا}[58]، ونتعلم من هذه القصة أدب الحوار واستخدام اللين مع الآخرين.

كم نجد في القرآن الكريم نماذج كثيرة من حوار المعاصرين لنزول الوحي من مشركين وغيرهم. وقد تنوعت أساليب هذه الأنواع المتباينة من الحوار بين الأسلوب الوصفي التصويري، الذي يلفت النظر إلى الكون الفسيح وبديع صنعه، والأسلوب الحجاجي الذي يرد على المنكرين والجاحدين للحقيقة بالبراهين الساطعة والحجج الدامغة. كما بين القرآن الكريم أن من أسباب نجاح الحوار الهادف الابتعاد عن الجدال بالباطل؛ لأنه يستخدم لقلب الحقيقة من غير هدى ولا دليل، ولا حجة ولا برهان، قال تعالى{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ }[59]، فالحوار الهادف ينجح بالحكمة، وباستخدام أفضل السبل للإقناع، فالحوار بالتي هي أحسن يستلزم احترام الآخر، والصبر عليه، وعدم مقاطعته أثناء حديثه، أو بيان رأيه، كما يستلزم حسن الظن به، والحرص على عدم تحويل الحوار إلى جدل وخصام، فمنهجية الحوار في القرآن الكريم تعلمنا أنه يكون من أجل تصحيح الأفكار، والوصول إلى النتائج الطيبة التي تخدم مصالح الناس، وتسهم في تقدم المجتمع، فبالحوار الهادئ تزداد الأسرة تماسكا، ويتفاهم الأصدقاء مع بعضهم، وبالحوار ننجح في الوصول إلى التعايش بين أفراد المجتمع الواحد، وبين المجتمعات الأخرى مهما تباينت مللها ونحلها، ونحقق معاني القيم الإنسانية والحضارية، مصداقا لقوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[60].

---

[57] القرآن الكريم، الكهف: 37

[58] القرآن الكريم، الكهف: 42

[59] القرآن الكريم، الحج: 3

[60] القرآن الكريم، آل عمران: 110



لا يمكن للحوار أن يؤتي أكله إذا لم يصاحبه نوع من التسامح ولين الجانب مع المسلم وغيره، لأن التسامح من قيم الإسلام الكبرى التي تميزت بها تعاليم ديننا الحنيف في جميع جوانبه الظاهرة والباطنة، والفردية والجماعية. وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»[61]، السمحة في اللغة تعني اليسر

والسهولة، قال الزبيدي: "الحنيفية السمحة هي الملة التي ما فيها ضيق ولا شدة"[62]، وقال ابن حجر العسقلاني عند شرحه لهذا الحديث:"الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَالْحَنِيفُ فِي اللُّغَةِ مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَسُمِّيَ إِبْرَاهِيمُ حَنِيفًا لِمَيْلِهِ عَنِ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ لِأَنَّ أَصْلَ الْحَنَفِ الْمَيْلُ، وَالسَّمْحَةُ السَّهْلَةُ أَيْ أَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى السُّهُولَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّة أبيكم إِبْرَاهِيم}[63] "[64]. وقد ذكرت الحنيفية في القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة منها قوله عز وجل: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُو}[65]. ووصف الحنيفية بالسمحة؛ وهي من السماح بمعنى اليسر والسهولة في جميع المعاملات؛ لبيان أن المسلم يطلب الحق ويدعو إليه، ولا يميل عنه إلى غيره من التيارات والاتجاهات الباطلة، لكنه يوغل فيه برفق، ويلتزم السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه، ويتعامل مع المخالف من المسلمين أوغيرهم برحابة صدر تفسح المجال للتعبير عن الآراء دون إكراه أو إجبار.

ومعلوم أن لفظ التسامح لم يرد صريحا في القرآن الكريم إلا أن الدعوة إليه تكررت في ثنايا آيات عديدة بألفاظ مختلفة كقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[66]، وعبر عن التسامح بالعفو في قوله عز وجل: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَن

---

[61] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين ويسر، وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة.

[62] مرتضى الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية للنشر، مادة سمح 6/ 485

[63] القرآن الكريم، الحج 78

[64] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار الفكر، بيروت، سنة 1416هـ/1996م، 1/ 94

[65] القرآن الكريم، البقرة: 135، 136

[66] القرآن الكريم، النحل: 125



الْجَاهِلِينَ}[67]، وإن كان العفو يمثل درجة أعلى من التسامح، جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية ما نصه: "عن أبي الزُّبَيْرِ: خُذِ الْعَفْوَ، قَالَ: مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ، وَاللَّهِ لَآخُذَنَّهُ مِنْهُمْ مَا صَحِبْتُهُمْ، وَهَذَا أَشْهَرُ الْأَقْوَالِ، وَيَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ،

وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ جَمِيعًا: حَدَّثَنَا يُونُسُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ هُوَ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أُمَيٍّ قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ"[68]. إلا أنه لابد من الإشارة

إلى أن التسامح في الإسلام الذي يعد أساسا وركنا أصيلا من أسس التعايش السلمي في المجتمع الإسلامي، وبين هذا المجتمع وغيره من المجتمعات الأخرى، لا ينبغي أن ينظر إليه من جانبه الاجتماعي فحسب، وتهمل الجوانب الأخرى، "فكثيرا ما تستخدم هذه الكلمة في المسائل الاجتماعية، حتى إنها توحي بأنها من مفرداتها، أو من مصطلحاتها، إلاأنه من المصطلحات ذات المعنى العام والشامل، إذ لا يقتصر على الجانب الاجتماعي فحسب، إنما يتعداه إلى الجانب الاقتصادي والسياسي، وله علاقة عامة وشاملة في كل جوانب العلم والمعرفة، وله دور في مختلف أبعاد الحياة"[69].

لا بد من التأكيد على أنَّ التسامح من تعاليم ديننا السمحة المعتدلة، بل هو ممّا يدعو إليه ويرتب عليه وعدا وجزاء، فهو قاعدة راسخة، وفضيلة أخلاقية، وضرورة بشرية، وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها إدارة صحيحة هادفة، لا سيما وأن رسالة الإسلام عالمية تتجه بمبادئها السمحة وتعاليمها المعتدلة للناس كافة، فهي تأمر بالعدل والسماحة، وتنهى عن الظلم والعنف، وتُرسي دعائم السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعاً في جوٍّ من الإخاء الإنسانيّ والتسامح بين كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم،وأوطانهم.

المبحث الثالث: مظاهر التعايش السلمي من خلال القرآن الكريم

إن ما توصلنا إليه من نتائج من خلال البحث في أسس التعايش السلمي في القرآن الكريم يبين لنا أن المسلمين يملكون آليات التواصل والتعايش السلمي والتعاون على البر والإصلاح في الأرض، سواء على المستوى الداخلي بين المسلمين

---

[67] القرآن الكريم، الأعراف: 199

[68] ابن كثير، تفسير ابن كثير 3/ 380

[69] إصدارات الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف، التسامح من ملامح الوسطية في الإسلام ص 25



أنفسهم، أوبينهم وبين غيرهم من الأقليات الدينية في المجتمع المسلم، أوعلى المستوى الخارجي بين المسلمين وغيرهم من المجتمعات الأخرى المخالفة في الدين والأعراف وغيرها، وهو ما سنتعرف عليه من خلال النقاط التالية:

المطلب الأول: التعايش بين المسلمين في مجتمعهم

إن العلاقة التي تربط المسلمين فيما بينهم هي علاقة الأخوة المبنية على المودة والرحمة والنفس الواحدة، قال تعالى: "{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}[70]، جاء في البحر المديد ما نصه: "وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ"، ولا يعيب بعضكم بعضاً بالطعن في نسبه أو دينه، واللمز: الطعن والضرب باللسان، والمؤمنون كنفس واحدة، فإذا عاب المؤمنُ المؤمنَ فقد عاب نفسه"[71]. فهم

إخوة في الدين يؤيد بعضهم بعضا، ويسانده وينصره ظالما أو مظلوما، فإن كان مظلوما أخذ له حقه، وإن كان ظالما رده عن ظلمه، ولذلك قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[72]، لا ينبغي أن تكون بينهم شحناء ولا بغضاء، ولذلك قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "تَعْلِيلٌ لِإِقَامَةِ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اسْتَشْرَى الْحَالُ بَيْنَهُمْ، فَالْجُمْلَةُ مَوْقِعُهَا مَوْقِعُ الْعِلَّةِ، وَقَدْ بُنِيَ هَذَا التَّعْلِيلُ عَلَى اعْتِبَارِ حَالِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ كَحَالِ الْإِخْوَةِ. وَجِيءَ بِصِيغَةِ الْقَصْرِ الْمُفِيدَةِ لِحَصْرِ حَالِهِمْ فِي حَالِ الْإِخْوَةِ مُبَالَغَةً فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْحُكْمِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ قَصْرٌ ادِّعَائِيٌّ أَوْ هُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ لِلرَّدِّ عَلَى أَصْحَابِ الْحَالَةِ الْمَفْرُوضَةِ الَّذِينَ يَبْغُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ مَجَازًا عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ زِيَادَةً لِتَقْرِيرِ مَعْنَى الْأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ حَتَّى لَا يَحِقَّ أَنْ يُقْرَنَ بِحَرْفِ التَّشْبِيهِ الْمُشْعِرِ بِضَعْفِ صِفَتِهِمْ عَنْ حَقِيقَةِ الْأُخُوَّةِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا دَلَالَةٌ قَوِيَّةٌ عَلَى تَقَرُّرِ وُجُوبِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّ شَأْنَ إِنَّمَا أَنْ تَجِيءَ لِخَبَرٍ لَا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يَدْفَعُ صِحَّتَهُ أَوْ لِمَا يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ ذَلِكَ"[73]. وهذه الأخوة الدينية ترنو على أخوة الدم والنسب، فيصبح خلق الإيثار ديدن الأخ تجاه أخيه يوثره على نفسه، ويخصه بما هو أحوج إليه منه، وهو ما أثنى به الله عز وجل على صحابته الكرام الذين فقهوا حقيقة الأخوة الدينية، فقال عز من قائل:

---

[70] القرآن الكريم، الحجرات: 11

[71] ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد، طبعة ار الكتب العلمية، ط2، 1423هـ-2002م، 5/ 427

[72] الحجرات: 10

[73] ابن عاشور، التحرير والتنوير 26/ 243



{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[74]، وهو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[75].

ومن مظاهر التعايش السلمي في المجتمع الإسلامي ما يدعو إليه الإسلام من التعاون والتكافل بين أعضائه، والتوازن بين الحقوق والواجبات في الأحكام التشريعية. فشريعتنا الغراء تلزم المسلمين أن يَسُود بينهم التعاون والتكافل والتآزر في المشاعر والأحاسيس، فضلاً عن التكافل في الحاجات والمادِّيات، ومن ثَمَّ كانوا بهذا الدين كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا، فالتكافل الاجتماعي في الإسلام مظهر من مظاهر التعايش السلمي بين المسلمين، وهو ليس مقصورًا على النفع المادِّي، –وإن كان ذلك ركنًا أساسيًّا فيه – بل يتجاوزه إلى جميع حاجات المجتمع، أفرادًا وجماعات؛ مادِّيَّةً كانت تلك الحاجات أو معنوية، يقول الدكتور فاروق حمادة: "إن الخلق عيال الله؛ فهو الذي يرزقهم؛ فمن كان ناصحا للخلق، ساعيا في منافعهم، ميسرا لحاجاتهم، ساهرا على راحتهم، كان قريبا من الله، محبوبا عنده، مثالا يحتذى، وإماما يقتدى، فإذا كثر هذا الصنف في الناس فقد ظهر مجتمع الجسد الواحد الذي تتساند فيه وتتعاضد جميع أطرافه"[76].

وتعاليم الإسلام وأحكامه من عبادات ومعاملات كلها تؤكِّد التكافل بمفهومه الشامل بين المسلمين؛ ولذلك نجد المجتمع الإسلامي يرفض الأثرة والفردية، ويحرص على الأخوة الصادقة، والعطاء الدائم، والتعاون على البِرّ والتقوى، لأن كل فرد في المجتمع المسلم يعد لبنة في بناء المجتمع كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو يشعر بمسؤوليته في هذا البناء، وبالأمانة التي حمله إياها رب العالمين ورتب على الوفاء بها وعدا وفلاحا، وعلى الإخلال بمتطلباتها وعيدا وخسرانا، قال تعالى:{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[77]، وقال أيضا: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا

---

[74] القرآن الكريم، الحشر: 9

[75] رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم 2586.

[76] الدكتور فاروق حمادة، بصائر وأفكار، الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدةط1/ سنة 1434هـ، ص 8

[77] القرآن الكريم، التوبة: 105



وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}[78]، فالمسلم حينما يشعر بالمسؤولية والأمانة الملقاة على عاتقه، يكون نافعا لنفسه ومجتمعه، وباذلا كل ما يملكه من جهد في ميدانه ومجال تخصصه، كل ذلك برفق ولين جانب، وتعايش دائم بين أفراد مجتمعه، سواء الصغير أوالكبير، أوالغني أوالفقير.

المطلب الثاني: التعايش بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الإسلامي

إن القرآن الكريم وضع قواعد متينة للتعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم لما بين أن الناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة، وأن الإنسان مكرم لإنسانيته دون النظر إلى دينه، أو لونه، أو جنسه، قال تعالى: {ولقد كرَّمنا بني آدم}[79]، وما اختلاف البشرية في ألوانها، وأجناسها، ولغاتها، إلا آية من الآيات الدالة على عظيم قدرة الخالق سبحانه وتعالى، قال عز وجل: {ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالِمين}[80]،

والإسلام يعترف بالتسامح الديني الذي يتيسر معه التعايش السلمي بين أفراد المجتمع، فيكفل لغير المسلمين حقوقهم في حفظ كرامتهم، وحرية ممارسة عقائدهم، واحترام مقدساتهم، بالإضافة إلى حق اندماجهم في المجتمع يمارسون حياتهم ومعاملاتهم بحرية دون حجر أو تقييد. فقد كانت لهم الحرية التامة في التنقل والحركة وممارسة أي نوع من أنواع التجارة والنشاطات الاجتماعية المختلفة.

إن مما يساعد على التعايش السلمي في المجتمع الإسلامي، قيام أواصره على مبدإ العدل ونبذ الظلم وإن كان ذلك مع المخالف في الدين. علما بأن العدل دأب جميع الأنبياء والمرسلين، وبه يسود الأمن والسلام، وتتلاقح الأفكار والثقافات، وتبنى الدول والحضارات. فالعدالة في الإسلام تقتضي الإنصاف، وقول الحق ولو على نفس الإنسان أو أهله، وهي واجبة في كل حين وعلى كل حال، مصداقا لقوله عز وجل: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى }[81]. كما أن النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، يجعل العلاقة متينة بين المسلمين وغيرهم،

---

[78] القرآن الكريم، الأحزاب: 72

[79] القرآن الكريم، الإسراء 70

[80] القرآن الكريم، الروم 22

[81] القرآن الكريم، المائدة: 8



كما تظهر لنا مظاهر التعايش السلمي بين المسلمين وأهل الكتاب من خلال إباحة مصاهرتهم، وأكل طعامهم، إذ قال تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ}[82]. ويطلق الإسلام على أهل الكتاب المنضوين تحت لواء المجتمع الإسلامي أهل الذمة، أي أهل العهد والأمان الذي التزم به المسلمون تجاههم، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على حفظ هذا العهد بقوله: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"[83]، وقال أيضا: " ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة"[84].

وقد بين عليه الصلاة والسلام للعالمين بسنته العملية كيف يكون التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم في بلاد الإسلام؛ ذلك أنه لما هاجر إلى المدينة المنورة، وجد فيها أتباعه من المسلمين، إضافة إلى بعض المشركين العرب، وقبائل يهودية، فأقام حلفاً مبنيّاً على التكافؤ والعدالة بين المسلمين واليهود، فلم يطرد اليهود من المدينة، وإنما اعترف بدينهم، وترك لهم حرية ممارسة شعائرهم، ولم يتعرض لها بإهانة أو احتقار، بل كان يدعوهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وعندما حارب النبي صلى الله عليه وسلم اليهود، لم يحاربهم بسبب الاختلاف معهم في الدين، وإنما كان سبب الحرب معهم هو نقضهم للمعاهدات التي كانت بينهم وبين المسلمين، إضافة إلى سعيهم الدائم لتأليب العرب والمشركين ضد النبي صلى الله عليه وسلم ودعوة الإسلام، فالحرب كانت دفاعية وقائية بالدرجة الأولى، ولما توسعت رقعة الدولة الإسلامية زمن النبي صلى الله عليه وسلم، كان هناك مجموعة كبيرة من القبائل المسيحية العربية وبخاصة في نجران، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن أقام معهم المعاهدات التي تؤمن لهم حرية المعتقد، وممارسة الشعائر، وصون أماكن العبادة، إضافة إلى ضمان حرية الفكر والتعلم، فلقد جاء في معاهدة النبي لأهل نجران: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأرضهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته "[85].

---

[82] القرآن الكريم، المائدة 5

[83] رواه ابن ماجة في سننه، باب من قتل معاهدا، رقم 2686.

[84] رواه أبو داود في سننه، باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، رقم 3052.

[85] ابن هشام، السيرة النبوية، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى سنة 1375هـ/1955م، 2/ 573- 574



فالأقليات الدينية في المجتمع الإسلامي آمنون مطمئنون، يتمتعون بكامل حقوق ما يعرف في عصرنا الحالي بالمواطنة، بل إن التاريخ الإسلامي يشهد على توليهم المناصب العليا في الدولة يسهمون في بناء المجتمع وتطوره، وينعمون بخيراته في ظل التعايش السلمي والتعاون المجتمعي الذي أنتج حضارة عمت أنوارها مشارق الأرض ومغاربها.

المطلب الثالث: تعايش المسلمين مع غيرهم من المجتمعات الأخرى

يتجلى تعايش المسلمين مع غيرهم من المنتمين لمجتمعات أخرى غير المجتمع الإسلامي في السلم الذي ينشده الإسلام ويدعو إليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[86]، وقال أيضا: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[87]، فالسلم ضد الحرب، جاء في تفسير المراغي: "وإذا كان السلم هو المقصد الأول لا الحرب، أكده بقوله:(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) أي وإن مال العدو عن جانب الحرب إلى جانب السلم ولم يعتز بقوته فاجنح لها، لأنك أولى بالسلم منهم"[88]. فالمسلم أحرص على السلم من غيره لأنه مبدأ أصيل في الإسلام الذي اشتق لفظه من السلم والأمان، ومن أسماء الله عز وجل

الحسنى "السلام" ويدعو لدار السلام بقوله: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[89]، فهي دار الأمن والطمأنينة، والراحة والسكينة. كما أن الوفاء بالعهود، ومنع العدوان، وإيثار السلم على الحرب إلا للضرورة، وإقامة العدل والإنصاف، ودفع الظلم، من القواعد الأساسية لتحقيق السلام بين الشعوب والمجتمعات، فلا يعتدي أحدٌ على حق أحدٍ، ولا يظلم أحدٌ أحدًا، فالإسلام يسعى دائما الى استقرار الأمة الاسلامية، كما يسعى الى استقرار علاقات المسلمين بالأمم الأخرى، لكن تعايش المسلمين مع غيرهم من المجتمعات الأخرى لا يعني الخضوع والاستسلام لهم في كل صغيرة وكبيرة، ولكن يعني أخذ الحق وتبادل المصالح وتنمية القواسم المشتركة التي تعود بالنفع على المسلمين وغيرهم في الميادين المختلفة؛ وذلك بالحوار البناء، وعقد الاتفاقيات والمعاهدات، والالتزام بالقيم الإنسانية التي يلتقي حولها الناس مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم. ولا يلجأ إلى الحرب إلا في حالات محددة وضحها الفقهاء؛ كالدفاع عن النفس والمال والعرض، واالذود عن الوطن والمقدسات، وقد سبقت الإشارة إلى تصحيح مفهوم الجهاد

---

[86] القرآن الكريم، البقرة: 208

[87] القرآن الكريم، الأنفال: 61

[88] تفسير المراغي، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، سنة 1365هـ/1946م، 10/ 26

[89] القرآن الكريم، يونس: 25



الذي أسيء فهمه من طرف بعض المسلمين قبل غيرهم، فأباحوا سفك الدماء، والتفريق بين المرء وأهله بدعوى الجهاد في سبيل الله، هذا فضلا عن نظرة خصوم الإسلام له واعتباره حربا ترهب الناس أجمعين.

إن السلام بين الشعوب والمجتمعات إنما يعني مد الجسور وتوطيد العلاقات بينهم، فيتواصلون بدافع من تبادل الخدمات والقدرات المتنوعة، دون بغي أو ظلم أو نهب للخيرات وانتهاك للحرمات، وهو خلاف الاستسلام الذي نها عنه ديننا الحنيف والذي يعني التنازل وقبول العدوان على العباد، والاستسلام للظلم والفساد، قال عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[90].

خاتمة:

بعد هذه الجولة الممتعة التي عشتها مع كتاب الله العزيز، وهو يدلنا على سبل التعايش السلمي، التي تجعل الناس بمختلف أجناسهم وعقائدهم يعيشون في أمن وسلام، ويتفيؤون ظلال الكرامة والاحترام، توصلت إلى النتائج التالية:

- إن مصطلح التعايش يتمحور حول معنى الحياة والمودة والألفة، ونعته بالسلمي وليد ظروف اجتماعية وسياسية حنت فيها البشرية إلى الأمن والسلام.
- للتعايش أهمية كبرى في حياة الأفراد والمجتمعات، ففي ظلاله يمكن إرساء قواعد الأمن والاستقرار، وفي كنفه يسهل التواصل والتعاون، وصرف الجهود إلى العمل المثمر والإنتاج المتنوع، لبناء المجتمع والمساهمة في تقدمه وازدهاره.
- تكريم الإنسان وحفظ حقوقه أساس من أسس التعايش السلمي في القرآن الكريم.
- القرآن الكريم يقر سنة الاختلاف وفي ذلك ترسيخ للتعايش السلمي في الإسلام.
- حرية العقيدة وعدم الإكراه مبدأ راسخ في الاسلام، وأساس من أسس التعايش السلمي في القرآن الكريم.
- بالحوار والتسامح تيسر سبل التعايش السلمي بين الأفراد والمجتمعات.

---

[90] القرآن اكريم، آل عمران: 64



- للتعايش السلمي في القرآن الكريم مظاهر جلية، سواء بين المسلمين في مجتمعهم، أوبينهم وبين غيرهم في المجتمع الإسلامي، أو مع غيرهم من المجتمعات الأخرى.

فهرس المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد لأبي العباس بن عجيبة، ت 1224هـ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، 1423هـ - 2002م.

2- بصائر وأفكار للدكتور فاروق حمادة، الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى سنة 1434هـ -2013م.

3- تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي، دار الهاية للنشر

4- تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن عاشور، ت1393هـ، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة 1984هـ.

5- التسامح من معالم الوسطية في الإسلام، إصدارات الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة.

6- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير ت 774هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية سنة 1420هـ - 1999م.

7- تفسير المراغي ت 1371هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى 1365هـ - 1946م.

8- سنن أبي داود بن الأشعث السجستاني ت 275هـ، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى 1419هـ 1998م.



9- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني ت 275هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة 1395هـ 1975م، دار إحياء التراث العربي بيروت.

10- سنن محمد بن عيسى الترمذي ت 279هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، سنة 1395 – 1985م

11- سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان ت 303هـ، دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولي 1420هـ 1999م.

12- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام ت 213هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية سنة 1375هـ – 1955م.

13- صحيح محمد بن إسماعيل البخاري ت 256هـ، مراجعة وضبط وفهرسة محمد علي القطب وهشام البخاري، الطبعة الخامسة 1420هـ 1999م المكتبة العصرية صيدا بيروت.

14- صحيح مسلم بن الحجاج القرشي النيسابوري ت 261هـ، دار صادر بيروت 1397هـ 1977م.

15- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175هـ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائى، دار الرشيد للنشر 1400هـ 1980م، وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية.

16- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ت 852هـ، طبعة 1416هـ 1996م، دار الفكر بيروت.

17- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصرى، دار صادر بيروت، الطبعة السادسة 1417هـ 1997م.

18- مسند الإمام أحمد بن حنبل ت 241هـ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر الطبعة الأولى 1411هـ 1991م.



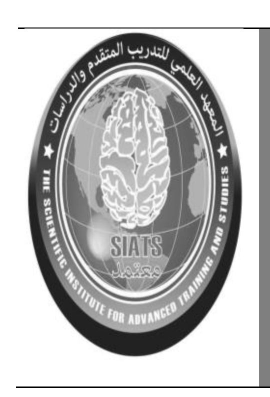
19- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ت 606هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة الثالثة، سنة 1420هـ.

20- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ت 502هـ، دار القلم، الدار الشامية بيروت- دمشق، الطبعة الأولى 1412هـ.

21- مفهوم التعايش في الإسلام للدكتور عباس الجيراري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو – سنة 1417هـ - 1996م.

22- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة للنشر والتوزيع.





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد 4، العدد1، كانون الثاني، يناير 2018م.

e-ISSN: 2289-9065

THE GLOBAL CALL THROUGH TECHNICAL DIALOGUE THE CORNER OF DIALOGUE CENTER FOR THE DEFINITION OF ISLAM - MODEL - DA'WA STUDY

الدعوة العالمية عبر الحوار التقنيمركز ركن الحوار للتعريف بالإسلام –أنموذج–دراسة دعوية–

د. أشرف بن محمد زيدان

dr.ashraf@um.edu.my

عبدالله بن عيد الخالدي

alkhaldi3331@hotmail.com

قسم الدعوة – جامعة ملايا

1439هـ – 2018م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 22/8/2017
Received in revised form7 /9 /2017
Accepted 5/8/2017
Available online 15/1/2018

Keywords:
Insert keywords for your paper

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the worlds, and peace and blessings be upon the most honorable of all creatures, our Prophet Muhammad and his family and companions.

The *Da'wah* to Allah is the ultimate honor that is not comparable and a blessing by Allah on whom He wishes, Allah says (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (And who is better in speech than one who invites to Allah and does righteousness and says, "Indeed, I am of the Muslims.", Verse 33, Surah Fussilat)[1]. Allah chose to His prophets the greatest task and the honored profession, namely, the call to God (*Da'wah*). Consequently, preachers and reformers followed their approaches in all times and places tracking their impact

[1] English translation of Verse 33, Surah Fussilat: http://quran.ksu.edu.sa/translations/english/480.html?a=4251



to defend their religion, and removing what was attached from the suspicions which kidnaped the hearts of worshipers away from the straight path.

The examiner of the reality of today's Islamic *Ummah*, in the light of the rapid technical changes that emerge from time to time, finds that Allah gifted the *Ummah* with sophisticated institutions and advocacy organizations to address and communicate with the whole world through the so-called "World Wide Web". People who operate these websites are honourable preachers who feel responsible for their religion. These preachers have stood to direct the people toward their God, to bring them out of the darkness of infidelity and misguidance to the light of Islam and guidance, to raise their slogan among the nations, and to restore it to the right path.

From this point, the preachers at the Dialogue Center of the Office of Community Guidance and Awareness in Qatif under the supervision of the Ministry of Islamic Affairs, Dawah and Guidance in the Kingdom of Saudi Arabia felt their duty and set up an online center for calling to Allah through direct dialogue with non-Muslims in various languages. The contemporary design of the centre website allows the training of preachers, the call of non-Muslims, and the education of new Muslims through an institutional work featured of vision and wisdom through a

modern pattern that they volunteer in the sake of Allah, bearing in mind the map of the Islamic world as one of its objectives.

I will start by highlighting this pioneer institutional experience in inviting non-Muslims to Islam through the Internet in direct dialogues in terms of the origin of the idea, its objectives and the mechanism of its work.

ملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إن الدعوة إلى الله شرف لا يعدله شرف ، ونعمة يمنّ الله بها على من يشاء من عباده" و من أحسن قولا ممن دعا إلى الله و عمل صالحا و قال أنني من المسلمين" [(2)] ولقد اختار الله لأنبيائه أعظمَ مهمّة وأشرفَ مهنة ألا وهي الدعوة إلى الله فسار على نهجهم الدعاةُ المصلحون في كل زمان ومكان فاقتفوا أثرهم ينافحون عن دينهم ، ويزيلون ما علق به من شبهٍ خطفت قلوب العباد وأبعدتهم عن الصراط المستقيم.

وإن المتأمل في واقع الأمة الإسلامية اليوم في ظل المتغيرات التقنية السريعة التي تطالعنا بين اللحظة والأخرى ليرى أن الله عز وجل قيّض لها مؤسسات ومنظمات دعوية تخاطب العالم كله وتتواصل معه عبر ما يسمى بـــ "الشبكة العنكبوتية" ويقوم على هذه المؤسسات دعاة أفاضل شعروا بمسؤوليتهم تجاه دينهم ، فشمروا سواعدهم يستنهضون أمتهم تجاه ربهم ، ويخرجونها من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإسلام والهداية ، ويسعون لرفع لوائها بين الأمم ، ويعيدون لها مسارها الصحيح.

ومن هنا فقد شعر الدعاة في مركز الحوار – التابع لمكتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالقطيف تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية – بواجبهم الدعوي ، فولجوا مضمار الانترنت وأنشئوا مركزاً يُعنى بالدعوة إلى الله عبر الحوار المباشر مع غير المسلمين بلغات متعددة وبطريقة حديثة جمعت بين تأهيل الدعاة ، والدعوة لغير المسلمين ، والتعليم للمسلمين الجدد وذلك من خلال عمل دعوي مؤسسي يعلوه البصيرة ، والحكمة الرشيدة عبر قالب عصري حديث يطوّعونه لله عز وجل ، واضعةً نصب عينيها خارطة العالم الإسلامي كأحد أهدافها.

(2) سورة فصلت آية رقم 33



وسأشرع بمشية الله تعالى في إلقاء الضوء على هذه التجربة المؤسسية المتميزة الرائدة في مجال دعوة غير المسلمين في الانترنت عبر الحوارات المباشرة وذلك من حيث أصل الفكرة ، وأهدافها ، وآلية عملها.

المقدمة

لاشك أن الدعوة إلى الله هي من أشرف ما يتقرب العبد به إلى ربه ، كيف لا وقد اختار الله عزوجل هذه المهنة العظيمة لأفضل خلقه وأشرفهم وهم أنبيائه عليهم الصلاة والسلام جميعاً ، ثم أمرنا بأن نقتدي بهم فقد قال تعالى " فبهداهم اقتده "[3] أي بطريقتهم ومنهجهم .

وإن المتأمل في واقع الدعوة بشكل عام ليجد أن علم الدعوة كأي علم من العلوم يحتاج إلى تطوير وتجديد في القراءة التي تجعل من الدعوة حاضرة في كل زمان ومكان ، وذلك بالنظر الى الوسائل الموصله لمقاصد الدعوة العظيمة مع مراعاة أحوال المدعوين وحال الدعوة في بيئات مختلفة ، ولا يخفى على كل بصير أن هذه الأوراق العلمية والمؤتمرات البحصية التي من شأنها ترفع من مستوى الطرح الدعوي في الأمة بشكل عام ، وتسعى في تطوير ما يمكن تطويره خدمةً للدعوة والدعاة .

وقد سلطت الضوء هنا على تجربة مؤسساتية دعوية ناجحة في دعوة غير المسلمين ، وقد تناولت "مركز ركن الحوار لدعوة غير المسلمين" – التابع لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية – كأنموذج فريد من نوعه من حيث الاعداد والتخطيط والرؤى المستقبلية .

ومن هنا جاءت هذه الورقة لتسلط الضوء على تجربة دعوية تقنية لامست واقعاً وحاجة ملحة تجاه الدعوة إلى الله .

أهمية الموضوع :

إن الناظر في أحوال الدعوة اليوم ليجد أنها تعيش مرحلة حرجة جداً نحتاج معها إلى أن نقف صفاً واحداً في توحيد الجهود الدعوية ولن يتأتى ذلك إلا بالعمل المؤسسي المنظم المخطط له ، وقد وجد والحمد لله بعض الجهات الدعوية التي استوعبت فكرة المؤسسة الدعوية ورأت أن التخطيط للدعوة من أعظم القربات بل ومن أهم المهمات ، وأولى الأولويات .

([3]) سورة الأنعام آية رقم 90



إن إبراز الجهود الدعوية العالمية التطبيقية منها خاصة لهو أمر يحتاجه الجميع بل هو نوع من التكامل المطلوب والذي ينادي به كثيراً القائمون على شؤون الدعوة إلى الله ، فالله عزوجل يقول " وتعاونوا على البر والتقوى" (4) ومن أعظم البر والتقوى حين يتعلق الأمر بالدعوة إلى الله فمن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع لنفتح الآفاق للعاملين في هذا الحقل العظيم وبالأخص فيما يتعلق بدعوة غير المسلمين ورساء نور الإيمان في قلوبهم ، وتعليمهم أمر دينهم كل ذلك بطريقة تقنية سهلة ميسرة .

أهداف الموضوع :

إن هذه الدراسة أتت تحقيقاً لعدد من الأهداف : منها :

1- نشر التجارب الدعوية العالمية الناجحة في مجال دعوة غير المسلمين للاستفادة منها وكذلك اختصاراً للجهد ، وتفادياً للتكرار الذي قد يحصل جراء توارد الخواطر .

2- حث المراكز الدعوية في العالم على الالتفات إلى الدعوة عبر الانترنت بشكل أعمق مع عدم إهمال الدعوة الميدانية ففي كل خير .

أسباب اختيار الموضوع :

لا يخفى على كل ذي لبّ أن الدعوة إلى الله لا تقف عند حد معيّن ولا شكل من الأشكال بل هي في تطور مستمر ما تطور الزمن وتغيرت البيئات .

ونحن اليوم في عصر أصبحت التقنية في يد كل أحد منّا ، وحين رأيت عددَ المستخدمين للانترنت في جميع أنحاء العالم صُدِمْتُ لما علمت بضعف الجهود العالمية الدعوية تجاه هؤلاء فقد أطلعني الإخوة في المركز وفقهم الله على إحصائية مخيفة جعلتني أفكر في نشر هذه التجربة لعلها تتسع ، وتجد من يعمل بها ، ويحمل همها إلى أصقاع المعمورة . أما الإحصائية فهي تقريبية على النحو التالي :-

عنصر المقارنة	الدعوة الميدانية	الدعوة عبر الانترنت
الشريحة	27,000,000	2 مليار
الجهات الدعوية	قرابة 300 جهة دعوية	6 جهات دعوية
حصة كل جهة	90,000 شخص	333 مليون شخص

(4) سورة المائدة الآية رقم 2



وهذا يستدعي منا تكثيفاً للجهود ، والدخول لبوابة الدعوة إلى الله عبر التقنية ، وذلك للوصول إلى الناس ودعوتهم بأسهل كُلفة ، وأخصر وقت .

السؤال المحوري لموضوع البحث :

مما يدور كثيراً في خلَدي قبل كتابة هذه الدراسة ، وأثنائها ، هو هل نستطيع نحن كدعاة أن نصل إلى جميع العالم ، ونبلغ دين الله عزوجل ؟ كنت أعلم علم اليقين أن دين الله منصورٌ وظاهر ؛ وذلك ليقيني بكلام سيدي وحبيبي رسول الله صلى لله عليه وسلم ، ولكن الذي لا أعلمه هل سيجعلنا الله سبباً في ذلك ؟ وإني أعتقد أننا نحتاج إلى جواب عملي تطبيقي أكثر منه إلى تنظير قد يُملُّ ولا ينفع ، والجواب يكون بمثل تلك الجهود التي لا تحتاج إلى عمل كثير بقدر ما تحتاج إلى همة عالية تقود العبد إلى أن يحمل على عاتقه هذه الرسالة العظيمة ، وهذا الشرف النبيل .

الفرضيات :

حين يتم تسليط الضوء على تطوير الدعوة وعلومها لا يمكن أن يكون هذا بمنأى عن تطوير الدعاة أنفسهم فهناك علاقة وطيدة وتلازمية بين الدعاة والدعوة ، فإذا كان لدينا دعاة بمستوى متواضع من العلم والفكر والمهارات فمن الطبيعي أن ينعكس ذلك على الدعوة في ضعفها ومحدوديتها .

أضف إلى أن إحساس الدعاة بالمسؤولية تجاه هذا العالم يجعلهم يفكرون بطرق تجعلهم أكثر وصولاً لتلك الفئة ، فلا تنتظر من ضيّقِ الفكر ، ولا ضعيفِ الهمة أن يكون سبباً في إيصال دين الله عزوجل في أنحاء العالم .

المنهج المستخدم في البحث :

استخدم الباحث في هذه الدراسة منهجين : المنهج النظري – والمنهج التطبيقي ، حيث سلّط الضوء على أهمية الدعوة عبر الوسائل الحديثة ، وحكم المواكبة في وسائل الدعوة بشكل مختصر ، ثم تطرق إلى جانب مهم وهو أهمية العمل المؤسسي الدعوي في الأمة .

وفي المبحث الثاني : شرع في ذكر التجربة العالمية التطبيقية الدعوية (الجانب النطري من التجربة) وكان تحته ستة مطالب : التعريف بالمركز – الرسالة – الرؤية – الاهداف – الشرائح المستهدفة – المبادئ التي قام عليها المركز

والمبحث الثالث : تطرق إلى الجانب العملي من الدراسة : حيث احتوى المبحث على ثلاثة مطالب ، كل مطلب يحمل مشروعاً من مشاريع المركز الأساسية ، المطلب الأول كان عن تجربة الحوار الالكتروني ، ثم المطلب الثاني تحدث



عن أكاديمية المسلم الجديد ، أما المطلب الثالث فكان الحديث فيه عن أكاديمية رسل السلام . ثم ختم البحث ببعض التوصيات ، ثم ذكر مراجع ومصادر البحث .

حدود الدراسة :

من الأمور التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع هو عدم وجود حدود معينة للدراسة بل هي دراسةٌ تصلح في كل مكان ؛ وذلك لتعلقها بالشبكة العنكبوتية التي قربت البعيد وسهلت العسير في حياتنا اليومية ، وجعلت العالم قرية واحدة .

إن التجربة التي بين أيدينا لهي تجربة عالمية في مجال الدعوة إلى الله ، وحين نطلع على إحصائيات المركز نعلم جيداً كم أن هذه الدراسة وهذه المؤسسة وضعت الكرة الأرضية نصب أعينها كهدفاً من أهدافها للوصول إلى غير المسلمين في أصقاع الأرض ، ومن العجيب في الأمر أنه تمرُّ على الدعاة أثناء حواراتهم مع المدعوين أسماء دولٍ لم تُعرف من قبل بل ولم يسمع بها أحد فلله الحمد والمنة وهذا مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار بعز عزيز او ذل ذليل عزا يعز الله به الاسلام ، وذلا يذل الله به الكفر وأهله "[5]

خطة البحث :

يتكون البحث من ثلاثة مباحث وخمسة عشر مطلباً على النحو التالي :

المبحث الأول : الدعوة الاسلامية والعمل المؤسسي الدعوي عبر التقنية المعاصرة :

* المطلب الاول : أهمية الدعوة عبر الوسائل الحديثة

* المطلب الثاني : المواكبة في وسائل الدعوة

* المطلب الثالث : أهمية العمل المؤسسي الدعوي في الأمة

* المبحث الثاني : مركز ركن الحوار الالكتروني – نموذج دعوي مؤسسي – (الجانب النظري)

* المطلب الأول : التعريف بالمركز

* المطلب الثاني : رسالة المركز

* المطلب الثالث : رؤية المركز

(5) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، برقم 16957 ، ج28 ص 155 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 3 ، ج1 ص 32



* المطلب الرابع : أهداف المركز

* المطلب الخامس : الشرائح المستهدفة

* الفرع الأول : الباحثون عن الإسلام
* الفرع الثاني : الحيارى
* الفرع الثالث : المثقفون والمؤثرون في مجتمعاتهم
* الفرع الرابع : الشباب

* المطلب السادس : القيم والمبادئ التي قام عليها المركز

* الفرع الأول : الأمانة في إيصال رسالة الإسلام :
* الفرع الثاني : الالتزام بالعمل لخدمة الدين الإسلامي :
* الفرع الثالث : التعاون مع الجميع في سبيل التعريف بالإسلام
* الفرع الرابع : احترام جميع المجتمعات والأفراد بغرض تبليغ الدين
* الفرع الخامس:المبادرة بطرح كل ماهو جديدفي عالم الإنترنت والتقنية لخدمة الإسلام

* المبحث الثالث : غرس ثقافة التعريف بالإسلام عبر ثلاثة مشاريع(الجانب التطبيقي في الدراسة)

* المطلب الأول: مشروع : الحوار الإلكتروني

* المطلب الثاني : مشروع : أكاديمية المسلم الجديد

* المطلب الثالث: مشروع : أكاديمية رسل السلام

* **الخاتمة**

* **التوصيات**

* **المصادر والمراجع**

المبحث الأول : الدعوة الاسلامية الحديثة والتقنية العالمية :

المطلب الاول : الدعوة عبر الوسائل التقنية المعاصرة :



لا شك أن الدعوة إلى الله من أوجب الواجبات ، وأعظم العبادات التي امتن الله بها على عباده ، قال تعالى :"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"[6] فقد أمر الله عباده المؤمنين في هذه الآية بأن يتحمل بعضهم همّ الدعوة إليه ، وتبليغ دينه إلى الناس كافة ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الذي هو جانب من جوانب الدعوة الى الله وقد أمر الله تعالى نبيه صراحة في تبليغ هذا الدين والدعوة إليه والخطاب له ولأمته من بعده قال تعالى " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" [7] .

فالدعوة اليوم ليست حكراً على فئة دون أخرى بل هي قضية جوهرية تمس الأمة بشكل عام ، فالأمة اليوم تحتاج جميع أبنائها كلٌ فيما يحسنه لخدمة هذا الدين وتبليغه كما كان يفعل عليه الصلاة والسلام فقد كان يذهب بنفسه ليعرض دين الله ، كما في حديث عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : يا رسول الله ! هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : (لقد لقيت من قومك ، فكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ..." [8]

وكان عليه الصلاة والسلام ينتهز المجامع العامة والمواسم لايصال كلمة الحق،
فعن أبي أيوب الأزدي قال رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه وسلَّمَ يقولُ للنَّاسِ : يا أيُّها النَّاسُ قولوا لا إلهَ إلَّا اللهُ تفلِحوا ، فمِنهم مَن سبَّه ومِنهم مَن تفلَ في وجهِهِ ومِنهم مَن حثا عليهِ التُّرابَ حتَّى انتصفَ النَّهارُ ، فجاءت جاريةٌ بعُسٍ من ماءٍ فغسلَ وجهَهُ ويدَيه ، فقلتُ : مَن هذهِ ؟ قالوا : هذهِ زَينبُ ابنتُهُ..." [9]

ونحن اليوم اذا أردنا أن نسير وفق ما سار عليه صلى الله عليه وسلم ينبغي أن نستغل كل ما هو في صالح الدعوة إلى الله من وسائل وأساليب تتوافق وروح هذا الدين العظيم .

ومن تلك الوسائل التي قربت البعيد ، وسهلت العسير ولا ينكر أهميتها عاقل ، الشبكة العنكبوتية (الانترنت) فقد جعلت الناس في قالب واحد ، ومركب صغير يرى القاصي أدناه ، ويطلع الأدنى على أقصاه ، بل إنك حين تطلع على عدد المستفيدين من هذه الشبكة ليهولك الأمر كيف غفل الدعاة عن هذه الوسيلة العظيمة التي ينبغي أن نكون سباقين لأن نضع بصمتنا ونتنافس في أعظم مهنة ، وأجلّ مهمة اختارها الله لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

---

[6]() سورة آل عمران الآية رقم 104

([7]) سورة النحل الآية رقم 125

([8]) البخاري ، صحيح البخاري، باب: بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، برقم 3231 ، ج 4 ص 115 .

([9]) ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج 3 ص 465



إنه ينبغي للدعاة أن يضربوا لأنفسهم بسهام العز والتمكين لينالوا ثمرة هذا الحديث العظيم قال صلى الله عليه وسلم " ليبغلن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار بعز عزيز او ذل ذليل عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل الله به الكفر وأهله " (10) ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم محفزاً لأمته ومذكراً لهم بعظيم الأجر الذي ينتظرهم"لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم" (11)

المطلب الثاني : نظرة في أهمية المعاصرة لوسائل الدعوة :

لقد أكمل الله لنا هذا الدين العظيم فليس لأحد أن يزيد أو ينقص منه حبة خردل ، وقد بين ذلك جل وعلا حين قال " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " (12) ، وحقائق الدين ثابتة لا تتغير مهما بلغ الأمر ، ومن عظمة هذا الدين أنه ومع اكتماله قبل أربعة عشر قرناً إلا أنه صالح لكل زمان ومكان ، قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى " ودينه هو الإسلام وهو صالح لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة" (13)

فمن ظن أن الدعوة إلى الله لها شكل معيّن محصور في خطبة جمعة أو موعظة في مسجد أو غير ذلك فقد جانب الصواب ، وليس الأمر كذلك ، بل هي أوسع وأشمل من ذلك بكثير ، فقد كان النبي صلى الله علي وسلم يقبل كل ما من شأنه يصب في خدمة هذا الدين والدعوة إليه ، وحين أتته امرأةٌ من الأنصار ، قالت يا رسول الله ، ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه ، فإن لي غلاما نجارا . قال : (إن شئتِ) . قال : فعملت له المنبر ، فلما كان يوم الجمعة ، قعد النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر الذي صنع ، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها ، حتى كادت تنشق ، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه ، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت ، حتى استقرت ، قال : (بكت على ما كانت تسمع من الذكر) (14)

فالفقهاء حين نظروا إلى علاقة الوسائل بالغايات والمقاصد رأوا أن هذه الوسائل لم تعتبر إلا لتحقيق المقاصد ، فاعتبار الوسائل متوقفٌ على اعتبار المقاصد (15) ، يقول القرافي رحمه الله تعالى " موارد الأحكام على قسمين: مقاصد: وهي المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها، ووسائل: وهي الطرق المفضية إليها، وحكمها حكم ما أفضت إليه من تحريم وتحليل.."اهـ (16)

(10) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ، برقم 3 ،ج 1 ص 32

(11) البخاري ، صحيح البخاري، باب : غزوة خيبر، برقم : 4210، ج5 ص 134

(12) سورة المائدة الآية رقم 3

(13) ابن باز، مجموع الفتاوى ، ج 9 ص 200

(14) البخاري ، صحيح البخاري، باب: النجار ، برقم : 2095 ، ج3 ص61

(15) انظر : تطوير وسائل الدعوة وفق معطيات العصر للدكتور عبدالله الزبير عبدالرحمن- مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية ص94-95

(16) القرافي، الفروق: ، الفرق الثامن والخمسون ، ج2 ص33.



ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: "لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلاّ بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود ... " (17)

والأصل في الوسائل أنها على الإباحة ما لم يرد الدليل على تحريمها ، كقوله تعالى " ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم" (18) ، أو ثبت فسادها إما بقرائن أو شواهد او غلبة ظن ، أو كانت تلك الوسيلة مفضية إلى الحرام ، فما أدى إلى حرام فهو حرام (19). وحين نتأمل ذلك نجد أن الوسائل ليست مقصودةً لذاتها بل هي تابعة لمقصدها .

ومن النظائر في ذلك مثلاً : جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه وهو وسيلة لحفظ القرآن الكريم لأنّ سبعين من القراء استشهدوا يوم اليمامة. ولأنه وسيلة للمحافظة على وحدة الصف المسلم ولنفي الفرقة والاختلاف في القرآن (20)

المطلب الثالث : أهمية العمل المؤسسي في الدعوة إلى الله :

تبرز أهمية العمل المؤسسي الدعوي حين الحديث عن الضد تماماً ، كما قال المتنبي :
ونذيمُهُمْ (21) وبِهِمْ عرفنا فَضْله * * * وبضدها تتميز الأشياءُ (22)

فالجهود الفردية الدعوية التي يعمل عليها بعض الدعاة اليوم لا نشك في إخلاصهم ولا في حرصهم على نفع أمتهم إلا أن ذلك الأمر لم يعد له الأثر المرجو في ظل اتساع الرقعة المقصودة ، والشريحة المستهدفة ، فأصبحت الساحة الدعوية تحتاج إلى عملٍ مؤسساتي لا يرتبط بأفراد الأمة ومشاغلهم بحيث يتأثر ويتأرجح العمل الدعوي حين يتأثر صاحبه مرضاً أو موتاً أو ضغطاً حياتياً أيّاً كان ذلك الضغط ، بل إن العمل المؤسسي كثيرًا ما يقضي على التكرار والازدواجية يقول الدكتور عبدالكريم بكار (مهما اتسعت الساحة الدعوية فإن شيئاً من التنسيق والتفاهم لابد أن يظل أمراً ملحاً لتفادي الصدام) (23)

---

(17) ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج3 ص135.
(18) سورة الأنعام الآية رقم 108
(19) انظر : تطوير وسائل الدعوة وفق معطيات العصر للدكتور عبدالله الزبير عبدالرحمن ص 97-98
(20) المصدر السابق ص 101
(21) نذيمهم : أي نعيبهم
(22) المتنبي ، ديوان المتنبي ، ص 127
(23) بكار ، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ، ص 219



ولعل من أخطر ما تعانيه الأمة الإسلامية : غياب الروح الجماعية ، ولقد تأصلت فكرة الفردية اليوم، ثم تأزم الموقف حين ورث كثير من الدعاة إلى الله ذلك المرض الذي يعد من أمراض التخلف الحضاري ، فلا تزال ترى اليوم كثيراً من المؤسسات الدعوية محكومة بعقلية الفرد ، تعيش مركزية القرار، رغم ازدياد التحديات، وتوالي المحن، وتفاعل الأزمات التي تمر بها الأمة من قبل أعدائها [24]

*** المبحث الثاني : مؤسسة ركن الحوار للتعريف بالإسلام – الجزء النظري –**



*** المطلب الأول : ما هو مركز الحوار :**

هو مركز خيري يهدف لتوعية وتصحيح الإعتقادات والتصورات الخاطئة عن الإسلام والمسلمين عند غيرهم، وتعليم المسلمين الجدد أسس دينهم، وتدريب وتأهيل أفراد المجتمعات الإسلامية كيفية تمثيل دينهم والتعريف به لغيرهم، والتعريف بالأخلاق والآداب السلوكية الإسلامية في العالم أجمع وذلك من خلال إستخدام تقنيات وتطبيقات الحوار الخاص مع الراغبين في التعرف على الثقافة الإسلامية وحياة المسلمين عبر شبكة الإنترنت .

*** مركز ركن الحوار قانونياً :**

يتبع المركز إدارياً للمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالقطيف ، تحت غطاء وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .

*** ما الهدف من إنشاء مؤسسة ركن الحوار :**

(24) عبدالحكيم بلال، العمـل المـؤسسي...معناه ، ومقومات نجاحه ، ص 2-3



إن برامج مركز ركن الحوار هو عبارة عن إستجابة طبيعية للنمو المستمر لأعداد مستخدمي الإنترنت ، ولعلك تلحظ من خلال الرسم البياني اللاحق العدد الهائل لمستخدمي الانترنت في الوقت الحالي بالاضافة الى الاقبال المتزايد مع مرور الوقت .

WORLD INTERNET USAGE AND POPULATION STATISTICS June 30, 2012						
World Regions	Population (2012 Est.)	Internet Users Dec. 31, 2000	Internet Users Latest Data	Penetration (% Population)	Growth 2000-2012	Users % of Table
Africa	1,073,380,925	4,514,400	**167,335,676**	15.6 %	3,606.7 %	7.0 %
Asia	3,922,066,987	114,304,000	**1,076,681,059**	27.5 %	841.9 %	44.8 %
Europe	820,918,446	105,096,093	**518,512,109**	63.2 %	393.4 %	21.5 %
Middle East	223,608,203	3,284,800	**90,000,455**	40.2 %	2,639.9 %	3.7 %
North America	348,280,154	108,096,800	**273,785,413**	78.6 %	153.3 %	11.4 %
Latin America / Caribbean	593,688,638	18,068,919	**254,915,745**	42.9 %	1,310.8 %	10.6 %
Oceania / Australia	35,903,569	7,620,480	**24,287,919**	67.6 %	218.7 %	1.0 %
WORLD TOTAL	**7,017,846,922**	**360,985,492**	**2,405,518,376**	**34.3 %**	**566.4 %**	**100.0 %**

وهؤلاء المستخدمون من غير المسلمين إما أن يتعرفوا على الإسلام "بشكل سلبي" من خلال وسائل الإعلام المضللة ، وإما يكونوا ممن تعرف على الإسلام بنظرة مجحفة وقاسية مسبقاً من خلال ما يتم تناقله بين الناس في العالم أجمع حول الإسلام والمسلمين، والذي لا يمت بصلة للواقع .

ولقد قام ركن الحوار ليركز بشكل أساسي على غير المسلمين في العالم، وتكوين علاقات إجتماعية للتواصل معهم ؛ بهدف إيصال الرسالة ، والتعريف بالإسلام ، بعيداً عن الحوار العشوائي وغير الممنهج ، وذلك للوصول إلى مستقبل مشرق ، بل وربما أكثر إشراقاً في فهم الإسلام السمح بحيادية تامة

*** المطلب الثاني : رسالة المركز :**

الدعوة الى الله على المنهج الصحيح بالحكمة والموعظة الحسنة بأحدث التقنيات وأفضل الكفاءات . كما قال تعالى " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن " [(25)]

وأود أن أشير هنا إلى نقطة مهمّة وردت في رسالة المركز ، وهي " أفضل الكفاءات " كم نحن بحاجة إلى التميز في تقديم وعرض رسالة الاسلام ، حيث يُقدَّم الأكفاء في مجال الدعوة إلى الله ، ولربما شملت هذه الكلمة أموراً كثيرة على أنها في أول وهلة يظنها القارئ سهلة بسيطة ويمكن أن تتوفر في أي شخص ، بل لو نظرنا إلى الكفاءة

(25) سورة النحل الأية رقم 125



من عدة جوانب فمثلاً من جانب علمي شرعي ، وكذلك من جانب لغوي حيث أن الفئة المستهدفة غالبها ممن لا يتكلم اللغة العربية أصلاً ، وذلك مما يضطرنا إلى البحث عمن يجيد اللغة الأجنبية العلمية الرصينة والتي يستطيع من خلالها الداعية أن يوصل فكرته بسهولة ويسر .

* **المطلب الثالث** : **رؤية المركز** :

إيجاد أرضية مناسبة للحوار المباشر والنقاش الحر عبر شبكة الانترنت مع الفئات والشرائح المستهدفة بأفضل الوسائل التقنية المتاحة وبأمهر الكفاءات .

* **المطلب الرابع** : **أهداف المركز**

- نشر ثقافة السلام والتعايش ، وتفنيد الشبه المثارة حول الاسلام والمسلمين .
- ايجاد قنوات وفرص لأفراد المجتمع وذلك للمشاركة الفاعلة في التعريف بالاسلام .
- تدريب وتأهيل الكفاءات للتعريف بالاسلام .
- التواصل مع المستفيدين من المركز (المسلمين الجدد) وتعليمهم .

* **المطلب الخامس** : **الشرائح المستهدفة في المركز**

الشرائح المستهدفة هم من غير المسلمين من شتى أنحاء العالم ، ومن مختلف الأديان والثقافات، ونظراً لضخامة عدد المستهدفين فقد تم تقسيمهم إلى شرائح ، وتم اختيار أربع شرائح أساسية للعمل من خلالها في الفترة القادمة وهي :

* الفرع الأول : الباحثون عن الإسلام

* الفرع الثاني : الحيارى

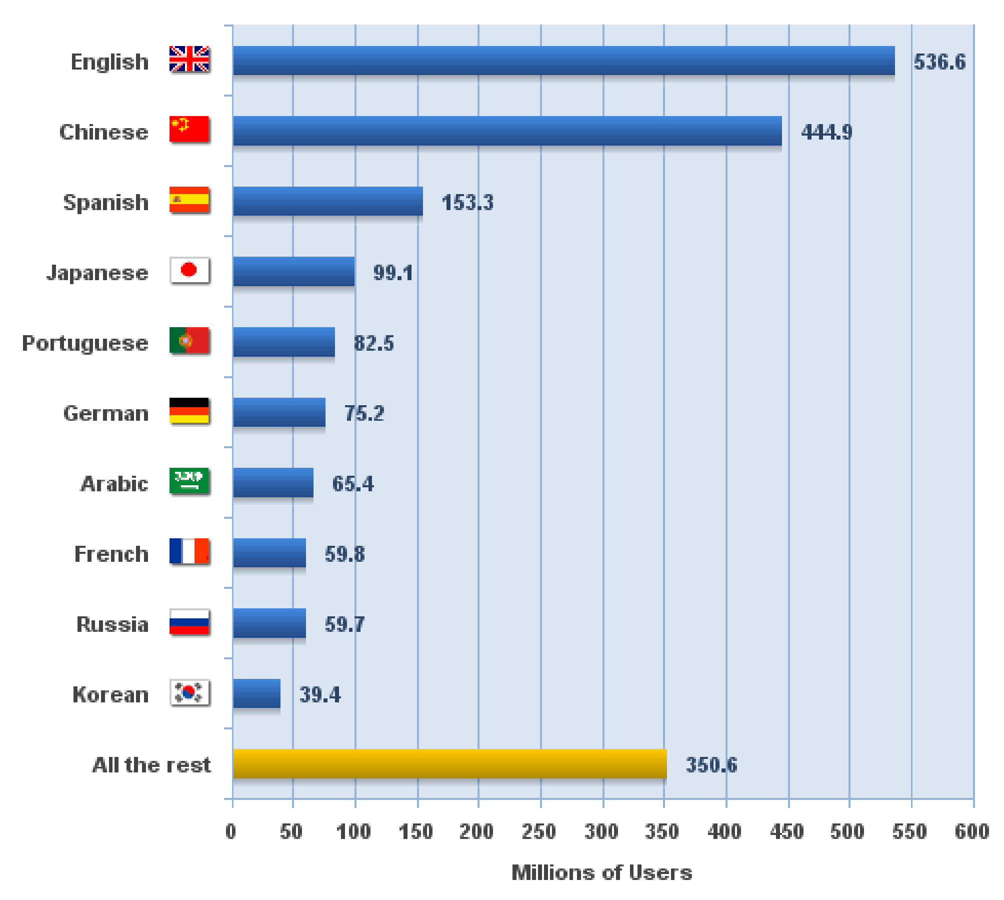
* الفرع الثالث : المثقفون والمؤثرون في مجتمعاتهم

* الفرع الرابع : الشباب

وأُخذ بعين الإعتبار تنوع اللغات حول العالم عبر الإنترنت ، بناءً على إحصائيات دقيقة تم الاطلاع عليها قبل البدء والشروع في العمل

فقد تم تقسيم كل شريحة بحسب لغة متحدثيها، حيث تم العمل على تشغيل اللغة الإنجليزية 24 ساعة يومياً، وتشغيل اللغة الأسبانية والفلبينية في أوقات الذروة فقط. .





* **المطلب السادس : قيم ومبادئ مؤسسة ركن الحوار :**

- الفرع الأول : الأمانة
- الفرع الثاني : الالتزام بالعمل لخدمة الدين الإسلامي
- الفرع الثالث :الشراكة المجتمعية في سبيل التعريف بالإسلام
- الفرع الرابع : احترام الجميع أفراداً ومؤسسات بغرض تبليغ الدين
- الفرع الخامس : استغلال ومواكبة الحديث من التقنية لخدمة الإسلام

المبحث الرابع : ثقافة التعريف بالإسلام وغرسها عبر ثلاثة مشاريع :-

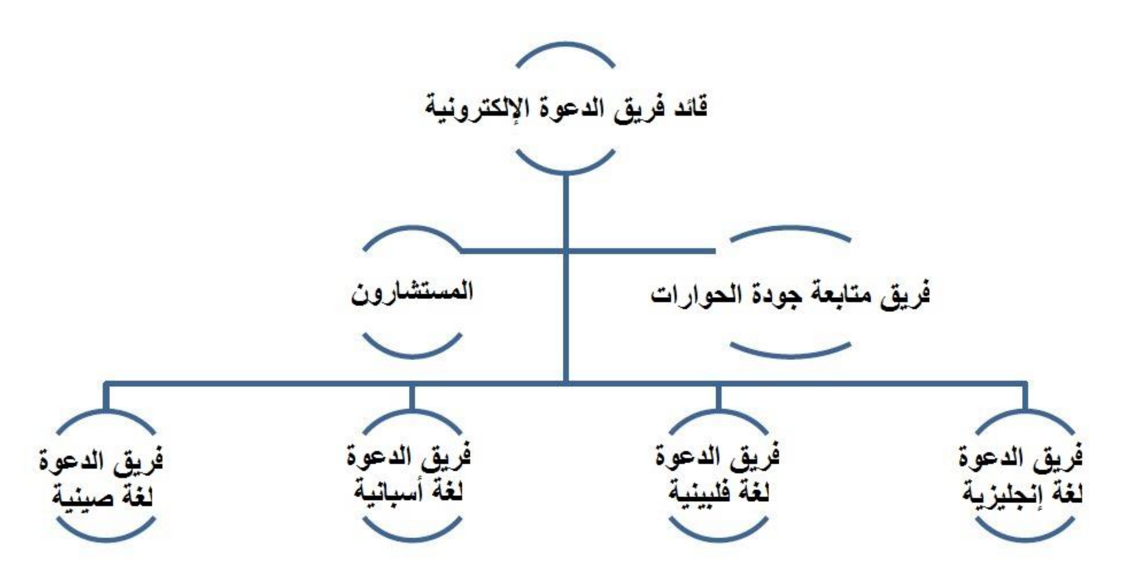
* **المطلب الأول : المشروع الأول : الحوار الإلكتروني :** يعتبر القلب النابض للمركز ، ومحور الإرتكاز لباقي مشاريعه، وقد شمل المشروع مجموعة من المعرّفين[26] المتخصصين بالتعريف بالإسلام لغير المسلمين، وذلك من خلال

26 المعرف : هو شخص حمل على عاتقه همّ ايصال رسالة الإسلام إلى غير المسلمين ، والمقصود هنا هم المنتسبون للمركز .



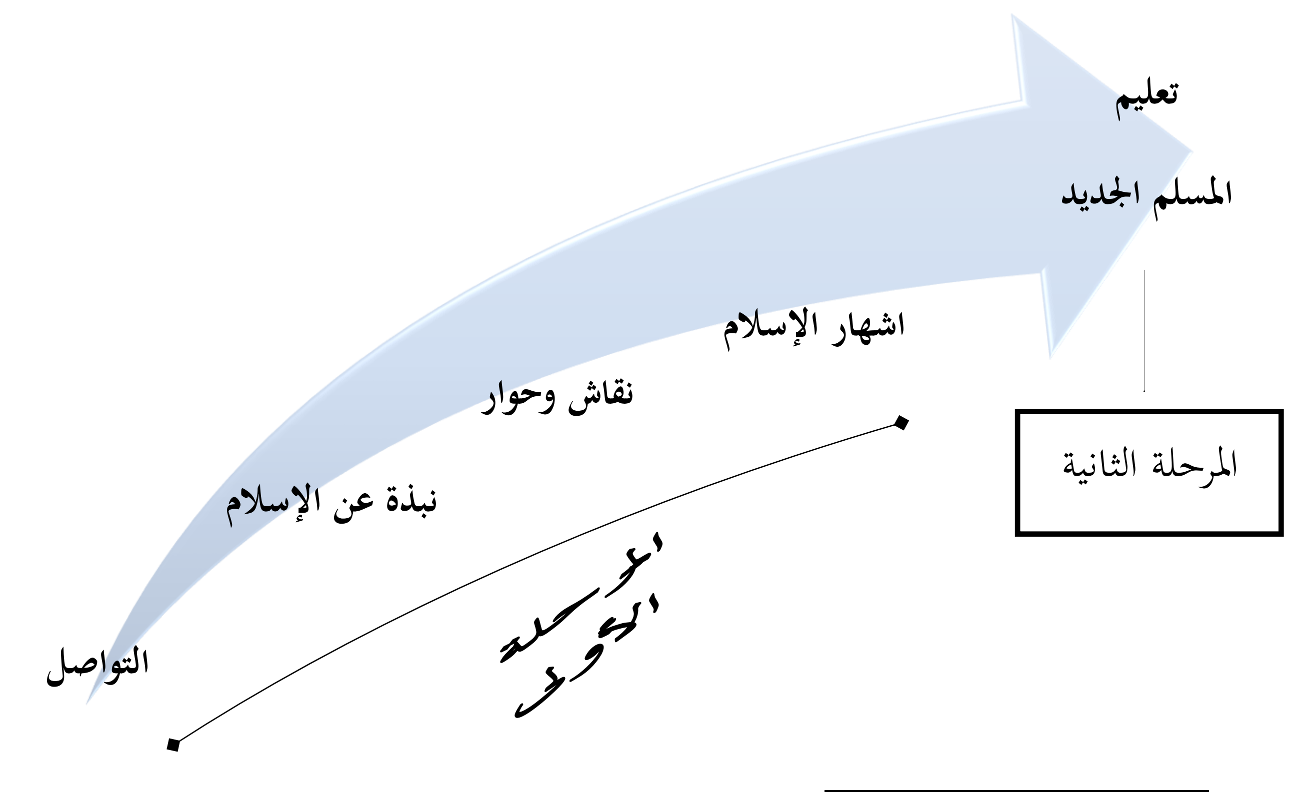
برنامج تفاعلي عبر موقع المركز الإلكتروني للتواصل المباشر مع غير المسلمين وتعريفهم بالإسلام في حوار فردي[27] مباشر.

هيكلة مشروع الحوار الالكتروني :



*** آلية سير العمل في مشروع الحوار الالكتروني :**

لعل من خلال هذا الرسم البياني تتبين آلية العمل في هذا المشروع :



27 ومما لاحظته أن القائمين على الحوار الالكتروني لهم فلسفة معينة في الحوار الفردي بل ويركزون بشدة أن يكون الحوار كذلك بعيداً عن التشويش ، وقد آتت ثمارها حسب افادة المسؤولين .



مراحل متابعة المشروع : هناك نظامان من خلالهما تتم متابعة هذا المشروع المبارك :

1- نظام المتابعة والتطوير : وهذا النظام خاص لفريق العمل .

2- نظام إدارة المعرفة : وهذا النظام خاص بالدعاة : يتم من خلاله الاطلاع على النقاش الذي يدور مع المخالف من خلال مسؤول الحوار الالكتروني ، ومن ثم حفظ هذا الحوار في قاعدة البيانات الخاصة بالمركز ، ثم بعد ذلك يتم تدقيق الحوار وماجاء في طياته ، ثم تتم مراجعته مع الداعية وإبراز مواطن الخلل التي وقع فيها الداعية مع المخالف ، أو حتى لربما لم يكن هناك خلل معين إنما هي توجيهات لاستخدام الاولوية في طرح القضايا ،ثم يتم تدريبه على ذلك .

* **المطلب الثاني : مشروع : أكاديمية المسلم الجديد :**

هي أكاديمية للعناية بالمسلم الجديد عن بُعد تهدف من خلالها ربط المسلم الجديد ببيئة إسلامية ، ومساعدته على بدء حياته الجديدة ، وتعليمه مباديء الإسلام ، وطرق تطبيقها في الحياة اليومية . وتعتبر أكاديمية المسلم الجديد الأكاديمية هي الأولى من نوعها والتي تقدم برامج أكاديمية تعليمية وتربوية للمسلم الجديد غير المتحدث باللغة العربية عن بعد وذلك على منهج أهل السنة والجماعة .

حيث تقدم الأكاديمية برنامجاً تأهيلياً مكثفاً لتعليم المسلم الجديد ما لايسعه جهله من خلال منهجٍ علميٍ روحيٍ فيه التدرج ، والعناية ، ببساطة الطرح ، والتركيز على الأثر ، وعبر برنامج الكتروني متقدم يُسمح للمسلم الجديد فيه من الاستفادة من أنشطة وبرامج الأكاديمية في أي وقت وعبر أي وسيلة اتصال ..

تستهدف الأكاديمية في المرحلة الحالية المسلمون الجدد الذين يتحدثون اللغة الإنجليزية حول العالم وسيتم تطوير المنهج التعليمي لبقية اللغات – بحسب الخطة – تباعاً باذن الله تعالى ..

الأهداف العامة لأكاديمية المسلم الجديد :

1- يتعرف المتعلم على معنى الشهادتين وأركان الإسلام الخمسة

2- يتعرف المتعلم على كيفية الطهارة وكيفية أداء الصلاة ولمحة عن بعض العبادات.

3- التعرف على الأحكام الأساسية للحلال والحرام في التعاملات الاجتماعية.



4- دراسة بعض النصوص الأساسية الهامة (مثل فاتحة الكتاب، وسورة قصيرة، وبعض الأذكار)

5- التعرف على النبي صلى الله عليه وسلم من خلال دراسة يسيرة لسيرته بالتركيز على جانب الشمائل.

هيكلة مشروع أكاديمية المسلم الجديد :

المشرف العام

جزئي

المدير التنفيذي
متفرغ

سكرتير
متفرغ

المشرف الأكاديمي
جزئي

مدير التشغيل
جزئي

المعلمون
جزئي

منسقة الدروس
متفرغ

المشرف التقني
متفرغ

شؤون الطلاب
متفرغ

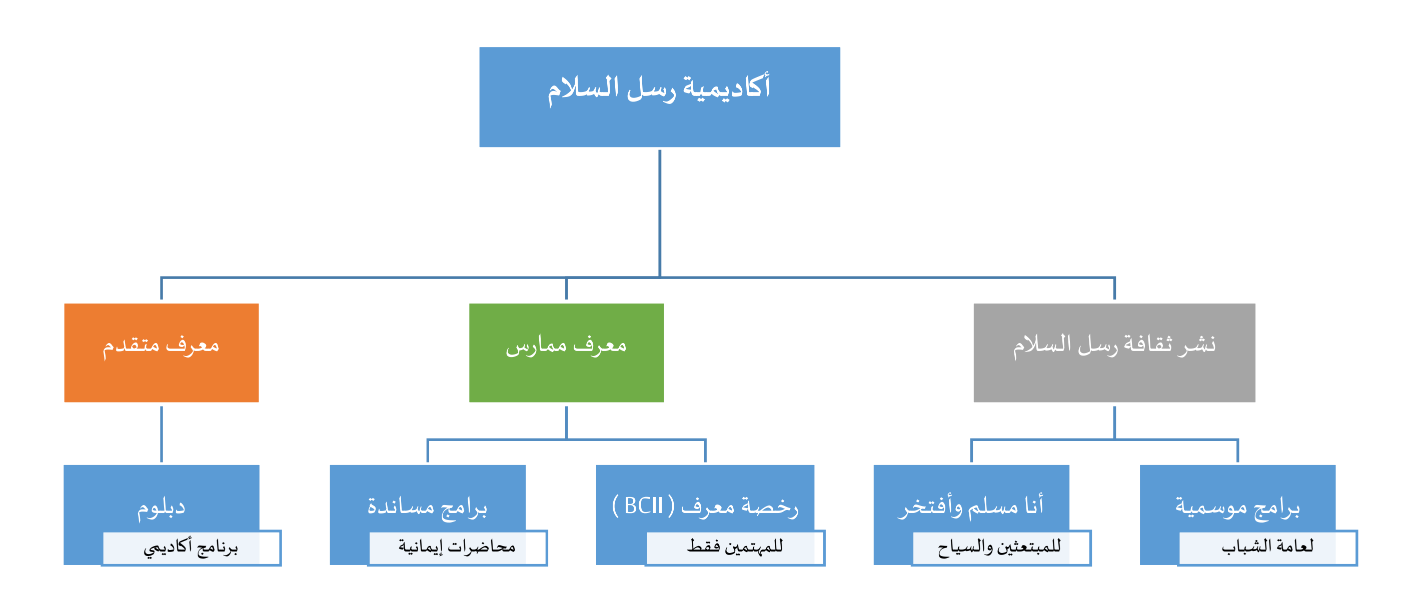
فريق الإستشارات
جزئي

المصمم
متفرغ

*** المطلب الثالث : مشروع : أكاديمية رسل السلام .**

هي إحدى برامج مركز ركن الحوار والذي يُعنى بالتدريب وتأهيل المعرّفين بالإسلام في جميع أنحاء العالم ، عبر استخدام أحدث التقنيات في التعليم عن بعد .

وتنقسم الى ثلاث مراحل :



المرحلة الاولى (نشر ثقافة رسل السلام)



وهدفها نشر ثقافة رسل السلام عبر البرامج الموسمية الموجهة لعامة الشباب وبرنامج خاص للمبتعثين والسياح يتم فيه توجيههم من قبل مدربين متمكنين وذوي خبره طويلة في مجال التعريف بالإسلام والتواصل الثقافي .

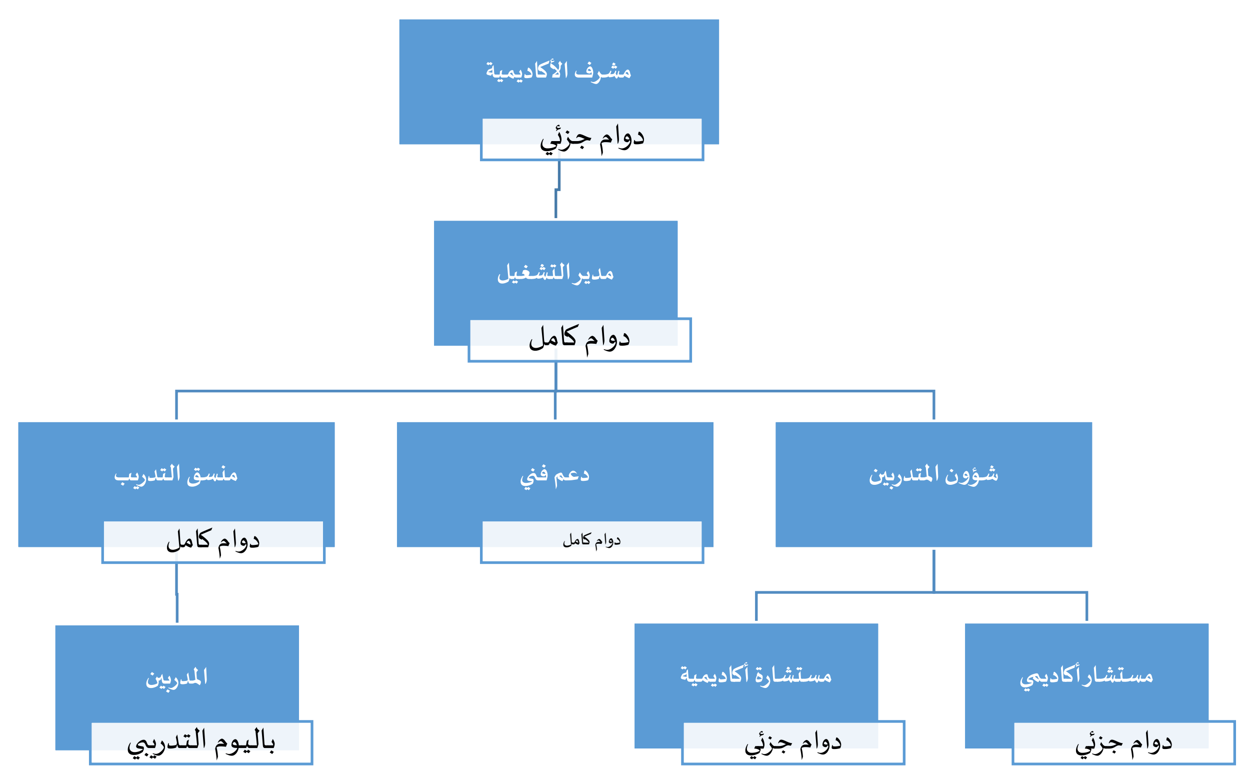
المرحلة الثانية (معرف ممارس)

وتهدف هذه المرحلة لإعداد معرّف ممارس من خلال برنامج الشهادة الأساسية في التعريف بالإسلام BCII والذي يستمر لمدة سنة كاملة ،يتدرب من خلالها على أساليب حديثة للتعريف بالإسلام ، مستخدماً جميع وسائل التواصل الاجتماعي ، واستغلالها في التعريف بالإسلام ، بالإضافة لعدد من البرامج التدريبية المساندة .

المرحلة الثالثة (معرف متقدم)

وهي مرحلة متقدمة لمن يتجاوز المرحلتين الأوليين ، أو ممن لديه القدرة والكفاءة العالية والتأهيل الشرعي والمهاري في مجال التعريف بالإسلام حيث يحصل في نهايته على دبلوم اكاديمي للتعريف بالإسلام على مدى فصلين دراسيين كاملين .

الهيكلة الادارية لأكاديمية رسل السلام :





المقدمة

الخاتمة

* الختام

لقد عشت مدة ليست بالقصيرة مع هذه الدراسة ، وهذه التجربة الرائدة ، وإني لمنشرح الصدر فيما اطلعت عليه ، أن هيأ الله لهذه الأمة من يحمل همّها ، ويسعى لإيصال الخير للناس ، ولا سبيل بعد قراءة هذه الدراسة إلاّ أن نحث الجميع لأن يستفيد من المركز ومن تجربته فالإخوة وفقهم الله قد وضعوا من أهدافهم نشر التجربة على أوسع نطاق .وهم على أتم الاستعداد للتعاون مع كل من اراد أن يشعل شمعة في هذا الكون تنير الطريق للعالم .

واللهَ نسأل أن يوفق القائمين لكل خير وأن يعظم لهم الأجر والمثوبة ، ويرزقنا وإياهم الإخلاص في القول والعمل ، ويجعل آخرتنا بحبوحة جنانه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجميعن .

* التوصيات

1- التواصل مع المركز للاستفادة من التجربة ، والاطلاع على تفاصيلَ أدق .

2- السعى لنشر تجربة المركز بين الدعاة والمهتمين في هذا الحقل لتطبيقها والاقتداء بها .

3- أوصي كل المراكز الإسلامية في جميع دول العالم أن يخصصوا جزءاً من أوقاتهم لتطبيق هذا البرنامج فهم أحوج له ؛ وذلك لسهولة الوصول للشريحة المستهدفة



4- أوصي بمشاركة المركز بأي وسيلة من الوسائل ولو بتكثيف الإعلانات عن المركز خاصة في الدول غير المسلمة سواء كانت الاعلانات بشكل فردي او جماعي مؤسساتي .



* المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

1- آداب الحوار وقواعد الاختلاف ، المؤلف : عمر بن عبد الله كامل ، عدد الصفحات : 31 ، مصدر الكتاب : موقع الإسلام

2- أعلام الموقعين عن رب العالمين ، المؤلف : محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية 751هـ ، ، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة ، 1388هـ/1968م

3- أنوار البروق في أنواء الفروق ، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ) الناشر: عالم الكتب الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ عدد الأجزاء: 4

4- تطوير وسائل الدعوة وفق معطيات العصر للدكتور عبدالله الزبير عبدالرحمن – مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية

5- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه

، المؤلف : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري ، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر : دار طوق النجاة ، الطبعة : الأولى 1422هـ ، عدد الأجزاء : 9

6- ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1403-1983 .

7- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها ، المؤلف / المشرف:محمد ناصر الدين الألباني – الناشر: مكتبة المعارف – الطبعة:الأولى ، 1415هـ ، 1995 م .

8- الإصابة في تمييز الصحابة ، المؤلف : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة:الأولى – تاريخ الطبعة 1328 هـ

9- العمل المؤسسي...معناه، ومقومات نجاحه ، للمؤلف عبد الحكيم بن محمد بلال – بحث منشور الانترنت .

10- لسان العرب ، المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، الناشر : دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ، عدد الأجزاء : 15

11- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، 24مجلد ، جمع وإشراف : محمد بن سعد الشويعر ، دار القاسم للنشر ، الطبعة الأولى ، تاريخها 1420 هـ

12- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ، المؤلف : د.عبد الكريم بكار ، الناشر : دار القلم ، الطبعة : الثانية تاريخها 2001 م .

13- وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة للدكتور علاء الدين الزاكي ، بحث منشور في الانترنت

الفهرس







دليل النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تعتمد مجموعة مجلات **المعهد العلمي للتدريب المتقدم والدراسات (معتمد)** أعلى المعايير الدولية التي من شأنها رفع مستوى الأبحاث إلى مستوى العالمية، وتضيف للبحث في حال إلتزام الباحث بها ترقية حقيقة لمستوى بحثه، وكذلك تعزز من خبرته في مجال **النشر العلمي**؛ إن جملة المواصفات الواردة في هذا الدليل التوجيهي؛ تضفي على أبحاثنا شكلاً علمياً يعزز من مضمونها ويخرجه إلى القارئ بصيغة تتناسب مع تطور **ضوابط النشر العلمي** ومعارفه، مما يحقق مواكبة فاعلة لمستجدات النشر المعرفي.

تعليمات للباحثين:

1- ترسل نسختين من البحث **لمدير المجلة على الإيميل:** jistsr@siats.co.uk تحت برنامج Microsoft Word واحدة بصيغة (Word) ، وأخرى بصيغة (PDF).

2- يُكتب البحث بواسطة الحاسوب (الكمبيوتر) بمسافات (**واحد ونصف**) بين الأسطر شريطة ألا يقل عدد الكلمات عن **3000** و لايزيد **عن5000** كلمة، حجم الخط 16 ,للغة العربية (**Traditional Arabic**) و **12** للغة الإنجليزية (**Time New Roman**)، بما في ذلك الجداول والصور والرسومات , ويستثنى من هذا العدد الملاحق والإستبانات.

3- واجهة البحث: يُكتب عنوان البحث باللغتين **العربية والإنجليزية**، وأسفل منه تكتب أسماء الباحثين كاملة باللغتين **العربية والإنجليزية**، كما تذكر عناوين وظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، وسنة النشر بالهجري والميلادي.

4- العناوين الرئيسية والفرعية: تستخدم داخل البحث لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، وبتسلسل منطقي، وتشمل العناوين الرئيسية: ملخص البحث وتحته الكلمات المفتاحية، (**ABSTRAC** وتحته **KEYWORDS**) المقدمة، البحث وإجراءاته، النتائج، المصادر والمراجع.

5- يرفق مع البحث ملخص **باللغة العربية** وآخر **باللغة الإنجليزية**، على ألا تزيد كلمات الملخص على (**150**) كلمة، وتكتب بعد الملخص الكلمات المفتاحية **KEYWORDS** على ألا تزيد على (**5**) **كلمات**، مع ملاحظة إشتمال الملخص على أركانه الأربعة: المشكلة والأهداف والمنهج والنتائج.

6- يقسم البحث إلى مباحث ومطالب تُكتب وسط الصفحة بخط سميك.

7- تطبع الجداول والأشكال داخل المتن و ترقم حسب ورودها في البحث، ويكون لكل منها عنوان خاص، ويشار إلى كل منها بالتسلسل، وتستخدم الأرقام العربية (1, 2,3...) في كل أجزاء البحث.

8- كل بحث يجب أن يشمل على مانسبته 20 % من المراجع الأجنبية ويستثنى من ذلك أبحاث الشريعة واللغة العربية.

9- مدة تعديل البحوث: يعطى الباحث مدة أقصاها **3 أشهر** لإجراء التعديلات على بحثه إن وجدت، وللمجلة الحق بعد ذلك في رفض البحث رفضا نهائيا حال تجاوز الباحث المدة المحددة للتعديل.

10- يلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التقويم في حال طلبه سحب البحث ورغبته في عدم متابعة إجراءات النشر.

11- لا تجيز المجلة سحب الأبحاث بعد قبولها للنشر بأي حال من الأحوال ومهما كانت الأسباب.

12- **(التوثيق) قائمة المراجع**:

- تهمش المراجع في المتن باستخدام الأرقام المتسلسلة، وتبين بإيجاز في قائمة بآخر البحث بحسب تسلسلها في المتن؛ على أن توضع قبل قائمة المصادر والمراجع.
- وكيفية هذا الإجراء: أن يقوم الباحث بوضع حاشية سفلية بطريقة إلكترونية لكل صفحة كما هو معهود، ثم بعد أن ينتهي الباحث من بحثه كاملا يقوم بنقل هذه الحواشي مرة واحدة إلى نهاية البحث عن طريق اتباع طريقة ذلك من خلال هذا الفيديو التوضيحي (*تعلم وورد: نقل الحواشي السفلية الى آخر صفحة دفعة واحدة*)

t=87s&v=al_g_hAweCU?https://www.youtube.com/watch

https://youtu.be/al_g_hAweCU

للإشارة إلى المرجع في الموضع الأول، هكذا:

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (2007). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 2. ج: 2، ص: 145.

وفي المواضع الأخرى له يشار إليه، هكذا:

ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. مرجع سابق، ج: 3، ص: 150.

- توثق **المصادر والمراجع** في قائمة واحدة في نهاية البحث، وترتب هجائياً حسب الاسم الأخير للمؤلف، وذلك باتباع الطريقة التالية:

الكتاب لمؤلف واحد:

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (2007). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 2.

للمؤلف أكثر من كتاب

ابن خالويه، الحسين بن أحمد الهمذاني. (1979). الحجة في القراءات السبع. بيروت: دار الشروق.

ـــ. (1992). إعراب القراءات السبع وعللها. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الكتاب لمؤلفَين اثنين:

البغا، مصطفى ديب. مستوى، محي الدين. (1996). الواضح في علوم القرآن. دمشق: دار العلوم الإنسانية.

الكتاب لثلاث مؤلفين أو أكثر:

محمد كامل حسن وآخرون. (2005). التجديد. كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية.

المقالة في مجلة علمية:

راضي، فوقية محمد. (2002). "أثر سوء المعاملة وإهمال الوالدين على الذكاء". المجلة المصرية للدراسات النفسية. المجلد: 12. العدد: 36. ص 27-36.

المقالة في مؤتمر:

عبد الجليل، محمد فتحي محمد. (2018). "أثر المرأة في الدعوة والتربية في ضوء القرآن الكريم". المؤتمر الدولي للقرآن الكريم في المجتمع المعاصر. ماليزيا: جامعة السلطان زين العابدين.

الرسالة العلمية:

عبد الجليل، محمد فتحي محمد. (2016). "منهج ابن زنجلة في توجيه القراءات في كتابه حجة القراءات". رسالة دكتوراه، جامعة السلطان زين العابدين.

المؤلفات المترجمة:

القاضي، عبد الفتاح. (د. ت). تاريخ المصحف. (تر: إسماعيل محمد حسن). ترنجانو: المؤسسة الدينية.

13- عند قبول البحث للنشر يوقع الباحث على انتقال حقوق ملكية البحث الى إدارة معتمد

14- لهيئة التحرير الحق بإجراء أي تعديلات من حيث نوع الحروف ونمط الكتابة، وبناء الجملة لغوياً بما يتناسب مع نموذج المجلة المعتمد لدينا.

15- قرار هيئة التحرير بالقبول أو الرفض قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها في عدم إبداء الأسباب.

16- يمكن للباحث الحصول على بحثه المنشور والعدد الذي نشر فيه بحثه من موقع المجلة إلكترونياً

ملاحظة: عزيزي الباحث إن هذه المواصفات مأخوذة عن لوائح دولية مُعتمدة، وهي تعزز من مستوى بحثك من حيث الشكل الذي لا يقل أهمية عن المضمون، وإن أية مخالفة لها ستكلفك تأخيراً إضافياً يمكن تجنبه في حال الالتزام بها.

آليات النشر والإحالة:

بعد تسلم إدارة المجلة نسخة البحث من الباحث، تقوم بإحالتها إلى المحكمين، وتلتزم بمدة لا تزيد عن **30** يوماً لتزويد الباحث بتقرير عن بحثه يتضمن الملاحظات، بعدها يمهل البحث مدة لا تزيد عن **90 يوماً** (**3 أشهر**) للأخذ بالملاحظات .

ينشر البحث بعد أول أو ثاني عدد يعقب تاريخ إصدار خطاب قبوله للنشر على الأكثر، حسب أولوية الدور وزخم الأبحاث المحالة للنشر.

Content